IMAGE OF MOHAMMAD

مجموعة من المؤلفين

صورة محمد

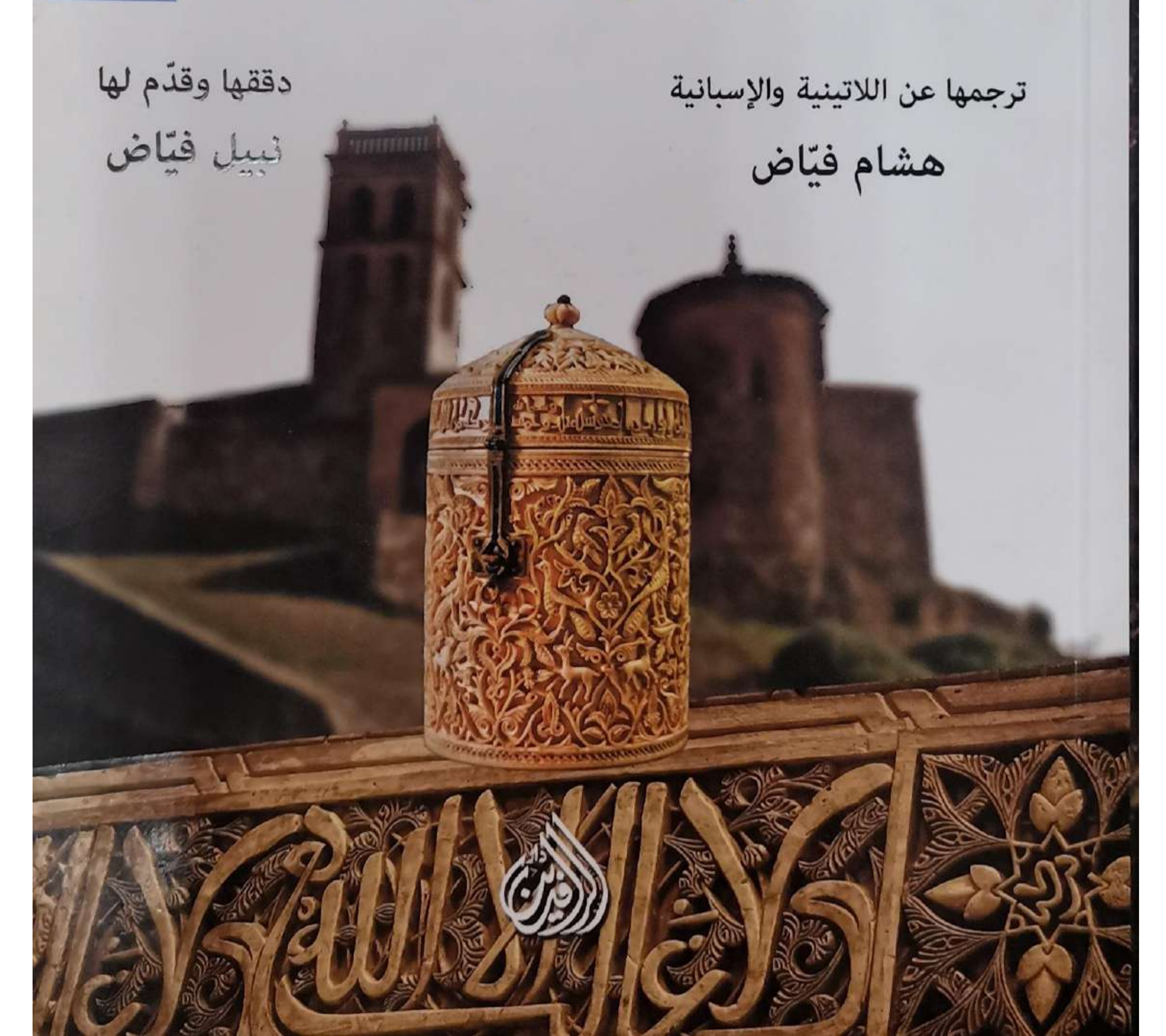
في بعض نصوص الأدب اللاتيني

من القرون الوسطى

دراسات
Studies

ترجمها عن اللاتينية والإسبانية
هشام فيّاض

دققها وقدّم لها
نبيل فيّاض



صورة محمد

في بعض نصوص الأدب اللاتيني
من القرون الوسطى

صورة محمد
في بعض نصوص الأدب اللاتيني من القرون الوسطى
Image of Mohammad
In some Latin literature texts in mid centuries

تأليف: مجموعة من المؤلفين
ترجمها عن اللاتينية والإسبانية: هشام فيّاض
دققها وقدّم لها: نبيل فياض

الطبعة الأولى: بيروت - لبنان، 2017
First Edition: Beirut - Lebanon, 2017



لبنان - بيروت / الحمرا
تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+

daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain
DAR ALRAFIDAIN@maassourati

ISBN: 978 - 1 - 77322 - 215 - 8

تأليف مجموعة من المؤلفين

صورة محمد
في بعض نصوص الأدب اللاتيني
من القرون الوسطى

ترجمها عن اللاتينية والإسبانية: هشام فيّاض

دققها وقدّم لها: نبيل فياض



www.daralrafidain.com

مقدّمة أولى

دون أدنى إحساس بالشك، فإن العمل المسمّى بـ(الهاجريون)، والذي ترجمناه بالتعاون مع المؤلّفة الصديقة الراحلة باتريشيا كرونه قبل أعوام في دمشق؛ ونشرناه للمرة الأولى في طرابلس «طبعاً»، هو أهم عمل استشراقي صدر في النصف الثاني من القرن العشرين. صحيح أن باتريشيا احتجت في أيار عام 2005، وكانت وقتها تعمل مع برنارد لويس الذي أعطاني رقمها الأميركي بعدما فقدت رقمها الإنكليزي بعد أن غادرت بريطانيا، وقالت إنها: «لا تريد قضيّة سلمان رشدي جديدة لنفسها؛ وإنها تفضّل العيش بسلام»، لكني أعتقد أنها في قرارة ذاتها كانت سعيدة بالأمر. فماذا فعلت هذه الدانمركية التي لن تتكرّر؟

في كتابي «حكايا الطوفان» (الكتاب هو نوع من التوسّع لمقالة رائعة نشرها بالألمانية الباحث الكبير الراحل، يوسف هوروفيتس، في مجلّة الإسلام، وتحمل عنوان: رحلة محمد السماوية؛ تناول فيها بالتفصيل الدقيق قضيّة الإسراء والمعراج، أشرت بنوع من الاختصار إلى ما أسميته بالوثيقة الخارجية والوثيقة الداخلية. وهذا الموضوع كنت قد استلهمته من عيشي غير القصير في دمشق مع الراحلة الكبيرة، باتريشيا كرونه. قالت صاحبة (الهاجريون): «كلّما وُجِدت وثائق خارجيّة تدعم مسألة بعينها في الوثائق الداخليّة، ازدادت أرجحية أن تكون المعلومة الواردة في الوثيقة الداخليّة

أقرب إلى الصحة. وبما أن الإسلام كدين هو الأصعب سبراً بسبب البعد الزمني الكبير بين حقبة المؤسس والجماعة الأولى من جهة، وحقبة المدونين والكتّاب من جهة أخرى؛ لذلك فنحن نتلهف بتوق كبير إلى الحصول على وثيقة خارجية تدعم لنا أية معلومة داخلية بين أيدينا. - بغض النظر عن صدق الرواة وناقلي الأخبار والروايات، ودور العنصر السياسي في اختلاق حدث أو حديث». - فما الذي نقصده هنا بالوثيقة الداخلية والوثيقة الخارجية؟ الوثيقة الداخليّة، كي نبسّط عبر أمثلة، هي نص بين أيدينا صادر عن الجماعة ذاتها: مثلاً؛ صحيح البخاري هو وثيقة داخلية إسلاميّة تروي لنا قسطاً من حياة محمد وأفعاله؛ سيرة ابن إسحاق هي وثيقة داخلية إسلاميّة أيضاً تتناول كما يتضح من عنوانها حياة محمد. الوثيقة الخارجية، هي تلك النصوص التي بين أيدينا والتي تحكي عن جماعة بعينها من كتّاب من خارج هذه الجماعة: مثلاً؛ تاريخ سبيوس الأرمني، هو وثيقة خارجية غير إسلامية تحكي في بعض أجزائها عن محمد والإسلام؛ صلاة الحاخام شمعون بار يوحاي (نشرناها كاملة مع شرحها مؤخراً) هي وثيقة خارجية غير إسلامية تحكي عن العرب المسلمين. وكلّما ازدادت تلك الوثائق قرباً من زمن مسرح الحدث، ازدادت أرجحية أن تكون أقرب إلى الصدقية بالنسبة لنا. فما هي أهم تلك الوثائق الخارجية التي تناولت الإسلام في بداياته؟[1]

1 - عقيدة يعقوب (تموز-يوليو 634).

2 - صفرونيوس، بطريرك القدس (مات عام 639).

---

(1) التواريخ هنا تعتمد التأريخ الميلادي.

3 ـ كسرة حول الغزوات العربية (ما بعد 636).

4 ـ مكسيموس المعترف (مات عام 662).

5 ـ توما الشيخ (كتب عام 640 تقريباً).

6 ـ ترتيلة حول قديسي بابل الصغار (أربعينيات القرن السابع؟).

7 ـ يوحنا، أسقف نيقيو (أربعينيات أو تسعينيات القرن السابع)؛ وقد تناهى إليّ أن هذا العمل ترجم إلى اللغة العربية.

8 ـ رؤيا قبطية لشينوته المنحول (644؟).

9 ـ البابا مارتن الأول (649ـ655).

10 ـ إيشوع-يهب الثالث الذي من طور عابدين (مات 659).

11 ـ فردغار، حولية فرنسية (مكتوبة في خمسينيات القرن السابع).

12 ـ تروفيس الدمشقي (661 ربما، 681 على الأغلب).

13 ـ سيبيوس، أسقف باغراتونيس (كتب في ستينيات القرن السابع)؛ وقد وضعناه على قائمة الأعمال التي نريد تنفيذها.

14 ـ حوليّة خوزستان (كتبت تقريباً في ستينيات القرن السابع).

15 ـ سينودس عام 676.

16 ـ أركولف، حاج (كتبت ما بعد سبعينيات القرن السابع).

17 ـ جورجيوس الذي من ريشعينا (مات تقريباً 680).

18 ـ أثناسيوس البلدي، بطريرك أنطاكية (683 – 687).

19 ـ جدليات معادية لليهود (تقريباً 640ـ697).

20 ـ يوحنا بار بنقاي (687).

21 ـ أسرار الحاخام شمعون بن يوحاي (ما بعد 680؟). نشرناه بالعربية.

22 ـ رؤيا سريانية لأفرام المنحول (ما بعد 692).

23 ـ رؤيا سريانية لميثوديوس المنحول (تسعينيات القرن السابع؟). نشرنا معظمه مؤخراً.

24 ـ أناستاسيوس السينائي (مات عام 700 تقريباً).

25 ـ هنانيشوع المفسّر (مات 700).

26 ـ يعقوب الرهاوي (مات 708).

27 ـ Ad Annum (تشرين أول ـ أكتوبر 705).

28 ـ رؤيا قبطية لأثناسيوس المنحول (715 تقريباً).

29 ـ دانيال الإغريقي، الرؤيا الأولى (716 – 717).

30 ـ نص يوناني مقحم على الرؤيا السريانية لميثوديوس المنحول (تقريباً 720).

31 ـ رؤيا أخنوخ (إدريس) البار (717).

32 ـ البطريرك جرمانوس (715 – 730).

33 ـ ويليبالد (بعد عشرينيات القرن الثامن) وحجّاج آخرون.

34 ـ يوحنا الدمشقي (ثلاثينيات القرن الثامن).

35 ـ راهب من بيت هاله وعربي بارز (ما بعد 717)؛ وقد نقلنا أجزاء منه.

36 ـ تاريخ ماروني (القرن الثامن)؛ ترجمنا نصّاً منه لكننا نضعه ضمن خطتنا للترجمة والدراسة.

37 ـ إيشوعبوخت، مطران فاري (730 – 780 تقريباً).

38 ـ استيفانوس السكندري (775 – 785).

39 ـ ثيوفيليوس الرهاوي (مات 785).

40 ـ تونغ تين (نشر عام 801).

41 ـ حياة جبرائيل الـذي من قرطمين (مـات عـام 648؛ والنص مكتوب في القرن التاسع).

42 ـ بنيامين الأول، بطريرك الإسكندريّة (مات عام 665؛ والنص مكتوب في القرن التاسع).

43 ـ بونداهيشن (حُرّر في القرن التاسع، لكنه كُتب على الأرجح في نهايات القرن السابع).

أين المخطوطات اللاتينية؟

من القائمة المذكورة أعـلاه، والتي عرفت معظمها عن طريق باتريشيا كرونه وبعضها من خلال عملي على النص الموسوعي، إبراهيم، نلاحظ أن ليس ثمة موضع فيها تقريباً للمخطوطات اللاتينية - معظم النصوص قادمة من اللغات السريانية (نحن نعتبر ما يسمّى «بالآشوريين» سريان-آراميين، عرقاً ولغة، بعكس الروم الأرثوذكس الذين هم سريان عرقاً فقط بشكل عام)، اليونانية، العبرية، الأرمنية، والقبطية! فلماذا غاب اللاتين عن القائمة الشهيرة إياها؟

واضح تماماً أن أحدث النصوص المذكورة أعلاه إنما يعود إلى القرن التاسع للميلاد، وأقدمها إلى القرن السابع الميلادي، وقت ظهرت الدعوة الهاجرية-السرسنية-المحمدية. ومن المتعارف عليه عموماً، وهو مثبت عبر الوثائق الخارجية، أن المسلمين، بعد أن غزوا

المنطقة المحيطة بجزيرة العرب برفقة بعض اليهود، كما تشير إلى ذلك وثائق خارجية كثيرة، كان السريان واليونان والأقباط والأرمن[1] أول الشعوب التي احتك بها الغزاة؛ وطبعاً اليهود بشقيهم السامري واليهودي. وكان بالطبع أن يكتب مثقفون من الشعوب التي غزاها العرب انطباعاتهم عما رأوا من الغزاة القادمين من بلاد الصحراء القاحلة. إذن، فإن كلّ الوثائق الخارجية التي تتحدّث عن الهاجريين الأوائل – نلتزم هنا بقول لكرونه بأن التعبير «مسلمون» أُخذ عن السامريين عند احتكاك العرب بهم، وكانوا يسمّون قبلها «هاجريون»: «أشلم نفشه لماره» (أسلم نفسه لربّه)، أشهر عبارة سامرية، كما تزعم كرونه – إنما جاءت من تلك الشعوب التي قطنت وما تزال تقطن البلاد المحيطة بجزيرة العرب.

تأخر احتكاك العرب الفعلي باللاتين؛ مع أن سلطة روما اللاتينية تأثرت سلباً للغاية بالغزو العربي - السرسني للبلدان المحيطة بجزيرة العرب. ومع امتداد الغزو العربي-السرسني لبلاد شمال إفريقيا الأمازيغية غير السمراء، بدأ الاحتكاك العربي-اللاتيني يزداد وضوحاً، ثم تأوّج هذا الاحتكاك مع الغزو العربي السرسني لبلاد إيبريا، أي، ما يعرف اليوم بإسبانيا والبرتغال، وحتى بعض الجنوب الغربي من بلاد الغال، فرنسا.

لن نسمح لأنفسنا بالدخول في الأسباب التي أدت إلى نجاح الغزاة في اجتياح إيبريا، بما في ذلك تغلغل الآريوسية في إسبانيا والبرتغال،

(1) ملفت هنا للغاية غياب العنصر الحبشي - الأثيوبي عن القائمة، مع أن محمداً ربما أتباعه فقط – استفاد كثيراً من التراث الديني الأثيوبي، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر ميثة الإسراء والمعراج. راجع كتابنا، حكايا الصعود.

والصراع الآريوسي وغير الآريوسي الذي كان يجتاح العالم المسيحي وقتها، فالمسألة خارج اهتماماتنا حالياً وتحتاج إلى عمل كبير لا إلى مقدّمة مجرّدة لعمل حول مخطوطات لاتينية إيبرية تحكي عن العرب الغزاة. مع ذلك، فقد دبّ الضعف كالعادة في جسد الكتلة الغازية التي راحت تتوزع إلى كتل متصارعة على النفوذ والسلطة والمال، فانتفض السكّان الأصليون وطردوا الغزاة إلى حيث جاؤوا - ما وراء البحر.

لم يكن بالإمكان نزع الديانة الإسلامية واللغة العربية من نفوس الإيبريين بسهولة؛ واحتاجت صيرورة التحوّل إلى اللاتينية الكثلكة إلى زمن طويل حتى رسّخت أقدامها في ذلك الجزء من أوروبا. وكان لا بدّ أن تنشأ حرب ثقافية معرفية موازية لتلك العسكرية، تعمل كلّ ما في وسعها لتجريد الغازي من أسلحته الثقافية، بهدف التأثير على السكّان المحليين لنزع آخر أثر للديانة الغازية وللغة الغازية من نفوسهم، ضمن أمور أخرى. وهكذا وجدنا كتلة لا بأس بها من الباحثين - بمفهوم ذلك العصر - اللاتين الكاثوليك الذين أجادوا بطريقة لا لبس فيها اللغة العربية، واطلعوا على كثير من كتل المعارف الإسلامية، بل وترجموا كثيراً من النصوص العربية إلى اللغة اللاتينية، وعلى رأسها القرآن.

ومن خلال جهد دؤوب، عملنا هشام فيّاض أولاً وأنا ثانياً على اختيار مجموعة نصوص من الأدب اللاتيني من العصور الوسطى تتعلّق بالإسلام ونبيّه عموماً، بمساعدة باحثات أرجنتينيات، فترجمها هشام فيّاض إلى العربية عن اللاتينية والإسبانية، ثم قمت بمراجعتها وتدقيقها والتعليق على بعضها ومن ثم كتابة النص الحالي كمقدمة لها. فما هي أهمية تلك النصوص بالنسبة لنا كباحثين وقرّاء على أضعف تقدير؟

1 ـ هذه النصوص تحكي عن العرب المسلمين؛ وهذا سبب كافٍ لأن نعمل على تحقيقها وترجمتها وتفسيرها، لأنها تحكي ـ على الأقل ـ عن جماعة ننتمي إليها إرثياً، شئنا أم ترددنا في مشيئتنا؛

2 ـ هذه النصوص تغطي مرحلة تاريخية هامة للغاية هي حقبة انحسار الغزو العربي الإسلامي عن إيبريا؛ فإذا كنّا نعرف بعض أشياء كباحثين عن تلك المرحلة من الوثائق الداخليّة العربية الإسلامية، لا بّد من أن نكمل الصورة من خلال التعرف عما تحتويه الوثائق الخارجية عن تلك المرحلة، وأحدّد هنا النصوص اللاتينية الكاثوليكية.

3 ـ ثمة أمر في غاية الأهمية يبدو جليّاً في تلك النصوص. ففي حين تغطي أناجيل الطفولة شيئاً من فضولنا المعرفي المتعلّق بالسنوات الضائعة من حياة يسوع المسيح، أي، منذ طفولته حتى عمادته، والتي لا تذكر الأناجيل القانونية شيئاً عنها، فإن السنوات الضائعة من حياة محمد (منذ زواجه بخديجة التي كانت تكبره بخمسة عشر عاماً وهو في الخامسة والعشرين، إلى قوله إن وحياً كان يتنزّل عليه وهو في سن الأربعين) هي الأعصى على الفهم أو الإدراك. فبين الخامسة والعشرين والأربعين يعيش المرء مرحلة تكوينه المعرفي التي تنعكس بشكل أو بآخر في حياته اللاحقة عموماً. فما الذي نعرفه عن حقبة «التكوين المعرفي» عند نبي المسلمين؟ بوضوح مطلق: لا شيء. كل ما نعرفه أساطير إسلامية حول أميّة الرجل وغار حراء وبحيرا الراهب، وورقة بن نوفل، قس النصارى في مكة، وأبرز المقربين من خديجة زوجته، التي أمّنت لمحمد، عبر دعمها المادي، الوقت والإمكانية ـ برأينا ـ لأن يطلع على علوم عصره.

هل هي أناجيل شباب محمدية؟

إذا كانت أناجيل الطفولة تجسّر هـوّة «مـا» في المسيحية الأرثوذكسية، فإن بعض النصوص اللاتينية التي بين أيدينا يمكن اعتبارها، إذا ثبتت صدقيتها وتاريخيتها وصحة معلوماتها، أناجيل شباب محمدية؛ أي، نصوصاً مقدّسة أو «شبه» مقدّسة تغطي مرحلة ضائعة من حياة نبي الإسلام. - لكن من أين جاء أصحاب هذه الآراء بآرائهم؟ ما هو مصدر معلوماتهم؟ هل ثمة مرجع إسلامي ضائع استقوا منه تلك الأفكار، أم إنهم تعمّدوا اختلاق حوادث وافتعال قصص لمزيد من تشويه الشخصية المحمدية في تلك الحرب الثقافية التي عرفت ذروة واضحة في مرحلة ما بعد الانحسار للوجود العربي الإسلامي من إيبريا؟ أسئلة في غاية الأهمية تحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي من أجل إجابات قاطعة عنها، وإن كنا لا نعتقد بإمكانية ذلك حالياً. فما هو الشيء الجديد في تلك النصوص فيما يخصّ السنوات الضائعة من حياة محمد؟

1 ـ كرّس محمد روحه، منذ طفولته ومراهقته، لدراسة الأدب في مناطق بعيدة، منكباً على مهمة بحيث يمهر في التنجيم حيث إنه درس الفنون خفية بشكل غير مكتمل؛

2 ـ بعد أن بدأ رحلة بحجة التجارة، وصل إلى سوريا، وبقي هناك لبضع سنوات حيث تعلّم، بعناية كبيرة، أسفار موسى بلغة السوريين.

3 ـ ثم ذهب فيما بعد إلى اليونان حيث بقي هناك لفترة ليست قصيرة، فاستمع لقانون المسيحيين، باللغة الإغريقية، ولأجزاء من الإيمان (المسسيحي)، ليس دونما عمق.

4 ـ ما إن تلقّى تعاليم العهدين، القديم والجديد، حتى هرع بسرعة عائداً إلى جزيرة العرب.

5 ـ عند بلوغ محمد ثلاثة عشر عاماً أخذه أبو طالب إلى أورشليم حيث هناك المعبد المقدّس.

محمد ونيقولاوس:

في نص كتاب نيقولاوس الذي نقدّم ترجمته في نهاية هذا العمل، نقرأ التالي: «بداية كتاب نيقولاوس، الذي يُدعى محمداً، حول كيف جحد بالإيمان المسيحي وكوّن إيمان السرسنيين. نقرأ في حكايا الرومان أنّ نيقولاوس، أحد الكرادلة الخُدّام في الكنيسة الرومانية. وكما كان عليماً في النحو والجدليّة والتنجيم، وعارفاً في الأمور الدنيوية، وعرف التحدّث بلغات عديدة». لكن من هو نيقولاوس ومن هم شيعة النيقولاويين؟

هم تلك الجماعة التي أشار إليها سفر الرؤيا مرتين: في الأولى امتدح المسيح أسقف كنيسة أفسس لأنه يبغض أعمال النيقولاويين؛ وفي الثانية تحذير ووعيد لأسقف كنيسة برغامس لأن من بين رعيته من هو متمسك بتعاليمهم: «**ولكِنَّ لي عَليكَ شَكْوى يَسيرَة، أَنَّ عِندَكَ، هُناكَ، قَوماً يَتمسَّكونَ بِتَعليمِ بَلْعامَ، الذي عَلَّمَ بالاقَ أَنْ يُلقِيَ مَعثَرَةً أَمامَ بَني إِسْرائيلَ، حَتَّى يَأْكلوا مِن ذَبائِحِ الأَوثانِ ويَزنُوا؛ فأَنتَ أَيضاً، عِندَكَ قَومٌ يَتمسَّكونَ كذلكَ، بِتعليمِ النِّيقولاويِّين**».

نيقولاوس مذكور أيضاً في سفر أعمال الرسل: «**فحَسُنَ هذا الكلامُ لدى الجَماعَةِ كلِّها، فاختارُوا اسْتِفانُسَ، رَجُلاً مُمْتَلِئاً منَ الإيمانِ والرُّوحِ القُدُسِ، وفيليبُّسَ وبُرُخورُسَ ونيكانورَ وطِيمونَ وبَرْمِناسَ، ونيقولاوُسَ دخيلاً أَنطاكيّاً**».

يؤكد المؤرخون واللاهوتيون القدماء أن هؤلاء النيقولاويين هم أتباع نيقولاوس الدخيل الأنطاكي أحد الشمامسة السبعة، المذكورين آنفاً؛ وقد ذهب بعضهم إلى أن النيقولاويين هم عينهم أتباع بلعام؛ استناداً إلى أن نيقولاوس باليونانية وبلعام بالعبرية هما بمعني واحد! لكن واضح من سفر الرؤيا أن المسيح يكلم أسقف برغامس عن هرطقتين متميزتين. ومعلوماتنا عن النيقولاويين ضئيلة للغاية فقد قيل إنهم أباحوا أكل ما ذبح للأوثان، وشجعوا العبادة الوثنية كما اتهموا بإنكارهم أن الله هو الذي خلق العالم، ونسبتهم عمل الخلق إلى قوى أخرى. كما نسب إليهم أنهم نادوا بمبدأ الاختلاط بالنساء في غير ارتباط الزوجية، وأنهم كانوا يعيشون حياة خليعة مستهترة.

وثمة رواية شائعة عن نيقولاوس رواها لنا أبيفانيوس، وهي أن نيقولاوس كان متزوجاً بامرأة ذات جمال بارع، وكان يهيم بحبها. فلما أصبح مسيحياً أراد أن يسلك حياة العزوبة لأفضليتها. فانفصل عن زوجته بعد أن اتفق معها، ولكنهما ما لبثا أن عادا وعدلا عن حياة الفرقة واستأنفا حياتهما الزوجية. فلما رأي نيقولاوس سلوكه منتقداً أراد أن يبرر نفسه، فأخذ ينادي بتعاليم منافية للحق والطهارة، وأسلم ذاته لحياة الشر والخلاعة واقتدى به غيره وهكذا تكونت منهم طائفة. وقد صدق على هذه الرواية بعض آباء الكنيسة وعلمائها الأوائل من أمثال إيريناوس وترتليانوس وإيلاري أسقف بواتييه وإيرونيموس وغريغوريوس النصيصي.

بعد هذا المدخل المختصر للغاية حول نيقولاوس وشيعته، يبقى السؤال البارز أمام الباحثين: ما الذي دفع ببعض المثقفين اللاتين من تلك الحقبة أن يماثلوا بين محمد ونيقولاوس، رغم السنين الطويلة

التي تفصل بين الاثنين، هذا إن وجد نيقولاوس أصلاً؟ ما هي العناصر المشتركة بين نيقولاوس الرؤيا والأعمال ومحمد؟ وهل المقصود بنيقولاوس أحد كرادلة الفاتيكان الذي جاء بعد نيقولاوس العهد الجديد بزمن طويل؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما الذي يربط محمداً بنيقولاوس، الكاردينال الفاتيكاني؟ أسئلة يصعب فهمها ومن ثم الإجابة عنها، لكنها تحرّك في المستنقع الفكري الراكد منذ ألف وخمسمئة سنة تقريباً أمواجاً لا تنتهي!

نبيل فيّاض.

دمشق، 21 أيلول/سبتمبر، 2016

مقدمة ثانية

كتب د. ميكائيل دو ماغي منذ ثمان سنوات ورقة دعاها النقد العالي للإسلام، تناول فيها بالبحث تاريخية شخصية النبي محمد مستعيناً بدراسات قام بها فريق من الباحثين الأفذاذ في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن، من أمثال جون وانسبرو، مايكل كوك، باتريشيا كرونه، أندريه ريبين، جيرالد هاوتينغ، هؤلاء الذين بحثوا في أصول الإسلام مثلما بحثوا في الأسباب التي أدّت إلى غياب المصادر الإسلامية المعاصرة لتلك الفترة، زمن الإسلام الأولي.

ناقش الدكتور دو ماغي مسألة الوجود التاريخي لشخصية النبي في ظل ندرة الدلائل التاريخية التي تشير إلى وجود هذه الشخصية، إضافة إلى غياب المواد الآثارية، كالنقود المصكوكة، أو النقوش الحجرية، حيث ورد أول ذكر له في وثيقة تعود لسنة 680 م، في حين ذُكرت سيرته وأقواله وأفعاله في التقليد العربي بعد قرن ونصف من مماته، أي، ما بين عامي 750 و800 م؛ وتلك كانت مصادر مبكرة لكنها ليست تاريخية؛ وكان أول نص تناول سيرة حياته إنما ذلك الذي يعود لثلاثمئة وخمسين عاماً بعد وفاته؛ وتذكر الباحثة كرونه أن نصاً بيزنطياً ذكر النبي بعد مماته بعامين مما يعني، وفقاً لكرونه، أن النبي كان شخصية موجودة تاريخياً؛ والنص اليوناني هذا يعود إلى الفترة التي غزا بها العرب سوريا ما بين عامي 632 و634؛ وهو يتحدث عن نبي كاذب «ظهر بين السرسنيين»،

لأن الانبياء «لا يأتون بالسيف والعربة»، وأنه مات في معركة؛ من هنا فالنص لا يمكن أن يكون يتحدث عن شخصية محمد ذاتها، لأنه وفاته حصلت سنة 635؛ لذلك تعتقد كرونه أن تاريخ النص ليس دقيقاً، كما تشير أيضاً لنص أرمني يعود لأربعين سنة بعد ممات النبي كشاهد على وجوده التاريخي وتعاليمه[1].

دفعتني هذه الورقة للبحث في الأدب اللاتيني الغني بالمخطوطات وسجلات الحوليات التاريخية، لا سيما الأدب الجدلي أو ما يدعى بأدب المواجهة الذي تعزز في إسبانيا خصوصاً في حقبة «سقوط الأندلس»، أي طيلة فترة الحكم الإسلامي لها، فانبرى بعض المترجمين، لا سيما في دار للترجمة في طليطلة، لترجمة مصادر التقليد العربي، فترجم ماركوس دي توليدو القرآن إلى اللاتينية وضمّن ترجمته مقدمة تناول فيها حياة النبي، كذلك فعل رئيس أساقفة طليطلة فكتب التاريخ العربي مضيفاً سيرة النبي لكتابه، ناهيك عن مخطوطات تاريخية وترجمات لكتب من التقليد العربي تتناول سيرة النبي لأهداف متعددة، ولما كانت المكتبة العربية تفتقر لترجمات الأدب اللاتيني المذكور، كان لا بد من مساهمة أولى بسيطة تتناول العملين المذكورين، إضافة لملحق يتضمّن ترجمة لمخطوطة «كتاب نيقولاوس»، آملين أن تتلوها خطوات أخرى للإضاءة على هذه النصوص والمخطوطات الغنية.

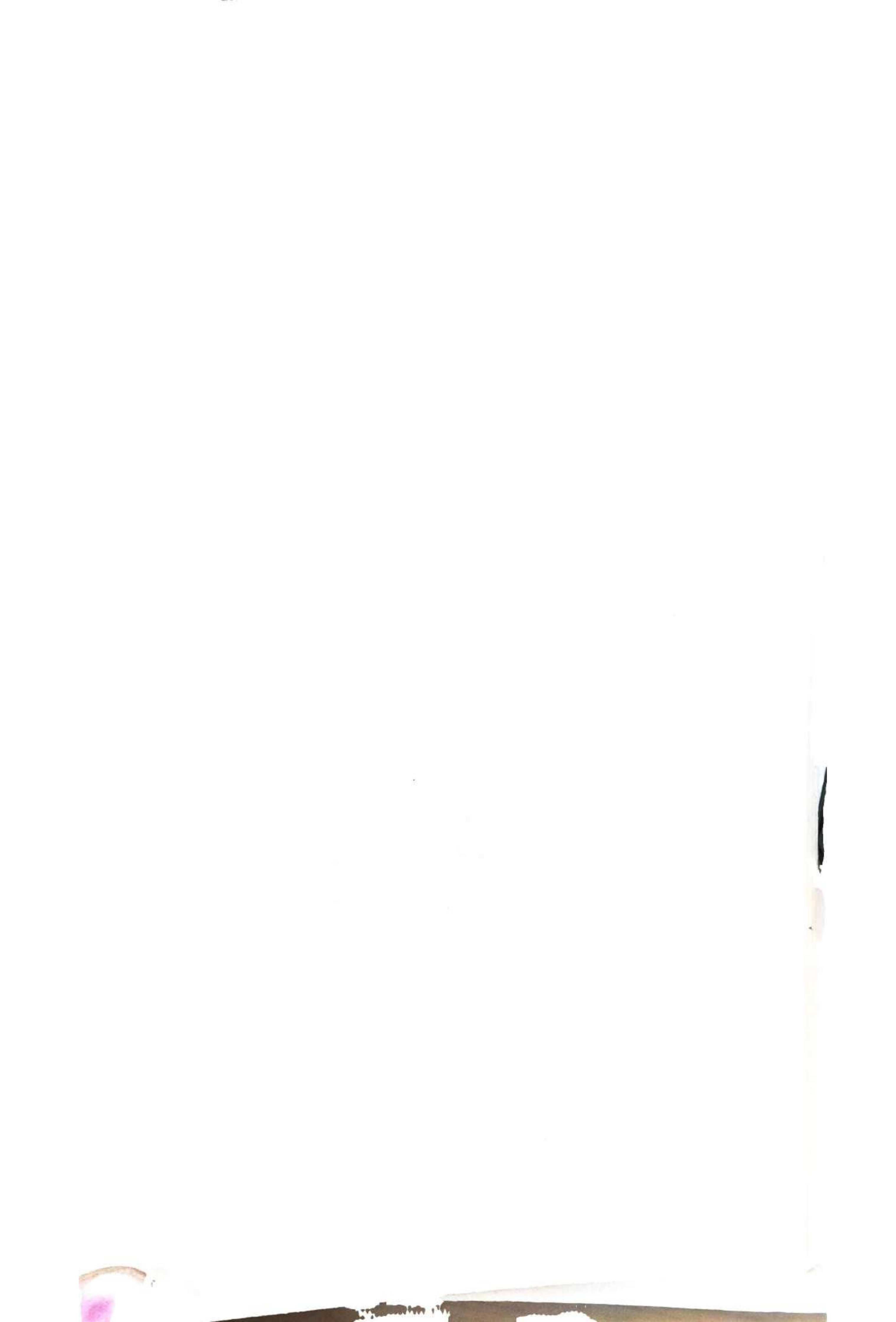
هشام فياض

دمشق، 24 آب/أغسطس، 2016

---

(1) هذه الدراسة موجودة في ترجمتنا لنص كرونه الشهير، الهاجريون. - نبيل فيّاض!

- عنوان البحث: صورة محمد في التاريخ العربي لخيمينيث دي رادا وفي المقدمة إلى القرآن لماركوس دي توليدو. أمثلة أدبية عن المواجهة الإسلامية المسيحية؛ 2009
- الكاتبة: Katarzyna Krystyna Starczewska، باحثة في نقد الترجمات اللاتينية للقرآن .
- الاختصاص: علم اللغة الكلاسيكية المقارن Classic Philology.
- الجامعة: أوتونوما دي برشلونا، معهد دراسات القرون الوسطى، قسم العلوم القديمة والعصور الوسيطة!



من هو ماركوس دي توليدو

Marcos de Toledo 1193 - 1216

إنه طبيب وكاهن إسباني في كاتدرائية طليطلة بين الأعوام 1193 و1216؛ عمل مترجماً في مدرسة طليطلة للترجمة؛ ولضلوعه في اللغة العربية قام بترجمة القرآن إلى اللاتينية وضمّنها مقدمة طويلة، وهي الترجمة الثانية بعد ترجمة روبـرت دي كيتون Robert de Ketton؛ كما ترجم "الفصول الأبقراطية" لأبي زيد حنين بن إسحاق العبادي، و"العقيدة" لأبي عبد الله محمد بن تومرت (المؤسس والزعيم الروحي لحركة الموحدين التي قامت في مواجهة دولة المرابطين؛ بدأت دعوته بين قبائل مصمودة في جبال الأطلس ثم انتشرت أفكاره بفضل أحد أتباعه وهو عبد المؤمن بن علي الكومي الذي قضى على المرابطين ووطد دعائم الدولة الموحدية لتشمل أجزاء شاسعة من المغرب الكبير والأندلس).

من هو رودريغو خيمينيث دي رادا Rodrigo Jiménez de Rada 1170 _ 1247؟ باللاتينية اسمه Ximénez؛ وهو رئيس أساقفة طليطلة لأربعين عاماً، عسكري، مؤرخ ورجل دولة، إضافة إلى عمله كمستشار ودبلوماسي لدى ملك نافارّا، سانشو السابع، والملك ألفونسو الثامن والملك فرناندو الثالث حيث أنشأ رودريغو مكتبة

ضخمة في عهد الأخير دامت أربعة قرون إلى أن أتى عليها حريق؛ له عمل شهير عنوانه De rebus Hispaniae عن تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية حتى عام 1243؛ كما كتب تاريخ العرب Historia arabum الهام جداً لاهتمامه بالثقافة العربية الإسلامية؛ وترجم القرآن للاتينية. كذلك كتب Breviarium Ecclesiæ Catholicæ، وهو عمل تاريخي يتحدث عن الفترة ما بين بدء الخليقة حتى زمن تفرّق رسل المسيح، ولم يُعد طبعه حتى الآن، وله مؤلف شعري ملحمي بعنوان Cantar de Roncesvalle.

إنها إذن دراسة مقارنة لملخص سيرة نبي الإسلام محمد مقدمة من شخصين عاشا في فترة زمنية متقاربة وضمن مكان جغرافي (مدينة طليطلة) واحد في بلاد الأندلس، ومن خلال تحليل بنيوي لمقتطفات من نصي المترجمَين يُلاحَظ التركيز في كل منهما على نقاط مختلفة عن الآخر على الرغم من وحدة الهدف وتأسسهما على أدبيات المواجهة المسيحية الإسلامية.

المترجم هشام فيّاض.

مدخل

الغرض من هذا البحث هو عرض ومناقشة أجـزاء من نصين مختلفين يرويان سيرة محمّد. النصان هما الأجزاء من 1 إلى 5 من تاريخ العرب Historia arabum لكاتبه رودريغو خيمينيث دي رادا، ومقدمة إلـى القرآن Prologus Alcorani لماركوس دي توليدو، والمكتوبان بمدينة طليطلة في القرن الثالث عشر، ويعتبران جزءاً من أدب الجدل الإسلامي المسيحي، الغرض منهما تقديم معلومات عن الإسلام بهدف دحضه.

ولتبرير اختيار هذين النصين ليكونا موضع مقارنة، يكفي ذكر العلاقة التي ربطت بين الكاتبين، حيث كان ماركوس دي توليدو ينتمي إلى البيئة الفكرية للدون رودريغو خيمينيث دي رادا عندما كان هذا الأخير رئيساً لأساقفة طليطلة (1209 ـ 1247).

كان ماركوس دي توليدو كاهناً نشطاً في الكنيسة الطُّليطليّة منذ العام 1193 حتى 1216. وفي العام 1216 قام بعمل دينيّ «بكل جوارحه»؛ ويُعتقد أنه توفي بعيده بفترة وجيزة[1].

في البداية تخصّص ماركوس دي توليدو في ترجمة أعمال طبية

(1) ريفيرا، كنيسة توليدو II ص 306 – 308، ر. غونثالبيث رويث، رجال وكتب من توليدو 1997 ص 191.

من العربية إلى اللاتينيّة. وأنجز هذه الترجمات للنصوص الطبية بناءً على طلب من زملائه في إحدى الجامعات الأوروبيّة، قد تكون مونبيليبه Montpellier [(1)]؛ كما يؤكد المترجم ذاته في مقدمة ترجمته عن العربية لكتاب النبض للطبيب اليوناني جالينوس [(2)].

سمحت له معرفته الواسعة باللغة العربية أن يلجَ إلى بيئة ذات أهميّة خاصة: اللاهوت. فقد قرر الشماس الطُّليطلي في سنوات عمره الأخيرة أن يترجم النصوص المقدسة عند المسلمين إلى اللاتينية. تبلورت ذروة أعماله في المجال اللاهوتي في ترجمته للنسخة الكاملة للقرآن، والتي أنجزها في طليطلة ما بين 1210 1211، ومنشورات مهدي الموحدين أبي عبد الله محمد ابن تومرت والتي أنجزها في 1213[(3)]؛ هاتان الترجمتان كما يشير ماركوس دي توليدو، كان قد أنجزهما بناء على طلب كل من دون رودريغو خيمينيث دي رادا رئيس أساقفة طليطلة والدون ماوريسيو العضو في الكنيسة ذاتها[(4)].

---

(1) ر. غونثالبيث رويث، المرجع السابق ص 191.

(2) حسب النسخة المحققة من قبل Th. D'Alverny ماركوس الطليطلي، ترجمة ابن تومرت و

Marc deTolède, traducteur d'Ibn Tumart Al-Andalus 16/ 1951, pp. 259-260.

Al-Andalus 16/ 1951, pp. 259-260.

(3) ر. غونثالبيث رويث، المرجع السابق ص 191.

(4) Trastulit autem Marchus Tholetane ecclesie canonicus librum Alchorani ad peticionem Roderici venerabilis archiepiscopi Tholetani salubrem et persuasionem magistri Mauricii, Toletane sedis archiadiaconi, meritis et sanctitate commendabilium uirorum.(en:) Prologus Alcorani, ed. Nadia Pons, líneas 192-195. Translato ante triennium Alforcano libro legis infidelium Ismaelitarum, ad preceptum R. domini Tholetani archiepiscopi, Yspaniarum primatis, et instantiam Magistri Mauricii eiusdem sedis archidiaconi, libellum Habentometi quem de unione composuit, non immerito duxi transferendum. Préface à la traduction d'Ibn Tūmart (en:) M.-Th. D'Alverny, Marc deTolède, traducteur d'Ibn Tumart, p. 268.

لم يُظهر رودريغو خيمينيث دي رادا موهبة كبيرة في تحفيز البيئة الفكرية في كنيسته، وانغماسه بشكل واضح في السياسة (صدارة طليطلة، والمعارك ضد الموروس) فحسب، بل كان أيضاً مؤرخاً طليعياً. فهو مؤلف كتاب تاريخ الأحداث في هسبانيا Historia de rebus Hispaniae حيث يروي تاريخ هسبانيا منذ أصولها حتى عام 1243. وله أعمال أخرى أبسط: Historia Romanorum، Historia Hugnorum، Vandalorum، Sueuorum، Alanorum et Silingorum، la Historia Ostrogothorum وتاريخ العرب Historia arabum وهو آخر أعماله إذ يعود تاريخه للعام 1245 ويعتبر أول عمل تاريخي كتبه مسيحي حول تاريخ العرب[1]. قسّم العمل إلى ثمانية وأربعين باباً بالإضافة إلى مقدمة. ويلاحظ أن الأبواب من الأول حتى السادس تتناول أصول محمّد (1)، تعليمه وأول ظهور علني له (2)، حول دعوته والتمرد الذي بدأه (3)،حول انتصاره على الإمبراطورية البيزنطية (4)، حول رسامته ورؤاه الكاذبة (5)، حواره مع قريش حول الشريعة وعن موته (6). انطلاقاً من الجزء السابع يتحدث عن توسّع العرب، وصولاً إلى غزو مملكة القوط بقيادة موسى (بن نصير) في عصر آخر ملوكها رودريغو (9 10)، وكذلك نقل البلاط العربي من إشبيلية إلى قرطبة، ويتابع في الأبواب اللاحقة وصول العرب إلى ناربونيسي وحصارهم لتولوز وتدخّل كارلس مارتل وما تلاه من هجمات ومناوشات على أراضيه؛ وبينما تابع المؤلف ذكر

(1) Ferrero Hernández, Cándida, Cristianos y musulmanes en la Historia Arabum de Rodrigo Jiménez de Rada, (en:) The Journal of Medieval Latin, A Publication of the North American Association of Medieval Latin, Brepols, Toronto, 2009, p. 358.

مختلف الملوك ومعاركهم، إلى أن يضيف في الباب الثامن والأربعين وصول الموحدين وهزيمة المرابطين في سنة 538 حسب التاريخ الهجري عند العرب[1].

بالنسبة لعمل رودريغو خيمينيث دي رادا، تقتصر هذه الدراسة على الأجزاء المخصّصة لحياة محمّد، كذلك هو الحال فيما يتعلق بترجمة القرآن التي أنجزها في عام 1210 حيث سنقوم بدراسة المقدمة فقط. ولن نقوم في كلا الحالتين بتحليل الأجزاء البيوغرافية في كلا العملين. بالمقابل سنحاول مقاربة المصادر المتاحة، وكذلك إظهار تنافس هذه النصوص مع نصوص أخرى من تيار أدب المواجهة. وفي هذا البحث تقرر تقييم التنافس في البُنى المعقدة والذي بُني على دوافع فردية، وتم البحث كذلك في أوجه التشابه في هيكلية السّرد في كل المقطع البيوغرافي[2].

من الملفت للنظر اكتشاف التباين في كلا النصين عند الأخذ بعين الاعتبار تقاربهما الزمني، والرابط بين الكاتبين، وأنهما كُتبا في المدينة ذاتها، ومع ذلك عند تحليل النصين، نجد أنّ لهما نهجين متمايزين تماماً على الرغم من أنهما يسعيان لتحقيق الهدف ذاته، وفقاً لمعايير أدب المواجهة الإسلامي المسيحي.

---

(1) Ferrero Hernández, Cándida, Cristianos y musulmanes en la Historia Arabum de Rodrigo Jiménez de Rada, (en:) The Journal of Medieval Latin, A Publication of the North American Association of Medieval Latin, Brepols, Toronto, 2009, p. 362.

(2) والتر بوركيرت يعرض لعدد من الإرشادات عند إنشاء النصوص والاستعارات النصية والتي ارتأينا اتباعها: Walter Burkert, The orientalizing revolution: Near Eastern influence on Greek culture in the early archaic age, p. 88.

عند مقارنة بعض النقاط النموذجية في "حياة محمّد vita Mahometi" كما يستعرضها الكتّاب المسيحيون في العصور الوسطى، يمكن الملاحظة بشكل جليّ أن الكاتبين قد يتفقان فيما يتعلق بهذه المسائل:

تعود أصول محمّد إلى مكة، من أبوين نبيلين	ماركوس دي توليدو- السطر 19 ـ 20
محمّد يتيم، كفِله أقرباؤه	رودريغو خيمينيث دي رادا، الباب 1 و2
التعليم الذي تلقاه في صباه وشبابه	ماركوس دي توليدو الأسطر 28 ـ 42 رودريغو خيمينيث دي رادا، الباب الثاني
الأسفار بحجة التجارة ليتلقى تعليماً حول الأديان الأخرى	ماركوس دي توليدو الأسطر 35 ـ 39
زواجه من أرملة غنيّة	رودريغو خيمينيث دي رادا، الباب الثاني
عندما كان محمّد يبشر، كان يتعرض لنوبات شبيهة بالصرع	ماركوس دي توليدو الأسطر 74 ـ 90 رودريغو خيمينيث دي رادا، الباب السادس
النبيّ الكاذب رجل شبق ومتعدد الزوجات	رودريغو خيمينيث دي رادا، الباب الثاني
النبيّ الكاذب يكذب حول صعوده إلى السماء، الرحلة الليلية (الإسراء)	رودريغو خيمينيث دي رادا، الباب الخامس

هناك تمايز عام آخر بين سيرتي النبيّ، فبينما يستعرض رودريغو خيمينيث دي رادا حياة محمد كاملة، يركّز ماركوس دي توليدو على محمّد كمؤسس لمذهب جديد. الهيكلية المعروضة في «مقدمة إلى القرآن»، تذكر فقط الأحداث المترافقة مع ظهور القرآن، مع إلغاء الإشارة سواء إلى زواجه أم موته.

أ المقدمة إلى القرآن Prologus Alcorani لماركوس دي توليدو

أ.1 النص والترجمة

PROLOGVS[1]

Incipit[2] prologus super librum Alcorani

In nomine Patris et Filii et Spiritus Sancti. Amen.

Ex collisione ferri et lapidis ignis excutitur, interdum ad illuminandum

(1) معدّل.

(2) تستخدم Incipit وهي كلمة لاتينية معناها «يبدأ» ويليها الكلمات الأولى في النص. وهي مأخوذة من التقليد العبراني الذي انتقل إلى المسيحية، كما يعطي هذا المصطلح وما يليه للنص عنوانَه. ففي العبرية تبدأ النصوص المقدسة بهذا المصطلح، كمثال السفر الأول من التوراة «التكوين» واسمه "بيريشيت" أي «في البدء» أي الكلمات الأولى الواردة في النص: في البدء خلق الله السماوات والأرض. كذلك مستخدم في الصلوات المسيحية في اللاتينية واليونانية، كما في الكيريا، وحمل الله وابن الإنسان Agnus Dei والمجد لله في العلى Gloria in excelsis Deo وترنيمة التمجيد Magníficat وكثير من نصوص الليتورجية الكاثوليكية. - مترجم هشام فيّاض.

5	homines in tenebris degentes, interdum autem ad decoquendum que cruda sunt, interdum ad calefaciendum, interdum ad conflanda uasa et ad ceteros usus utiles
	et exquisitos. Ex coniunccione siquidem duorum parentum, utpote lapidis et ferri, ydola ferrea colencium et lapidea ignis editus est adurens, quia ex duobus genitoribus tamquam ferro et lapide ydolatrie induratis, ignis exiuit sulphureus
10	non quippe ut illuminaret homines in tenebris noctis laborantes, sed ut in tenebris ignorancie deperditis, multis retro seculis elapsis, pocius tenebras accumularet tenebris quam luceret. Non enim sana doctrina combussit peccatores ut decoqueret rudes hominum intellectus et prauas eorum oppiniones quas de Deo habebant et superfluas combureret ydolatrarum supersticiones, nec
15	enim calefecit, quia cum filii Dei noticiam ad plenum non habuissent, in amoremipsius flamma Sancti Spiritus non fuit accensus, sed cum uasa perdicionis antique in uasa domini, scilicet in fidem Sancte Trinitatis, conflari debuissent, in uasa interitus conflauit Mafometus. Hic nimirum prodiens quasi ex adipe iniquitatis in Mecha, id est adultera, que est in Arabia, natus extitit ex
20	parentibus tamen secundum gradus seculi nobilibus, scilicet patre Habedileth, id est seruo Ydolileth; et matre Emina. In urbe nimirum adultera genitus est, que Dei uiui noticiam non habuit cui merito subiecta debet esse omnis anima utpote a quo principium sumpsit et originem. Abiit itaque post deos alienos a ueritate et ydola coluit uana et tamquam scortum, relicto Deo, marito suo legitimo multis
25	se supponens diis adulterium perpetrauit nefandum.
	Cum igitur Mafometus ex Arabia demonum insordidata culturis extitisset oriundus et ex parentibus ydola colentibus, tamen ex stirpe regia descendit. Tempore autem puericie sue et adolescencie, studio litterarum animum applicuit in remotis regionibus operam impendens quantum poterat ut in mathematicis

بداية المقدمة حول كتاب القرآن

بسم الآب والابن والروح القدس. آمين.

منذ أن احتكّ الحديد بالحجر فأُضرِمت النار، لتومضَ النور للإنسان الذي يعيش في الظلام، وبالمقابل في أحيانٍ أخرى، ليطهو الطعام النيء، وأحياناً ليتدفأ، وفي بعض الأحيان ليصنع الأواني وغيرها من الاستعمالات المفيدة والخاصة. منذ أن قام أبوان بالاتحاد سويةً، أي الحجر والحديد، اللذان منحا عبادة أوثان الحديد والحجر، فوُلدت النار التي تحرق، لأنه من كلا الوالدين اللذين يبِسا من الوثنية، مثل الحديد والحجر، انبثقت نار الكبريت، ليس لمنح النور للناس الذين يعملون في ظلام الليل فحسب، بل ليطغى على أولئك (الناس) الذين تاهوا بالفعل في ظلام الجهل، وأولئك الذين انزلقوا لقرون عديدة، في ملء الظلام بظلام بدل إنارته. بكل تأكيد، العقيدة السليمة أضرمت كليّاً الخطايا لكي تطهو العقول الجاهلة للناس والآراء المنحرفة التي كانت لديهم عن الله وأحرقت بشكلٍ تام خرافات الوثنيّة المبالِغة؛ وبالنتيجة فإن ذلك لم ينتج دفئاً، إذ إنهم طالما لم يتَلقوا ما يكفي من أخبار عن ابن الله، لذلك فإن شعلة الروح القدس بذاتها لم تضئ في حبّهم؛ بل، على الرغم من أنها (الأواني) ذات الهلاك العتيق كان من الواجب أن تُشكّل في (أواني) الرّب، وهذا هو، في إيمان الثالوث القدوس، محمد، قد هلك بشكل تام، وانصهر في هذه (الأواني).

هو في هذا المسار كما لو أنه آتٍ من دهن الإثم في مكة، والتي تعني، الفاحشة، والموجودة في الجزيرة العربية. مع ذلك وُلد لأبوين نبيلَين وفقاً لطبقات ذلك الزمان، وكان والده Habedileth هذا هو عبد Ydolileth «اللات!». والدته إيمنة [1]Emina. ولد في مدينة مليئة بالفحش حيث لم يكن هناك أخبار عن الله الحي، الجدير أن يكون فضله في ملأى الروح، ومنه استقى المبدأ والبداية. إلا أنها انحرفت فيما بعد، نحو آلهة بعيدة عن الحقيقة، وعبدت أوثاناً مزيفة كمَثل مومس تخلى عنها زوجها الشرعي، تركت الله، واستسلمت لآلهة عديدة، ارتكبت الفحش الشنيع.

على الرغم من أن محمداً قد وُلد في الجزيرة العربية، الموبوءة بالعبادات الشيطانية و (وُلد) لوالدين يعبدان الأوثان، ومع ذلك، فقد انحدر من السلالة المالكة. من ناحية أخرى، منذ طفولته ومراهقته كرّس روحه لدراسة الأدب في مناطق بعيدة، منكبّاً علىٰ مهمة بحيث يمهر في التنجيم[2].

---

(1) الأسماء مترجمة وفقاً لورودها في اللغة اللاتينية. - مترجم!

(2) في اللاتينية كما الإنكليزية، وحتى حوالي 1700 كان مصطلح mathematics يعني «علم الفلك والتنجيم"، وقد بدأ التغير التدريجي ما بين 1500 و1800،مما أدّى إلى ترجمات خاطئة عديدة، من أشهرها تحذير القديس أوغسطين أن على المسيحيين الحذر من الرياضيين mathematici، وهو عنى المنجمين، وهو ما ترجم على أنه إدانة للرياضيين. مترجم

30	artibus peritus extitisset. Cumque seorsum non in publico inept as artes didicisset, et tuba intonuisset appostolorum et in omnem terram sonus eorum exiuisset ad eum usque peruenit quod Christiani fidem iam colerent Sancte Trinitatis, et quod ipsi unum in deitate, trinum in personis esse Deum crederent, ad predicacionem appostolorum, et Iudei unum eundemque colerent Deum, non
35	tamen trinum in personis sicut Christiani confitebantur, accepto itaque uiatico sub pretextu mercatoris, uenit in Siriam et ibi per aliquos annos moram faciens in lingua Siriorum Penthatheucon didicit ad unguem, deinde in Greciam postmodum profectus ibique residenciam et moram faciens non modicam, in lingua greca legem audiuit Christianorum et articulos fidei non perfunctorie.
40	Qui, cum fuisset expertus quod tam Iudei quam Christiani dispari cum professione Deum colerent et in Veteri et Nouo Testamento fuisset instructus, quamtocius in Arabiam remeauit. Cumque secum deliberaret qualiter Arabes et omnes alias naciones ad fidem unius Dei conuerteret et ydolatriam quoad posset destrueret in illis
45	regionibus in tanta fuit perplexitate constitutus quod titubauit ad quam istarum legum, an ad nouam Ihesu Christi legem, uel ad ueterem que data est Moysi et populo iudaico pocius eos inuitaret. Sed cum nouisset quod Lex euangelica grauior eis existeret nec eam possent tollerare utpote lex humilitatis iuxta illud: «Qui te percusserit in maxilla una, prebe ei et alteram». Et in castitate et ieiunio
50	et ceteris que a Christianis obseruantur eis esset intollerabilis et quod corda eorum in cultura ydolorum iam diucius indurata demolliri non poterant ut unum Deum crederent esse, non prouidit ut quasi racionabilibus animalibus articulos christiane religionis exponeret, id est cibos offerret qui non solum corpus sustentant sed animam uiuificant mortuam, uerum tamquam brutis gramen et

55	paleas et fenum prebuit iumentis. Legem quoque Decalogi uoluit eis predicare, tamen quia legis illius obseruatores infames habebantur propter necem Ihesu Christi, quam per prodicionem Iude liuore ducti secundum oppinionem suam non occiderant, cogitauerant tamen, quia sicut proditores in seruitutem redacti gentibus tributa reddebant, et ob hoc ab omnibus sicut prophani uidebantur
60	eorum obersuaciones prout in Pentateuco continetur, exsecrandas esse decreuit. Fertur tamen quia non respuit tantum legem christiane religionis ob sui difficultatem rigoris nec in contemptum dumtaxat iudeorum contempsit precepta

حيث إنه درس الفنون خفية[1] بشكل غير مكتمل، وكما يصدح بوق رسل (المسيح) كذلك صدح صوته عبر الأرض كلها، حتى إنه ذهب إلى أن المسيحيين اعتنقوا إيمان الثالوث المقدس، وأنهم هم ذاتهم يؤمنون أن الله كان أحداً في الألوهية والتثليث، وفقاً لوعظ رسل (المسيح). اليهود يعبدون الإله الواحد ذاته، لكن دونما تثليث كما يؤمن المسيحيون. وبعد أن بدأ رحلة بحجة التجارة، وصل إلى سوريا وبقي هناك لبضع سنوات حيث تعلّم، بعناية كبيرة، أسفار موسى بلغة السوريين. ثم ذهب فيما بعد إلى اليونان حيث بقي هناك لفترة ليست قصيرة، فاستمع لقانون المسيحيين باللغة الإغريقية ولأجزاء

(1) الفن أو الفنون هي لغة وموهبة مقدسة تتيح للإنسان التعبير عن نفسه بحيث يستخدمها الإنسان لترجمة الأحاسيس والصراعات التي تنتابه في ذاته الجوهرية، وليس تعبيراً عن حاجته لمتطلبات في حياته رغم أن بعض العلماء يعتبرون الفن ضرورة حياتية للإنسان كالماء والطعام. فالفن هو موهبة وإبداع الإنسان لكن بدرجات تختلف بين الفرد والآخر. بحيث لا نستطيع أن نصنف كل الناس بفنانين إلا الذين يتميزون منهم بالقدرة الإبداعية الهائلة، فكلمة الفن هي دلالة على المهارات المستخدمة لإنتاج أشياء تحمل قيمة جمالية، فمن ضمن التعريفات أن الفن مهارة – حرفة – خبرة – إبداع – حدس – محاكاة. مترجم

من الإيمان (المسيحي) ليس دونما عمق. وعندما علِم أن كلّاً من المسيحيين واليهود يعبدون الإله ذاته لكن بتعاليم متمايزة، وما إن تلقى تعاليم العهدين القديم والجديد، حتى هرع بسرعة عائداً إلى الجزيرة العربية.

وعندما بدأ في التفكير بينه وبين نفسه كيف يجعل العرب وجميع الأمم الأخرى تعتنق الإيمان بإله (واحد له) وكيف سيدمّر الوثنية في تلك النواحي على قدر ما يستطيع، وقع في كثير من الحيرة مما جعله يرتاب إلى أي من هذه الشرائع سيدعوهم، أإلى قانون يسوع المسيح الجديد، أم إلى تلك القديمة التي أنزلت على موسى وعلى الشعب اليهودي. لكن ما إن أدرك أن القانون الإنجيلي سيكون أكثر مشقّة عليهم، ولن يطيقوا رؤية التواضع فيه، وفقاً لشرعة: «من صفعك على خدك الأيمن، فأدر له الآخر». وأيضاً لأن (الحفاظ) على العفة والصيام وغيرهما من الأمور الأخرى التي يحافظ عليها المسيحيون، لا طاقة لهم بها، ولأن قلوبهم تحجرت لطول زمان عبادتهم للأوثان، لن يتمكنوا من الوصول للإيمان بأن الله كان أحداً. (محمد) لم يتوقع أن شرح تعاليم الدين المسيحي لحيوانات بالكاد عاقلة هو أشبه ما يكون بتقديم الطعام الذي لا يقوت الجسد فحسب، بل إنه يحيي النفس البائدة. عوضاً عن ذلك، (هو) أعطى أولئك الحمقى الحمير العشب والقش والتبن. كذلك أراد أن يبشرهم بشريعة الوصايا العشر، مع أن المؤمنين بهذه الشريعة لطالما اعتبروها رديئة، إضافة لموت يسوع المسيح ناهيك عن وشاية يهوذا (التي كانت) بدافع الحسد.

وفي رأيه هم لم يقتلوه[1]، لكنهم كانوا يعتقدون ذلك؛ لهذا السبب فإنهم كخونة تم استرقاقهم وفُرضت عليهم الجزية إلى (غير اليهود)، ولهذا السبب نُظر إليهم كدنسين؛ ولهذا اعتبر أن ملاحظاتهم يجب تكون ملعونة كما وردت في أسفار موسى. ويروى أيضاً أنه لم يرفض للغاية قانون الدين المسيحي بسبب صعوبة تطبيقه ولم يكترث أن يعلّم تعاليم الوصايا العشر اليهودية،

(1) أي المذهب الذوقاني الذي يقول إنه شبّه لهم. نبيل فياض.

	Decalogi populis Arabie notifficare, sed ut ex utraque legem terciam conderet, legem que in quibusdam articulis cum Veteri et Nouo Testamento participium
65	haberet, in quibusdam autem obseruantiis ab utroque discreparet. Ex utroque igitur Testamento multa decerpsit precepta ipsaque uariauit eisque aggregans alia in unum opus redegit et duplici quidem appellacione ipsum censuit appe lla nd um, sc il icet Alchoranum *qui inte rpre tat ur* «leccionarius » et Alforcanum *qui «distinctus» in lingua sonat* arabica, qui distinguitur inter Vetus
70	et Nouum Testamentum, uelut quidam interpretantur inter blasphemiam gentilium et fidem quam ipse docuit. Composuit itaque hunc in secreto eumque in centum duodecim tractatus siue capitula diuidens, ipsos sub sexuaginta distinccionibus artauit.
75	Quociens autem populis illarum regionum uerbum predicacionis proponebat, extra urbem uniuersos conuocabat et in presencia omnium ficte quasi morbum paciens caducum in terra prostrabat se uiolenter et, ut in epilencticis fieri solet, spumam per os eiciens, pedibus atque manibus inordinate hinc et inde proiectis, in arena diutissime uoluptabatur; post spatium uero tempor is non modicum ex industria motum membrorum suorum sic
80	compescebat et occulos claudebat, ut non solum apopleticus crederetur in quo nullus sensus et motus habetur uerum exanimis estimaretur. Cumque turbatis iam occulis quasi a demonio arreptus exurgeret, dicebat populo suo quod angelus Gabriel adeo mictebatur ad ipsum, qui prosternebat eum in terra et in corpore ipsum uexabat et in anima. Et angariabat eum in extasi positum ut uerba
85	Dei, sicut asserebat, que de celo ad ipsum destinabantur, gentibus uanos deos colentibus exponeret et ab ydolatria reuocatos ad cultum Dei uiui studiosius traheret. Constitutus ergo in medio eorum proponebat eis non quidem uerba angeli, quoniam non erat tanti meriti quod angelus Gabriel ad eum mitteretur, sed uerba que confingebat et quasi ab angelo sibi indicta rudi populo et inculto

90	predicabat. Quociens itaque predicabat eis dicebat:«Ego sum Legatus Dei, uerba que posuit angelus in ore meo uobis expono. Non noui licteras, maternus enim sum. Cogit me angelus ut dicam uobis huiusmodi uerba: «adorate Deum uiuum qui celos creauit et terram, angelos et homines et omnia que in eis sunt. Non adoretis deos qui non posunt uobis prodesse uel obesse. Reddite decimas et
95	primicias Deo, regi, quoniam fungitur apud eos loco pontificis et uicario eius, et

لشعب الجزيرة العربية، بل إنه استنبط من الشريعتين شريعة ثالثة، تكون مادتها جزءاً من العهدين القديم والجديد.

ومع ذلك، ففي أحوال أخرى كان يعارض أحدهما أو الآخر. ثم استقى من العهدين العديد من الأحكام، وقام بتحويرها، وأضاف إليها أحكاماً أخرى، فصنع عملاً آخر. وفكّر أن يطلق اسماً مزدوجاً عليه، أي Alchoranum التي تترجم إلى «القرآن leccionarius» والفرقان alforcanum، وله (معنى) «مختلف» باللغة العربية، لأنه يختلف عن العهدين القديم والجديد، لأنه سيفسّر التمايز بين تجديف الأغيار والإيمان الذي كان يعلّمه. وهكذا قام بكتابته في السر، وقسمه إلى مئة واثني عشر قسماً (سورة) أو فصلاً، مجمعة في ستين جزءاً.

كلما أراد أن يعرض على أناس تلك البقاع كلمات مواعظ (ـهِ)، كان يدعوهم جميعاً إلى خارج المدينة وبحضور الجميع، متظاهراً بنوع ما من مرض مختلق، هو الصرع، كان يرتمي على الأرض بعنف ويرتجف كما في (نوبات) الصرع، وكان يزبد رغوة من فمه، مادّاً يديه وقدميه بطريقة مضطربة هنا وهناك، (و) كان يتمتع بالمقدرة على دفن نفسه في الرمال لمدة طويلة جداً؛ لكنه بعد مضيّ ردح من

الوقت، كان يوقف حركة أعضائه طوعاً ويغمض عينيه بطريقة حتى لَيُظن أنه ليس مصاباً بالسكتة دون شعور أو حركة فقط، بل إنه ميت أيضاً. وعندما يفتح عينيه وكأنه يحملق بهيئة كما لو أنه يُظهر قوة الشيطان، وكان يقول للناس إنّ الملاك جبرائيل في لحظة قد أعطاه إشارة إلى أنه سيرمى به على الأرض ويحرك جسده وروحه. وكان يقهره، وهو في حال من النشوة، بأن كلام الله، وفقاً له، قد أوحي من السماء، فيشرح للناس أنهم يعبدون آلهة لا قيمة لها، وأن تركهم لعبادة الأوثان سيزيد من الرغبة في عبادة الله الحي. كذلك، فقد سرى في وسطهم طرح بأنها، في الواقع، ليست كلمات الملاك، لأنه لم يكن ذا ميزة كبيرة ليُرسل له الملاك جبرائيل، لكنه هو واضعها، وكما لو أنها قد قُرِئت من قبل الملاك، كان يبشّر بها الجهّال من الناس وغير المتعلمين. وفي كل مرة كان يبشّر قائلاً: «أنا رسول الله، والكلمات التي وضعها الملاك في فمي أعرضها عليكم. لا أعرف الكتابة، لأنني أميّ[1]. لقد اختارني الملاك لأقول لكم على هذا النحو تلك الكلمات: « اعبدوا الله الحيّ الذي خلق السموات والأرض، والملائكة والناس وكلّ ما يعيش فيهما. لا تسجدوا لآلهة لا تضرّ ولا تنفع. أعيدوا العشور والثمر إلى الله»، لأنه مثّل (دور) الملك بينهم بدلاً من أحبارهم وممثليهم وحرّاسهم من الذنوب».

---

(1) وردت في الأصل اللاتيني: Maternus من الأم! مترجم

	cauete peccata. Estote humiles, pacientes, casti nisi super uxores uestras, adulterium fugite, homicidium et furtum et si hoc quippe feceritis et parentes honoraueritis dabit Deus uobis in hoc seculo uitam diuturnam, diuiciam et filios
100	cum quibus gaudebitis, et in futuro dabit uobis Paradisos sub quibus deffluent flumina scilicet aque, uini, lactis et mellis et cibos prosperos, qui non grauabunt uentres, et uinum suaue, quod non inebriabit, uxores et uestimenta serica. Noueritis quod Christus filius fuit Marie Virginis, Legatus Dei et uerbum Dei, quod destinauit Deus ad eam, et Spiritus eius. Nolite ergo dicere tres esse, sed
105	unus est Deus; nec dedignatus est Christus esse seruus Dei scilicet non sunt dedignati et angeli proximi et Deus cum Spiritu Sancto corroborauit». Indixitque Machometus ieiunium triginta dierum certo tempore et qui non ieiunasset, illo prefixo tempore ob aliquam occasionem, illius ieiunii debitum, si diues esset, elemosinis redimeret, si uero pauper alio tempore ieiunando. Monuit orare in
110	templo siue in domo quinquies in die, sed priusquam ad templum ingrederentur mandauit ut aqua abluerentur. Circumcisionem eis indixit in pueris a bymatu fieri, adultis autem quandocumque ad legem accederent. Adulterium prohibuit; uerum si uir coniugatus, mulierem siue solutam siue coniugatam precio emerit, licite poterit ei copulari tanquam ancille nec adulterium comictit, quia precium
115	quod pro ipsa soluitur crimen delet adulterii; filias seruorum assumere permisit uxores habentes sine contagione adulterii, ut sobolem suscitent ad cultum unius Dei. Resurreccionem predicauit futuram et uitam eternam habituros qui supradicta credunt et bona faciunt. Et qui contra hec faciunt in inferno diuersos habe re se mper cr uc ia t us asser uit. Carne mporci pro hibuite is et omne
120	morticinium, ne comederent sanguinem et ydolototicum et suffocatum. Et persuasit eis et monuit ut ad templum Meche causa oracionis accederent. Mandauit ut Deo peccata et termina confiterentur non homini. Causa quippe que eum ad hoc traxit propositum fuit ut intencio ut dampnata ydolatria homines sicut iam in aliis regionibus experiencia didiscerat ad colendum unum Deum

125	inuitaret. Et ipse sicut Legatus Dei et Propheta ad instar Dauidis et Salomonis regnum obtineret et tamquam regi et Prophete uniuerse naciones obedirent collaque sua penitus in omnibus ei subderent. Hic quippe fuit Mafometus, id est graciosus, non Nicholaus, sicut falso plures autumant cum sexcentis annis elapsis post aduentum Ihesu Christi hic uenisset in mundum ad predicandum
130	Arabibus, de Mecha oriundus, que est in Arabia. Modus tractatus eius, sicut in

كونوا متواضعين، صبورين، عفيفين إلا مع نسائكم، دعوا الزنا والقتل والسرقة، فإن فعلتم ذلك وبرَرتم بوالديكم، فإن الله سيطيل أعماركم في هذه الحياة الدنيا، و(يعطيكم) مالاً وبنين زينة لكم، وفيما بعد، سيهبكم جنات تجري فيها أنهار من ماء وخمر ولبن وعسل وطعام كثير لا يثقل البطن ونبيذ رقيق لا يُسكر، ونساء وأرائك من حرير. اعلموا أن المسيح ابن مريم هو رسول الله وكلمة الله التي بعثه الله لها وهو روح الله. فلا تقولوا إن هناك ثلاثة، لكن الله واحد؛ وإن المسيح لم يرفض أن يكون عبداً لله، كذلك لم يرفض الملائكة المقربين من الله، وإن الله أيّده بروح القدس». وأعلن محمد صيام ثلاثين يوماً في وقت محدّد ومن لم يصم في هذا الوقت المحدد سلفاً لعلة ما، فإن عليه صيامه، فإن كان غنياً، فله أن يبرأ بالصدقة، ولكن إن (كان) فقيراً، عليه الصوم في وقت آخر. وحثّ على الصلاة في المعبد أو في المنزل خمس مرات في اليوم، وأمر أيضاً بالتطهّر بالماء قبل دخول المعبد. وأمرهم بختان الأولاد من سنّ عامين والكبار منذ أن يدخلوا في الشريعة (الدين). نهى عن الفاحشة؛ لكن لو اشترى رجل متزوج بالمال امرأةً أو بِكراً أو متزوجةً، حيث يمكنه أن يحوز على الإماء فحسب الشريعة لا يُعدّ مرتكباً للفاحشة لأن الثمن المدفوع

يمحو جريمة الزنا؛ سمح (محمد) أيضاً لأولئك الذين لديهم زوجات أن يأتوا الأقنان ولا يُعدّون زناة في مسعى لزيادة عديد أتباع عبادة الإله الواحد.

بشّرهم بالقيامة في المستقبل، والحياة الأبدية لأولئك الذين يؤمنون بما ذُكر وآمنوا وعملوا الصالحات. وأنبأ أولئك الذين يعملون خلاف ذلك، أن لهم الجحيم يلقون فيه صنوف العذاب. وحرّم عليهم لحم الخنزير والميتة والدم، وتقديم القرابين للأوثان أو لحوم الحيوانات المخنوقة. وأقنعهم وعلّمهم أن يتوجهوا إلى (الحرم) المعبد في مكة لأداء الصلاة. وأمرهم بالاعتراف بالذنوب لله، وليس للإنسان. الأسباب التي دعته إلى هذه الوصايا كانت تقصد -وبعد إدانة الوثنية-، دعوة الناس إلى عبادة إله (واحد) كما تعلّم من التجربة في أقاليم أخرى. هو ذاته، كمرسل من الله وعلى نهج داود وسليمان، سيقبض على الملك؛ وبحكم كونه ملكاً ونبيّاً، فالأمم ستنقاد له مقدِّمة أعناقها وخاضعة بكل شيء. هكذا بالفعل كان محمد، أي الحامد، ليس نيقولاوس، كما يشير العديد زوراً، والذي بعد ستمئة سنة من مجيء يسوع المسيح، آتٍ من مكة في الجزيرة العربية، جاء إلى العالم ليبشّر العرب. فطريقة حديثِه، كما ضُمِّنت في تسلسل الكتاب، بدت لهم غريبة.

	serie libri continetur, extraneus habetur ab aliis. Non enim conuenit cum Euangelio nec in modo loquendi nec in preceptis nec cum ueteri lege concordat nisi in circumcisione et porcine carnis et sanguinis execracione et suffocate et ydolotici et in libello repudii; sed in causa concepcionis discrepat Iudeus ab
135	Ysmaelita. Dimissum est enim, uideo, ut uxorem suam repudiet propter adulterii crimen uel suspiccionem uel sanguinis fortassis innoxius effundatur. Vxoris Ysmaelite uero non solum propter causas pretaxatas, uerum eciam propter difformitatem uel sterilitatem uel lepram uel maniam uel ircum uel polipum uel si displiceat occulis eius uel si eam tercio obiuret in hunc modum: Latus tuum sit
140	michi prohibitum sicut latus matris me, non licet eam amplius reuocare post talem formam iuramenti nisi prius ab alio cognoscatur. In modo loquendi discrepat ab aliis scripturis Veteris et Noui Testamenti. Interdum enim loquitur sicut qui delirat, interdum autem sicut innanimatus, aliquando increpando ydolatras, aliquando comminando eius mortem, non
145	numquam uero uitam eternam promittendo conuersis, set stilo turbato et dissoluto. Huius autem stili turbacio a nonnullis excusatur, eo quod asserunt eum invisibiliter ab angelo uexari in anima et corpore et angariari ut homines amouerentur ab ydolatria ad colendum unum Deum, et morem gerebat acutam pascientibus in passione delirantibus ex pertubacione mentis. Cumque per
150	fantasticas delusiones ut magicus populos rudes seduceret et interdum Legatum Dei, interdum autem prophetam Dei se uocaret, et lecciones quas confingebat eis exponeret, contingit peccatis exigentibus quod tum per predicacionem eius fallacem, tum per bellicam cladem, tam ipse quam successores eius ab Acquilone usque ad mare Mediterraneum et ab Indiis usque ad occiduas partes

155	omnes fere ad suam heresim coegit, proch dolor!, non solum regiones has subiugauit, quarum quedam iam fidem susceperant Ihesu Christi, uerum etiam quasdam partes Yspanie per prodicionem sequaces eius occuparunt et in quibus olim multi sacerdotes diuinum Deo prestabant obsequium, nunc scelerati uiri exsecrabiles Mafometo supplicaciones impendunt et ecclesie que condam per
160	manus episcoporum fuerant consecrate, nunc in templa sunt redacte profana. Cumque uenerabilis Rodericus domino inspirante sedem archipresulatus Toletane metropoleos et insulam suscepisset eam que ab inimicis crucis infestari cognouisset, prouinciamque suam ab infelicibus detentam doluisset calamitates

ليس لأنها فقط لا تشبه الإنجيل لا في طريقة الكلام، ولا في التعاليم، ولم تكن أيضاً منسجمة مع الشريعة القديمة، إلا في الختان، وازدراء لحم الخنزير، وفي الدم، وفي لحم المخنوقة، وفي القرابين للأوثان، وفي كتيب الطلاق؛ لكن في مسألة الحمل هناك فرق بين اليهودي والإسماعيلي. أنا أفهم بأنه مغفور رفض المرأة لعلة ارتكابها جريمة الفحش، أو الشبهة، أو ربما سفك الدماء البريئة5. مع ذلك، فزوجة الإسماعيلي، ليس فقط للأسباب المذكورة آنفاً، بل أيضاً لقبحها، أو عقرها، أو جذامها أو جنونها، أو رائحتها، أو إن كان لديها ورم، أو أنها لم ترق لعينيه، أو إذا طلقها ثلاثاً، كأن يقول بهذا الشكل: «ظهرك عليّ حرام كظهر أمي»، فلا يمكن له حينها أن يستعيدها مرة أخرى بعد هذا الشكل من الحِلفان ما لم تقترن بآخر.

أمّا في طريقة الحديث فهو يختلف عن النصوص الأخرى في العهدين القديم والجديد. إذ إنه في بعض الأحيان يتكلم كمن يهذي، وفي بعضها الآخر كميّت6؛ في بعض الأحيان يوبخ الوثنيين، وأحياناً يهددهم بالموت، لكنه في بعضها الآخر، يعِد المؤمنين بالحياة

الأبدية، وإن بأسلوب مرتبك ومفكك، ومع ذلك، كان اضطراب أسلوبه معذوراً من قبل بعضهم، الذين يدّعون أنه مهتاج بشكل خفي في الروح والجسد، مؤيدٌ بملاك لإبعاد الناس عن الوثنية بغية عبادة إله واحد. وكان يواسي من كانوا يعانون بحدة وأولئك الذين يهذون لاضطراب العقل. وبالأوهام الجميلة، مثل ساحر، أغوى شعباً جاهلاً، ففي مرات يسمي نفسه رسولاً من الله، وفي مرات أخرى، يسمي نفسه نبيّ الله، وحيث عرض عليهم القراءات التي ألّفها، تمكّن من أن يحتل، بعد أن طرد الذنوب بعظاته الخادعة، وبالأهوال الحربيّة، هو وخلفاؤه، من كولونيا حتى البحر المتوسط ومن الهند إلى ما يقارب جميع الأراضي الغربية، مجبراً (الناس على اتّباع) هرطقته، يا للألم! لم يُخضع فقط هذه الأراضي التي كانت تقبل الإيمان بيسوع المسيح، بل أيضاً فإن أتباعه وبخيانتهم، احتلوا أراضي إسبانيا هذه، هناك حيث في الماضي قدّم العديد من الكهنة هدية إلى الله، الآن (يوجد) رجال مجرمون يكرّسون توسلات بغيضة لمحمد، والكنائس التي كانت في الأيام الخوالي تُكرّس على أيدي الأساقفة، الآن تحولت لمعابد مدنسة.

عندما تولّى المبجّل رودريغو رئيس الأساقفة، بوحي من الله، مقر مدينة توليدو وهذه الأراضي7 ومنه عرف أنها دُمّرت على يد أعداء الصليب، وكيف يأسف على مقاطعته المحتلة من التُّعساء.

	suas et persecuciones lugendas esse merito prouidit, iuxta illud Ambrosii: «Arma mea lacrime mee sunt». Quoniam quidem in locis ubi suffraganei
165	pontifices sacrificia santa Ihesu Christo quondam offerebant, nunc pseudoprophete nomine extollitur, et in turribus ecclesiarum in quibus olim tintinabula releuabant, nunc quedam prophana preconia fidelium a ures insurdant. Hic nimirum antistes, quem diuine sciencie licteratura comendat, sanc t itas beat, uirt utes approba nt, ho nesta s or nat, infe lice m ecc les ie sue
170	successum deplorans, utpote qui Nouum et Vetus Testamentum nouit prescrutabiliter operam dedit et sollicitudinem, ut liber in quo sacrilegia cont ineba nt ur inst it ut a et e nor mia p recept a tra ns la t us in no t ic ia m ue nire t ortodoxorum, ut quos ei non licebat armis impugnare corporalibus saltem enormibus institutis obuiando confunderet. In hac quoque sollicitudine zelo
175	succensus fidei christiane non segnis extitit reuerendus Mauricius archidiaconus eiusdem (ecclesie Toletane), licteratura commendabilis, uirtutibus insignis, moribus perspicuus, honestate preclarus sed pari uoto parique affectu laborauit, ut Liber iste in Lat num transfferretur sermonem, quatinus ex institutis detestandis Mafometi a Christianis confusi Sarraceni ad fidem nonnulli
180	traherentur catholicam. Vterque igitur, tam dominus meus Toletane sedis archiepiscopis, Yspaniarum primas, quam prefatus eiusdem archileuita, salubri me pulsarunt admonicione omnimodo persuadentes ut huius translacionis subire laborem non recusarem. Ego autem Marchus humilis eiusdem canonicus, iustis utriusque uotis et
185	desideris obedire sattagens, in fauorabili opere quantocius operam dedi et ut uotum et desiderium eorum effectui manciparem Librum Mafometi ad peticionem eorum et comodum ortodoxie fidei de Arabica lingua in Latinum transtuli sermonem. Completa quidem fuit huius uoluminis translacio, domino et saluatore nostro auxiliante, anno ab incarnacione domini millesimo ducentesimo

190	undecimo et anno quo Mafometus heresiarcha cepit Arabibus heresim suam euomere sexcentesimo sexto. Trastulit autem Marchus Tholetane ecclesie canonicus librum Alchorani ad peticionem Roderici venerabilis archiepiscopi Tholetani salubrem et persuasionem magistri Mauricii, Toletane sedis archiadiaconi, meritis et
195	sanctitate commendabilium uirorum.

وبحق رأى أنه كان من الواجب التحسّر بسبب مصائبهم واضطهادهم، وفقاً لكلمات أمبروزو: «أسلحتي هي دموعي». لأنه بالتأكيد في الأماكن التي قدّم الأساقفة (الشرعيون) القرابين المقدسة ليسوع المسيح، الآن (يُصلى) بسم النبي الكاذب، وعلى أبراج الكنائس حيث دقت الأجراس في السابق، الآن نداءات دنسة تصمّ آذان المؤمنين (المسيحيين). بالتأكيد، هذا الكاهن الذي يثق بأدب العلم الإلهي، والقداسة (I) البركة، الفضائل (I) يثبت، بتزيّنه بالصدق، يأسف بندم على المصيبة البائسة التي حلّت بكنيسته، لأنه يعرف بشكل ممعن العهدين الجديد والقديم، (هو ذاته) استسلم لهذه المهمة (أن يكون) هذا الكتاب، الذي يتضمّن القوانين الملعونة والتعاليم المتوحشة، مترجماً (و) معلوماً لأولئك الذين هم على العقيدة المستقيمة، كي يقدر، هو الذي لا يُسمح له بالقتال بالأسلحة المادية، أن يُفهمهم، على الأقل، داحضاً معتقداتهم الوحشية. ومدفوعاً بالقلق ذاته وملتهباً بحبٍّ الإيمان المسيحي، فرّغ دون تأخير القس ماوريسيو، رئيس شمامسة (الكنيسة) ذاتها8، وهو طالب آداب، متميز بفضائل(ـه) واضح بعاداته، مشهور بصدقه. وبالالتزام ذاته، وبمودة متبادلة، تم العمل بكدّ لإنجاز ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة

اللاتينية كي يتمكن بعض السرسنيين[1] المشوشين من المسيحيين أن يسلكوا إلى الإيمان الكاثوليكي من شريعة محمد، المستحقة للكراهية. ثم إن الاثنين، سواء سيدي رئيس أساقفة مقر طليطلة، والأولى في الأراضي الإسبانية، وكذلك رئيس الشمامسة المذكور، فإنهما وجهاني بموعظتهما المحببة، مقتنعَين بكلية تامة أنني لن أدّخر جهداً في هذه الترجمة.

ثم إنني أنا، ماركوس (دي توليدو)، الكنسي المتواضع من (الكنيسة) ذاتها، وحريص على أن أكون مطيعاً لأوامرهما ورغباتهما الخيّرة، سأنكبُّ مرحّباً وفي أقرب وقت ممكن على هذه المهمة لتلبية طلبهما، ولأجل تلبية رغبتهما في تقديم كتاب محمد بناء لطلبهما ووفقاً للإيمان الأرثوذكسي، وقد قمت بترجمته من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية. تم الانتهاء من ترجمة هذا المجلد بمساعدة سيدنا ومخلصنا في سنة 1211 لتجسّد الرب لعام 606 لبدء المهرطق محمد بتقيؤ هرطقته على العرب.

وهكذا ترجم ماركوس، الكاهن في كنيسة طليطلة، كتاب القرآن بناء على طلب مثمر من رودريغو المبجل رئيس أساقفة طليطلة وباقتناع المعلم ماوريسيو رئيس شمامسة مقر طليطلة، رجلان جديران بالثناء لمزاياهما وقداستهما.

---

(1) سرسنيون: مصطلح استخدمه الرومان للإشارة إلى سكان الصحراء في إقليم البتراء الروماني ثم أصبح يطلق على العرب، وفي العصور الوسطى وخلال الحروب الصليبية توسع المصطلح ليشمل كل الذين يدينون بالإسلام. وانتقل الاسم إلى اللغات الرومانية وباقي اللغات الأوروبية والتسمية بالإنجليزية هي: Saracen ،باللاتينية: Saracenus،وباليونانية: Σαρακηνός. ويرجح البعض أن أصل الكلمة اشتقت من الكلمة العربية شرقيون (لوصف العرب المشارقة)، بينما التقليد اللاتيني في العصور الوسطى يرجعها إلى اسم ساره زوجة إبراهيم النبي. مترجم

أ.1.1 ملاحظات حول الترجمة

كذلك أراد أن يعظهم بشريعة الوصايا العشر، ومع أن المؤمنين بهذه الشريعة لطالما اعتبروها رديئة، إضافة لموت يسوع المسيح ناهيك عن وشاية يهوذا[1] (التي كانت) بدافع الحسد.

ففي رأيـه[2] هم لم يقتلوه، لكنهم كانوا يفكرون بذلك؛ لهذا السبب فإنهم كخونة فقد تم استرقاقهم وفُرضت عليهم الجزية إلى (غير اليهود)، ولهذا السبب نُظر إليهم كدنسين (...).

أنا أفهم بأنه مغفور رفض المرأة لعلة ارتكابها جريمة الفحش، أو الشبهة، أو ربما سفك الدماء البريئة[3].

إذ إنه في بعض الأحيان يتكلم كمن يهذي، وفي بعضها الآخر كميّت[4].

عندما تولّى المبجّل رودريغو رئيس الأساقفة، بوحي من الله، مقر مدينة توليدو وهذه الكنيسة[5] ومنه عرف أنها دُمّرت على يد أعداء الصليب (...)

---

(1) معنى quam، مثل: magis quam انظر:
Marià Bassols de Climent, *Sintaxis Latina*, Madrid: C.S.I.C., 1956, II, 309 ∫300.

(2) أي محمّد.

(3) يمكن الافتراض أن الكاتب يشير إلى فعل الإجهاض.

(4) «في بعض الأحيان مبتهج، وبعضها الآخر جاف».

(5) «مقر الأسقف الرياسي في طليطلة».

مدفوعاً بالقلق ذاته وملتهباً بحبِّ الإيمان المسيحي، فرّغ دون تأخير بالقس ماوريسيو، رئيس شمامسة (الكنيسة) ذاتها (...)[1].

أ.2 التعليق

أ.2.1 كناية النار[2]

كما لاحظت ناديا بيتروس Nàdia Petrus، تنقسم مقدمة ترجمة ماركوس دي توليدو للقرآن إلى ثلاثة أقسام رئيسة: «الأول يحتوي على سيرة ذاتية لمحمد، والثاني يشير إلى التعاليم التي ينبغي على كل مسلم اتّباعها، وخصص القسم الثالث، بجزئه الأول لرعاة ومحرّكي الترجمة، و (الجزء الآخر) لمصاب المجتمع المسيحي جرّاء الهيمنة الإسلاميّة[3]. «ومع ذلك، وقبل البدء في سيرة محمد، استخدم ماركوس دي توليدو استعارة غريبة للنار. الأسطر القليلة الأولى من المقدمة[4] احتوت على الأقل ثلاث استعارات مختلفة لكنها منتمية إلى الحقل الدلالي ذاته، والذي يتضمن مفاهيم واستخدامات النار والنار ذاتها. ولادة هذا العنصر، الموضّح في بداية المقدمة[5]، تتيح

(1) Add. editor.25

(2) قدمنا الدراسة التالية بمعرِض الملتقى الثاني للباحثين الشباب حول العالم القديم، مدريد، 27_29 تشرين2 2008، بعنوان: ماركوس دي توليدو، مترجمٌ من العربية إلى اللاتينية.

(3) ناديا بيتروس بونس:
Nàdia Petrus Pons, Liber Alchorani quem Marcus Canonicus Toletanus trastulit (Edición crítica de los capítulos I-IV), trabajo de investigación dirigido por Dr. José Martínez Gázquez, UAB 2004, p. 22. [También en:) «El prólogo de Marcos de Toledo al Corán», IV Congreso de la Sociedad de Estudios Latinos, Medina del Campo (Valladolid), 22 – 24 de mayo de 2003.

(4) الأسطر 4 – 17.

(5) الأسطر 7 – 10.

التفكّر في التقنية البدائية للحصول على النار من خلال احتكاك قطعتين مُشعِلتَين، وقد أعطت هذه التقنية للنار معنى جنسياً من خلال عرضها بأنها النسل الوليد من اجتماع عنصرين دنيويين[1]. الكناية التالية هي للنار إذ ترمز إلى الدين المسيحي كإيمان بالله الحي؛ وكان أسلوب العرض هذا شائعاً جداً في العصور الوسطى. وفقاً لدوروثيا فورستنر أوسب Dorothea Forstner Osb[2] فقد اتخذ يهوه في العهد القديم النار رمزاً له، لأنها تعرض الصفات الإلهية بشكل أفضل سواء كوسيلة رائعة وأيضاً مخيفة. عندما عبر موسى الصحراء وأراد تذكير شعبه بكل معجزات الرب، قال:

quia Dominus Deus
tuus ignis consumens est Deus aemulator[3].

لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ إِلهٌ غَيُورٌ.

ثم لاحقاً:

de caelo te fecit audire uocem suam ut doceret te et in terra ostendit tibi ignem suum maximum et audisti uerba illius de medio ignis[4].

مِنَ السَّمَاءِ أَسْمَعَكَ صَوْتَهُ لِيُنْذِرَكَ وَعَلى الأَرْضِ أَرَاكَ نَارَهُ العَظِيمَةَ وَسَمِعْتَ كَلامَهُ مِنْ وَسَطِ النَّارِ».

تتحدث أسفار العهد القديم بشكل متواتر عن الله معلناً عن نفسه كنار تحرق. ومع ذلك، ففي أجزاء أخرى من العهدين القديم والجديد

---

(1) Władysław Kopaliński, Słownik symboli, Varsovia, 1991, p. 266.

(2) Dorothea Forstner Osb Die Welt der christlichen Symbole, trad. W. Zakrzewska, P. Pachciarek, R. Turzyński, Varsovia, 1990, p. 73.

(3) سفر التثنية 4:24.

(4) المرجع السابق 4:36.

يمكننا أن نقرأ عن النار التي لا تحرق، بل التي تنير[1]. ومن الواضح أن ماركوس دي توليدو استخدم الرموز نفسها ذات الأصول الكتابيّة والتي انتشرت في مخيّلات العصور الوسطى. النار، كما عُرضت في المقدمة، هي مطابقة «للعقيدة السليمة»، التي تحرق الخَطأة[2]، وترمز أيضاً لشعلة الروح القدس التي تشتعل نحو الحب[3]. ووفقاً لتقاليد الكتاب المقدس، فالنار ترمز لله، ولكل ما يتعلق به عموماً ؛ الدين والعقيدة المسيحية، الكنيسة إلخ. وأحد استخدامات النار، أي، في الدين، إنارة العتمة كي لا يضيع الناس في الظلام.

من جهة أخرى، ظهور النار من الكبريت، كما ورد في المقدمة، بدلاً من أن تنير للناس، فإنها تُخمد النور بحيث لا يمكنهم النجاة من الجهل فقط، بل تحجب عنهم الحقيقة[4]. حول هذا العنصر نعلم أنه كان معتبراً في القِدم كمكوّن جهنمي.

et ita uidi equos in uisione et qui sedebant super eos habentes loricas igneas et hyacinthinas et sulphureas et capita equorum erant tamquam capita leonum et de ore ipsorum procedit ignis et fumus et sulphur ab his tribus plagis occisa est tertia pars hominum de igne et fumo et sulphure qui procedebat ex ore ipsorum.[5]

وَهَكَذَا رَأَيْتُ الْخَيْلَ فِي الرُّؤْيَا وَالْجَالِسِينَ عَلَيْهَا، لَهُمْ دُرُوعٌ نَارِيَّةٌ وَأَسْمَانْجُونِيَّةٌ وَكِبْرِيتِيَّةٌ، وَرُؤُوسُ الْخَيْلِ كَرُؤُوسِ الأُسُودِ، وَمِنْ

(1) Dorothea Forstner Osb, Die Welt der christlichen Symbole, trad. W. Zakrzewska, P. Pachciarek, R. Turzyński, Varsovia, 1990, pp. 73-74.

(2) السطران 12 – 13.

(3) السطر 16.

(4) الأسطر 10 – 13.

(5) Apocalyp. B. Ioanni Apostoli, 9:17-18

أَفْوَاهِهَا يَخْرُجُ نَارٌ وَدُخَانٌ وَكِبْرِيتٌ. مِنْ هَذِهِ الثَّلاَثَةِ قُتِلَ ثُلْثُ النَّاسِ مِنَ النَّارِ وَالدُّخَانِ وَالْكِبْرِيتِ الْخَارِجَةِ مِنْ أَفْوَاهِهَا.

رمز آخر استخدمه ماركوس في استعارة متقنة في المقدمة هي الأكواب، أو الأواني. يوضح عالم الرموز المسيحية Die Welt der christlichen Symbole الذي أشرنا له سابقاً أن الكلمة العبرية כְּלִי «كيلي» (كيل؟) المترجمة إلى اليونانية σκεῦος تظهر في الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس اللاتينية vas[1]، وهي الكلمة ذاتها التي يستخدمها ماركوس دي توليدو. إنّ رمز الكأس، أو الإنـاء، يمكن تفسيره بطرق متعددة، اعتماداً على محتوى الوعاء[2]. نجد في المقدمة الأواني المصهورة بالنار[3] مما يشير إلى الأواني الطينية. تمثل الأواني الطينية الإنسان، بسبب هشاشة طبيعته الجسدية واعتماده المطلق على الخالق، الذي خلقه من الطين[4].

في المقدمة لدينا، من ثم، نوعان اثنان من النار: نوع يخص «العقيدة السليمة»[5] ونار الكبريت[6]؛ ثم نجد الأواني أو الأكواب المنصهرة في إيمان الثالوث[7]، والتي تشير بشكل واضح إلى أولئك الذين عليهم طاعة الإيمان المسيحي. مع ذلك فإن محمداً الذي «تاه بشكل كلّي» لم يكن منصهراً في هذا الإيمان[8].

---

(1) Dorothea Forstner Osb, op. cit., p. 417.

(2) الأسطر 7ـ10.

(3) انظر السطر السادس.

(4) الأسطر 7ـ10.

(5) السطر 12.

(6) السطر 9.

(7) السطران 17 – 18.

(8) السطر 18.

يشير هذا المقطع إلى أواني الهلاك القديم التي كان ينبغي أن تنصهر في إيمان الثالوث المقدس، وفي هذه الأواني ذاتها يتيه محمد[1]. وفي رأينا إنّ هذا المقطع يمثّل بشكل جليّ الكيفيّة التي فهم فيها المسيحيون العقيدة الإسلامية.المسيحيون، ومارك دي توليدو ليس استثناءً، رأوا في الإسلام انحرافاً عن الكنيسة باعتباره هرطقة[2]. ويبدو أن يوحنا الدمشقي كان واحداً من أوائل الذين استخدموا كلمة «هرطقة» للإشارة إلى الإسلام[3]. كذلك تظهر في مقدمة ماركوس دي توليدو الكلمة اللاتينية heresia ويسمّي محمداً مهرطقاً [4] heresiacha. وكان لدى مسيحيّي القرون الوسطى مبرّرات عدة لينظروا إلى الإسلام على أنه هرطقة؛ إحداها كان إنكاره الثالوث. يقول القرآن:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

---

(1) الأسطر 16 – 18.

(2) Norman Daniel, Islam and the West The Making of an Image, Edinburgh, 1960, p. 184.

(3) «إن اعتبار الإسلام (هرطقة) (αἵρεσις) يتطلب دقة فائقة: إن مفهوم haeresis يجب أن يُفهم بالمعنى الذي يحمله في اليونانية والذي، انطلاقاً من المعنى العام (اختيار)، تنتهزه اليونانية البطريركية لاشتقاق أعطي للكلمة في السفسطة الثانية بمعنى (انضمام، اختيار فكر معين)، ليصبح معناه (مدرسة فلسفية) أو حتى (مذهب، زمرة)».

Pedro Bádenas de la Peña, El islam como herejía en la obra de Juan Damasceno, (en:) M. Barceló-J. Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII-XIII, UAB-Bellaterra, 2005, p17.

(4) anno quo Mafometus heresiarcha cepit Arabibus heresim suam euomere sexcentesimo sexto الأسطر 190 –191: والعام 606 منذ بدأ المهرطق محمد بتقيّؤ هرطقته على العرب.

Él es Dios, es único, Dios, el solo. No ha engendrado ni ha sido engendrado, y no tiene a nadie por igual.[1]

هذا الإعلان يجتثّ بشكل كليّ ألوهية يسوع المسيح، الركيزة الأساسية للإيمان المسيحي. يشرح ماركوس دي توليدو في مقدمته أنه حسب المسلمين، فإن يسوع لم يكن إلهاً وإن محمداً بهرطقته تلك كان قد ابتعد عن الإيمان المسيحي: «إذ إنهم طالما لم يتلقوا ما يكفي من أخبار عن ابن الله، لذلك فإن شعلة الروح القدس بذاتها لم تضئ في حبّهم»[2]. هذا الانحراف، حسب ماركوس دي توليدو، كان السبب وراء سقطة النبي محمد.

في المقطع ذاته، عندما يذكر الكنسي «كأس العذاب العتيق» التي «كان من الواجب أن تُشكّل في (أواني) الرّب، كان يعني في الإيمان بالثالوث الأقدس»[3]؛ مصطلح «الهلاك القديم» غامض؛ ويمكن أن يفسّر على أنه خطوة إلى الوراء نحو الوثنية[4]، أو يمكننا أن ننظر إليه على أنه إشارة إلى صورة الإسلام باعتباره تتويجاً للهرطقات السابقة، لا سيما تلك التي تختلف حول مسألة الثالوث وألوهية المسيح، كالنسطورية أو الآريوسية[5].

بعد تقديم هذا المدخل المختصر حول الهرطقة والهلاك[6]،

(1) CXII, 1-4, El Corán, Introducció, traducción y notas de Juan Vernet, Barcelona, 1998.

(2) الأسطر 15ـ 17.

(3) الأسطر 16 – 18.

(4) Así interpreta J. Tolan los versos 155-159 (en:) J. Tolan, «Las traducciones y la ideología de reconquista: Marcos de Toledo», en M. Barceló-J. Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII-XIII, UAB-Bellaterra, 2005, p. 82.

(5) Norman Daniel, op. cit. pp. 184-88, 276.

(6) الأسطر 4 – 18.

تقصّد ماركوس دي توليدو أن يشرحَ من هو مؤسس عقيدة الإسماعيليين ومن أين أتى. ومع ذلك، بدلاً من أن يركّز على معطيات سيرة النبي، سيحاول المترجم الطليطلي التكهن حول الكيفية التي مكّنت محمداً من أن يختلق عقيدة جديدة.



أ.2.2 الحياة المحمديّة La Vita Mafometi

كان تقديم حياة محمد عموماً أداة في سبيل إنكار الوحي الإسلامي[1]، ومن ثم كان مشوباً بنقص في الدقة والصحة. مع ذلك، ففي حالة ماركوس دي توليدو، فقد وفّر معلومات ذات مصداقية. ولعل هذا هو السبب، في أن الكاهن لم يوفّر تفاصيل جمّة عن حياة النبي، وخاصة إذا ما قارناها مع ما يعرضه لنا خيمينيث دي رادا في عمله.

أ.2.2. 1 مع ذلك وُلد لأبوين نبيلين

Natus extitit ex parentibus tamen nobilibus

في مقدمة ترجمة القرآن نقرأ أن محمداً ولد في مكة، لأبوين نبيلين. وهذه المعلومات تتمتع بالصدقية وفقاً للتقاليد العربية. ينتمي محمد إلى عشيرة الهاشميين hāshimids[2] وهي فرع من قبيلة قريش[3]؛ اسمه كاملًا في اللغة العربية أبو القاسم محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي - (المعنى المحتمل لكلمة "محمد" سيتم مناقشته

(1) Norman Daniel, Islam and the West, The making of an Image, The Edinburgh University Press 1960, p. 79.

(2) إن لم تتم الإشارة إلى مصدر ترجمة الأسماء فإن مصدرها هو:
Encyclopédie de l'Islam, editada por H. A. R. Gibb, J. H. Kramers, E. Lévi-Provençal, J. Schacht et al.; Leiden E. J. Brill., 1975.

(3) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, trad. Hanna Olędzka, Varsovia 1988, p. 43; Adel-Th. Khoury, Los fundamentos del Islam, Barcelona 1981, p. 29.

لاحقاً). Habedileth، وفقاً لماركوس دي توليدو هو اسم أبيه وربما كان هذا الاسم نتاج ترجمة سيئة للاسم الأصلي عبد الله .اسم الأم تؤكده التقاليد العربية لكن مع استبدال الحرف الصوتي e_a، وهو آمنة Āmina.

عندما يعرض ماركوس دي توليدو اسمي والدي النبي يسترعي الانتباه وقوعه في التناقض بينex parentibus tamen secundum gradus seculi nobilibus (مع ذلك وُلد لأبوين نبيلَين وفقاً لطبقات ذلك الزمان)، وبين id est seruo Ydolileth (هو عبد Ydolileth)[1]، وكتفسير محتمل لذلك أن تكون محاولة لترجمة اسم والد محمد باسم «عبد الله»، «عبد 'الإله'». قد تُشير كلمة «Ydolileth» بطريقة أو بأخرى إلى عبادة الأوثـان. قد تكون «Ydolileth» المطابق الحرفي لاسم الإلهة الـلات[2] والتي كانت معبودة بمكّة في حقبة ما قبل الإسلام، مما يمكن أن يرتبط مع موقع أسرة والد محمد التي تولت حماية بئر زمزم[3]. كما أنه ومن الممكن أن تكون كلمة «Ydolileth» اختصاراً لكلمتي: «المعبود (الوثن؟) ídolo: lat. idolum» وكلمة «الـلات». والاحتمال الآخر هو أن يكون ماركوس دي توليدو، أو بعض النّساخ ممن عملوا في مقدمته، أراد ببساطة استحضار مفهوم الوثنية وإضفاء معنًى مزيّف على اسم والد النبيّ وتحريف الكلمة لتبدو متماثلة مع «المعبود (الوثن؟) ídolo». لو أن المترجم كان يريد حقاً شرح معنى اسم والـد النبي مترجماً «عبد Abd» بمعنى

(1) السطران 20 ـ 21.
(2) VictorSegesvary,L'Islam et la Réforme -Etude sur l'attitude des reformateurs zurichois envers l'Islam 1510- 1550, La Haye, la Ho llande 2005, p. 27.
(3) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p. 44.

قين servus، لكان الجزء الثاني من الاسم شيء من قبيل «Ileth» أو «Dileth»؛ لكنه كان «Ydolileth». مع ذلك يمكن الاعتقاد أن الجزء «ـydol» قد وضع هناك عمداً لتشويه أصل محمد[1].

عندما يوضّح ماركوس دي توليدو أن والد النبي كان عبداً (من العبودية لا العبادة) فلا يمكن استبعاد احتمالية أن المترجم قد علم برواية أخرى حول القصة من أنّ عبد المطّلب كان قد نذر عند الكعبة إن هو أنجب عشرة أبناء أن يقدّم أحدهم ذبيحة للمعبد. عندما وُلد الابن العاشر، عبد الله، اختاره الكاهن، عبر السهام المقدسة، ليكون قرباناً مستقبلياً لآلهة المعبد. لكن جدّ محمد لم يكن قادراً أن يقرر التضحية بابنه، وفي بحثه عن حل لهذه المعضلة، هرع إلى راءٍ في يثرب فنصحه أن يُضحّي بعشرة من الإبل[2] فداء للطفل. في النهاية، ولأجل إيفاء النذر وتخليص عبد الله، كان على عبد المطّلب أن يضحّي بمئة من الإبل. وهكذا، تم شراء حياة والد النبي بثمن غال، وربما هذا هو السبب الذي لأجله أسموه أولّا بعبد الدار، لأنه كان قد اشتُرِيَ كالعبد، ثم سُمّيَ عبد الله.[3]

ومن الجدير بالذكر أن تفسيراً آخر محتملاً على الرغم من أنه مستبعد، وبناء عليه فإنّ ماركوس دي توليدو وعن طريق الخطأ لم يُشر إلى والد محمد، بل إلى جدّه، فجدّه كان من حُماة زمزم أيضاً، ونعلم أنه قبل أن يُدعى عبد المطلب كان يُعرف باسم شيبة. أرجعه

---

(1) أشكر الأستاذ Oscar de la Cruz على هذه الملحوظة.

(2) W. Montgomery Watt →'Abd Allāh b. 'Abd Al-Muttalib [en:), The Encyclopaedia of Islam, editada por H. A. R. Gibb, J. H. Kramers, E. Lévi-Provençal, J. Schacht, vol. I, p. 42.

(3) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p. 44.

عمّه المطّلب برضاه إلى مكّة والذي قدّمه هناك على أنه عبده مما أدّى لتغيير اسمه إلى عبد المطلب[1].

أ.2 .2. 2 كما لو أنه آتٍ من دهن الإثم في مكة

prodiens ex adipe iniquitatis in Mecha

رأى كتّاب العصور الوسطى بشكل واضح أن للجزيرة العربية حيث وُلد محمد أهميّة لا يمكن إنكارها من أجل دراسة حياته[2]. وكـان إخبار القارئ عن مسقط رأس النبي يتمّ عبر إعطاء بعض التوضيحات حول إلهام مؤسس الإسلام والنجاح الذي لقيَه دينه. كان الهدف الرئيس للجدل المسيحي المستخدم، بين أمور أخرى، من قِبل ماركوس دي توليدو، إثباتَ أنّ محمداً هو واضع دينه، ومن ثمّ التشكيك بفكرة الوحي، مثبتاً أنها كانت نتاج ظروف ذاتيّة تتعلق بالمكان والزمان[3].

في مقدمته للقرآن قدّم ماركوس دي توليدو أصلاً خاطئاً لكلمة

(1) Juan Vernet, Mahoma, Madrid, 1987, p. 20–21; Maurice Gaudefroy–Demombynes, ibidem. W. Montgomery Watt يقدّم هذه القصة بطريقة نقديّة: «Some time after Hāshim's death his brother al–Muttalib tried to strengthen his deteriorating position in Mecca by bringing his gifted nephew from Medina to help him. The common explanation that the youth was called ʿAbd al–Muttalib because he was mistaken for the slave of al– Muttalib is not acceptable;; the name has probably a religious significance.» W. Montgomery Watt →ʿAbd Al– Muttalib b. Hāshim (en:), The Encyclopaedia of Islam, edd. H. A. R. Gibb, J. H. Kramers, E. Lévi–Provençal, J. Schacht, vol. I, p. 80.

(2) Norman Daniel, op. cit., p. 79.

(3) انظر المرجع السابق. p. 67–68.

«مكة» بحيث ترجمها moechal ae أي «زانيـة»[1]. ويبرّر المترجم الطليطلي الترجمة بأنها تجسيدٌ لمكة، موضحاً أنها تخلّت عن الله، قرينها الشرعي، وبدلاً من أن تكون وفيةً لواحد أسلمت نفسها للعديد من الآلهة، وهو سبب يجعل من الواجب أن ينظر إليها كداعرة[2]. هذه المدينة الفاحشة، وفقاً للكاهن، كانت في الواقع مركزاً تجارياً ودينياً ذا شهرة واسعة وله أهميته لدى العديد من القبائل البدوية[3]. ونحن نفترض أن كاتب المقدمة، إضافة للاستفادة من إمكانية التحقير، كان يدور في خلده فضح كثافة العبادات الدينية في تلك المنطقة. وانطلاقاً من كناية الفحش، أعطى المترجم تفسيراً محتملًا لماذا كان محمد وثنيّاً. ومن الملاحظ أن التقاليد العربية قد تحفّظت على ذكر عبادة محمّد للأوثان. ومن المعلوم أن النبي كان قد عبَد كالأسلاف، الكعبة، وشارك في العمرة والحج (الحجيج)[4]. كذلك فمن الوارد أن يكون ماركوس دي توليدو قد لجأ إلى التفسير القائل إنّ بعض آيات القرآن قد ألمحت إلى وثنية محمد خلال فترة معينة من الزمن قبل أن يستهلّ رسالته. ومن المرجح أن يكون الأساس لهذا التفسير هو السورتين 93 (الضحى) و42 (الشورى)[5].

---

(1) الأسطر 19 – 25.

(2) Norman Daniel, p.80. اضيأ رظنا .قباسلا عجرملا John Tolan, Las traducciones y la ideología de reconquista: Marcos de Toledo, p. 80,[en:) Miquel Barceló, José Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII y XIII, Bellaterra, .2005

(3) عادل الخوري:

Los fundamentos del Islam, trad. del aleman por Claudio Gancho, Barcelona 1981, p. 24; Józef Bielawski, Islam, Varsovia 1980, p. 14;; Edward Szymański, Mahomet [en:) Od Mojżesza do Mahometa, Varsovia 1970, p. 233.

(4) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p. 50

(5) Livio Tescaroli, El Corán y el Islam, trad. Juanjo Armendáriz, Javier Sotil,

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾[1]

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]

يمكن رؤية وثنية الشاب محمد كحجة ضد مصداقيته كنبيّ. فإن افترضنا تفسير الاسم Habedileth[3] على أنه عبد الوثن اللات يمكننا أن نستنتج أن ماركوس دي توليدو يحاول أن يصلَ لتوكيد حقيقة أن أسرة النبي وهو ذاته أيضاً كانوا قد اعتنقوا عبادة ذات تمثيلات ألوهية متعدّدة[4].

لكن، كما يقترح ماركوس دي توليدو، تَدين مكة بأهميتها إلى العديد من الأوثان التي تعبد هناك، ومع ذلك، فقد توفّرت لمحمد الأخبار عن اليهودية والمسيحية[5]:

(...) Et tuba intonuisset appostolorum et in omnem terram sonus eorum exiuisset ad eum usque peruenit quod

---

Barcelona 1980, p. 36.

(1) سورة الضحى الآيات 5 – 7، النص الإسباني المترجم من: El Corán, Introducción, traducción y notas de Juan Vernet, Editorial Planeta 1998, XCIII, 5-7.

(2) سورة الشورى، الآية 62، النص الإسباني المترجم: المرجع السابق XLII، 52.

(3) السطران 20 – 21.

(4) انظر Norman Daniel، op. cit. p.83

(5) انظر Norman Daniel، op. cit. p.80

Christiani fidem iam colerent Sancte Trinitatis, et quod ipsi unum in deitate, trinum in personis esse Deum crederent, ad predicacionem appostolorum, et Iudei unum eundemque colerent Deum, non tamen trinum in personis sicut Christiani confitebantur (...)[1]

(...) وكما يصدح بوق رسل (المسيح) كذلك صدح صوته عبر الأرض كلها، حتى إنه ذهب إلى أن المسيحيين اعتنقوا إيمان الثالوث المقدس، وأنهم هم ذاتهم يؤمنون أن الله كان أحداً في الألوهية والثليث، وفقاً لوعظ الرسل (المسيح). اليهود يعبدون الإله الواحد ذاته، لكن دون تثليث كما يؤمن المسيحيون (...)

سواء في مقدمة ماركوس دي توليدو للقرآن أم تاريخ العرب لرودريغو خيمينيث دي رادا هناك اعتراف بالوثنية الموجودة في البيئة المحيطة بمحمد في فترة شبابه، تلك الوثنية التي انتهت مع الإسلام[2]. إضافة لذلك، يرى ماركوس دي توليدو في دين محمد شيئاً مركّباً من المسيحية واليهودية والعقائد الوثنية. ولذلك فالكاتب يفترض أن هذه الديانات كانت متواجدة في الجزيرة العربية وأثرت على النبي بطرق مختلفة[3].

أ.2 .2. 3 عندما علِم أن المسيحيين واليهود يعبدون الإله ذاته، وما إن تلقى تعاليم العهد الجديد...

cum fuisset expertus quod tam Iudei quam Christiani Deum colerent et in Veteri et Nouo Testamento fuisset instructus...

---

(1) الأسطر 31 – 35.

(2) انظر القسم: De instructione et prima ostensione Machometi

(3) انظر: Norman Daniel op. cit. p.84

وبعد أن شرح نسب مؤسس الإسلام والبيئة المحيطة به، يصف ماركوس دي توليدو ماهيّة تعليم محمد. وفقاً لمقدمة القرآن، فالنبي درس الأدب في بلاد بعيدة. ويمكن لهذا الظنّ أن يهدف إلى شرح الخطوات التي قام بها محمد لاحقاً: من حيث عمله كتاجر ووضعه للكتاب المقدس.

يبقى أن رحلاته التجارية إلى سوريا مؤكدة[1]. إذ يشير ابن إسحاق[2] إلى أن محمداً عندما كان ولداً رافق عمه أبا طالب في إحدى هذه الرحلات وفي الطريق تصادف أن التقى بالراهب بحيرا، الذي يدعى في روايات مختلفة سرجيس أو جورج، والذي كان مثل سِفْر مليء بالنبوءات، حيث أشار إلى محمد كمرسل من عند الله[3]. ومن الممكن أن ماركوس دي توليدو أشار من بعيد في السطرين 28 – 29 إلى هذا الحدث. مع ذلك فإنّ كلاً من Juan Vernet وكذلك ماوريس جُوذْفروا ديمومبين Maurice Gaudefroy_Demombynes كانا قد اتفقا على أن بداية أسفار النبيّ بدأت في وقت لاحق ولم تكن في سني طفولته[4].

على الرغم من أن الرحلة إلى اليونان تبدو كرخصة شعرية[5]

(1) W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Oxford University Press 1968, p.36-38.

(2) الاسم كما ورد في الإسبانية Ibn shâq. كما ورد في ترجمة كتابه:
La Vie du Prophète Muhammad L'Envoyé d'Allâh...

(3) Juan Vernet, op. cit., p.29-31.

(4) Juan Vernet, op. cit. p. 31; Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p. 48.

(5) ترخيص فني، المعروف أيضاً الترخيص المسرحي والترخيص التاريخي والترخيص الشعري والترخيص السردي أو مجرد (رخصة) هو مصطلح عامي، أحياناً تعبير لطيف، يستخدم للإشارة إلى تشويه الحقيقة، تعديل اتفاقيات للتدقيق النحوي أو اللغة، أو إعادة صياغة النص موجود مسبقاً الذي أدلى به هو الفنان لتحسين قطعة من الفن. ـ مترجم

للمترجم الطليطلي، يُفترض أن محمداً حافظ على licentia poetica بعض التواصل مع مسيحيين ويهود أثناء أسفاره التجارية[1]. ومن خلال رحلاته إلى سوريا تمكن من الحصول على بعض المعرفة بهذين الدينَين، وذلك بفضل تواصله مع عدة جماعات دينية[2]. هذه الاتصالات مع يهود ومسيحيين تبدو واضحة في القرآن، حيث لا يُفترض أن محمداً كان قادراً على الوصول الموثوق إلى اليهودية أو المسيحية أو أنه أحسّ باتّباع أي من هاتين الديانتين التوحيديتين[3]. بالتطابق مع تفسير ماركوس دي توليدو، الذي يرى أن العقيدة الإسلامية هي كالعقيدة المسيحية لكن بفهم مغلوط، من المسلّم به أن المعرفة بالمسيحية التي وصلت إلى العرب المعاصرين لمحمد كانت ضحلة، وصِلتهم كانت عبر مسيحيين من ذوي الدراية الضئيلة بالدين، وعبر تواصل عابر مع الجماعات المسيحية في شمال وجنوب الجزيرة العربية[4].

في كل الأحوال، إذا تركنا جانباً الاحتمالات التاريخية، يجب علينا أن لا ننسى أن هناك تقليداً راسخاً من القرون الوسطى، مسيحياً، يعتبر أن محمداً كان في المقام الأول يسافر إلى بلاد بعيدة. وكان من الشائع أن تُقرن أسفاره مع مهنته كتاجر أيضاً. وقد أعطت فكرة أسفار محمد العديدة تفسيراً مقنعاً جداً حول معرفته بالمسيحية واليهودية[5].

من المثير للاهتمام أن ماركوس دي توليدو ذكر تدرّب محمد

(1) Józef Bielawski, op. cit., p. 27.

(2) عادل خوري Adel_Th. Khoury، op. cit.، p.29

(3) المرجع السابق ص27.

(4) عادل خوري Adel_Th. Khoury، op. cit.، p.28

(5) Norman Daniel, op. cit., p. 88.

على علم الفلك[1]. وفي رأينا، فإن عبارة فنون الرياضيات التي استخدمها المترجم الطليطلي مستقاة من اليونانية μαθηματική τέχνη، والتي تعني «علم التنجيم». نحن لا نؤيد النظرية التي بحسبها يعتبر ماركوس دي توليدو أن محمداً كان قد أُوعز له أن يكون عرّافاً[2]، في ظل غياب أي نوع لوصف أحداث سحرية أو معجزات في مقدمة القرآن. كذلك ليس حقيقياً أن محمداً كان قد قُدّم على أنه عرّاف. المقطع الوحيد الذي يمكّن أن يؤدي تفسيره إلى هذه النتيجة يُفهم ما بين السطور:

Cumque per fantasticas delusiones ut magicus populos rudes seduceret[3].

وبالأوهام الجميلة، مثل ساحر، أغوى شعباً جاهلاً إلّا أنّ الأمر يتعلق باستعارة، حيث يستخدم الطليطلي الصيغة الشرطية. إضافة لذلك، فالمقطع ينتمي إلى سياق بلاغيّ أكثر منه إخباريّ. بالمقابل، من المحتمل أنّ ماركوس دي توليدو كان على معرفة بالكهّان أو المنجمين الآتين من العراق أو سوريا مما جعله يقوم بالتعميم حول شخص النبي[4]. ومتابعاً في المسار التفسيري ذاته بحيث تكون

(1) السطران 29 – 30.

(2) قارن:
John Tolan, Saracens, Islam in the Medieval European Imagination, Columbia University Press 2002, p. 183; et isdem, Las traducciones y la ideología de reconquista: Marcos de Toledo, p. 80,[en:) Miquel Barceló, José Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII y XIII, Bellaterra,2005.

(3) السطران 148 – 149.

(4) انظر:
on Barkai, El enemigo en el espejo, Cristianos y musulmanes en la España medieval, Madrid 2007, p.34.

مقدمة ماركوس دي توليدو صالحة لشرح أصل محتوى القرآن، من المرجح أن يكون الكاهن أراد تبرير توافق القرآن مع المعطيات العلمية. ومتمايزاً عن الكتاب المقدس «يشير القرآن إلى وقائع كونية (...)، تشكّل المطر (30، 47/ 48) «الروم»، الأصل المائي لجميع الكائنات الحية (21، 31/ 30) «الأنبياء»،كروية الأرض (39 7/ 5) «الزمر»،جريان الشمس نحو نقطة ثابتة (36، 38) ... إلخ[1] كيف كان لمحمد أن يحصل على كل هذه المعارف لو لم يدرس علم التنجيم؟ يبدو جليّاً، بحسب الكتّاب المسيحيين في القرون الوسطى، أنّ حقيقة أن النبي قد تعلّم ما وضعه آنفاً في كتابه ألغت احتمال أن يكون محتوى القرآن قد أوحيَ إليه.

وفقاً للمترجم، لمّا أصبح محمد على دراية بتعاليم العقيدتين المسيحية واليهودية، وعندما صار بارعاً بالفعل في علم التنجيم، عاد دونما تأخير إلى الجزيرة العربية للتبشير بين مواطنيه. ومن خلال تقديم الرحلات كمصدر لمعلومات للنبي، يستعرض ماركوس دي توليدو أكبر مشكلة تطرحها مقدمة القرآن: أوجه التشابه والتمايز بين الإسلام وبين الدينين التوحديَين الآخَرين، أو يمكن القول بشكل آخر، استخدام محمد لمعرفته في المسيحية واليهودية في خلق العقيدة الإسلامية. ويفترض المترجم الطليطلي أنه كان على محمد أن يدرس ليكتسب المعرفة وثم يشوه تفسير العهدين القديم والجديد (30_42).

وبالفعل، فإن كل البيانات التي يذكرها ماركوس دي توليدو في الأسطر 18_42 هي بمثابة شرح لكيفية إعداد 'محمد' Mafometus

(1) Livio Tescaroli, "El Corán y el Islam", Barcelona 1980, p. 28.

نفسه من أجل خلق هرطقة جديدة: أولاً، نقرأ أن مكة تلوّثت بعدة عبادات شيطانية، دونما إخبار عن المسيحية، وأن محمداً لم يكن، كما ينبغي أن يكون، قادراً على إخضاع روحه «لله الحي». ثم يصل إلى تعلّم محمد معلومات مفادها أن هناك عقائد توحيدية، ومن خلال أسفاره كتاجر، كان يحاول تعلّم أمور أكثر عنها. وبعد أن استعلم بما فيه الكفاية عن اليهودية والمسيحية، عاد محمد إلى بلاده. وهكذا تنتهي حقبة التحضير الأولى للنبوة الكاذبة...

4.2.2.أ محمد يريد أن يبشّر

ابتداءً من السطر 40 وما يليه، بعد أن انتهت عملياً قصة حياة النبي تبدأ قصة دعوته. في هذه الأسطر[1] يروي لنا كيف أراد محمد أن يدعو وكيف توجّهت تصرفاته وفقاً لهذه الإرادة. وحسب ماركوس دي توليدو، ففي البداية لم يكن 'محمد' Mafometus متأثراً بأيّ وحي ولا بتدخّل إلهي.

كتّاب سيرة محمد الذاتية المعاصرون لا ينكرون تأثير اليهود والمسيحيين على محمد الذي، ما إن حصل على المعرفة حول كلام أنبياء إسرائيل القدماء وتعاليم المسيح والرسل، حتى فَهم أن وحيه يتأتّى من هذا المصدر[2]. ومع ذلك، لا يرى ماركوس دي توليدو في الوحي الإلهي سبباً لتبشير محمد. في الواقع، قد يكون من المستغرب أن نجد السبب لماذا قرر أن يبشّر ؛ والتفسير المنتَظر بأن محمداً يريد أن يبشر كي ينال المُلك لا يظهر حتى السطر 124 وما يليه:

(1) الأسطر 43–47.

(2) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p. 51.

Et ipse sicut Legatus Dei et Propheta ad instar Dauidis et Salomonis regnum obtineret et tamquam regi et Prophete uniuerse naciones obedirent collaque sua penitus in omnibus ei subderent.

هو ذاته، كمرسل من الله وعلى نهج داود وسليمان، سيقبض على الملك وبحكم كونه ملكاً ونبيّاً، فالأمم ستنقاد له مقدِّمة أعناقها وخاضعة بكل شيء.

يبدو أن النبي كان يريد أن يبشّر بشكل أساسي من أجل تدمير الوثنيّة:

[1](...) et ydolatriam quoad posset destrueret in illis (...)

وكيف سيدمّر الوثنية في تلك النواحي

Causa quippe que eum ad hoc traxit propositum fuit ut intencio ut dampnata ydolatria homines sicut iam in aliis regionibus experiencia didiscerat ad colendum unum Deum inuitaret.[2](...)

الأسباب التي دعته إلى هذه الوصايا كانت تقصد وبعد إدانة الوثنية، دعوة الناس إلى عبادة إله (واحد) كما تعلّم من التجربة في أقاليم أخرى.

Huius autem stili turbacio a nonnullis excusatur, eo quod asserunt eum invisibiliter ab angelo uexari in anima et corpore et angariari ut homines amouerentur ab ydolatria ad colendum unum Deum[3] ....

---

(1) السطر 44.

(2) السطر 121 وما يليه.

(3) السطر 145 وما يليه.

كان اضطراب أسلوبه معذوراً من قبل بعضهم، الذين يدّعون أنه مهتاج بشكل خفي في الروح والجسد، ومؤيدٌ بملاك لإبعاد الناس عن الوثنية بغية عبادة إله واحد.

السبب الذي من الممكن أنه قاد ماركوس دي توليدو إلى استنتاج مفاده أن محمداً قد بشّر لأجل كبح الوثنية، يكمن في السورتين 109 و6 :

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ

لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ

وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ

وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ

وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (109 سورة الكافرون)

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (6 سورة الأنعام، آية 57)

في المقاطع الآنفة الذكر، من المألوف رؤية الدليل الحاسم على القطيعة النهائية بين الإسلام وعبادة الأوثان، بحيث يمكن تفسيرها على أنها بيان رفض لأي تسوية مستقبلية بين الإسلام والوثنية[1]. ووفقاً للتقاليد العربية فقد «أوحيت» السورة 109 'الكافرون' لمعارضة

(1) W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Oxford University Press 1968, p. 107.

اقتراح تقدّم به وثنيّو مكة، بمعنى إمكانيّة إيجاد عبادة مشتركة لله وللأوثان[1].

ومن المثير للاهتمام حقيقةَ أنه على الرغم من أنّه في مقدمة القرآن لماركوس دي توليدو كانت الحالة الوثنية واضحة وجليّة في مكة، فالكاهن لا يحاول إبراز الدور الاجتماعي أو التشريعي لمحمد في المجتمع العربي[2]. بدلًا من ذلك، يشير في نهاية المقدمة[3] إلى عدائية المسلمين.

في الختام، يمكننا القول إن خلفية حياة محمد، الجزيرة العربية، الأرض التي وُلد فيها، نشأته، أسفاره ورغبته في التبشير، كل هذا تم استعراضه من قبل ماركوس دي توليدو لتقديم الدليل على الطبيعة البشرية تماماً للنبي. وحتى في مرحلته الوثنية، يمكننا أن نجد لمسة من التحقير. التأثيرات المسيحية واليهودية تفسّر مضمون عقيدته، وكما سنوضح أدناه، فإن طريقته في التبشير لم تكن أصيلة[4].

أ.2 .2 استنبط منهما شريعة ثالثة

Ex utraque legem terciam conderet

بعد أن تلقى تعليمه في اللاهوت المسيحي واليهودي، بدأ محمد يتساءل أي من المذهبين سيكون مناسباً لشعبه. ماركوس دي توليدو، مثنياً على دينه هو (دين دي توليدو، المسيحية)، يسعى لإقناع القارئ

(1) El Corán, Introducción, traducción y notas de Juan Vernet, Editorial Planeta 1998, nota pie de página Azora 109, sine pagina.

(2) انظر أيضاً: Norman Daniel op. cit. p.242

(3) السطر 152 وما يليه.

(4) المرجع السابق ص 274.

أن محمداً لم يختر أن يبشّر بالمسيحية لأنها بدت له صعبة للغاية وطموحة. يشير الطليطلي إلى مقطع من الإنجيل حسب متّى ليجسّد صلابة العقيدة المسيحية والتواضع الشديد الذي يبشر به:

Ego autem dico vobis: Non resistere malo; sed si quis te percusserit in dextera maxilla tua, praebe illi et alteram;[1]

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً.

يبرز الكاهن أيضاً حقيقة أن العرب لا يمكنهم فهم عقيدة الثالوث المسيحية[2].

تبدو مثيرة للاهتمام الاستعارة المستخدمة في الأسطر 52ـ55 حيث يقارن بين العرب في حقبة ما قبل الإسلام العربية مع الحمقى الحمير. ويمكن تفسير هذه المقارنة كمفتاح لرؤية كرازة يسوع المسيح كخبز القربان المقدس، والغذاء الروحي «الذي لا يقوت الجسد فحسب، بل إنه يحيي النفس البائدة». ويمكن أن نرى ما يقابلها في آيات الكتاب المقدس:

Adflixit te penuria et dedit tibi cibum manna

Quem ignorabas tu et patres tui Ut ostenderet tibi quod non in solo Pane vivat homo sed in omni verbo Quod egreditur ex ore Domini[3]

---

(1) متى، 5:39. كذلك لوقا، 6:29:
Ei qui te percutit in maxillam, praebe et alteram; et ab eo, qui aufert tibi vestimentum, etiam tunicam noli prohibere.

(2) السطران 49 – 50.

(3) سفر التثنية 8،3 كلمات كان يكررها يسوع المسيح في الصحراء عندما كان يغريه الشيطان: Non in pane solo vivet homosed in omni verbo quod procedit de ore Dei. متى 4،4

فأذلك وأجاعك وأطعمك المن الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك ليعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان.

من الممكن الافتراض أنه لو كان محمد قد عرض على مواطنيه الغلال، والتي حسب الرموز المسيحية تعني القيامة[1]، لكانت تحركت الروح عند العرب[2]. ومع ذلك، عرض عليهم النبي كل ما هو مخالف: النبات والقش والتبن[3]. والشيء المدهش هو أن ماركوس دي توليدو يرى أن العرب كانوا على استعداد لاعتناق الدين المسيحي. ولو أن "محمداً" Mafometus لم يبشرهم بعقيدته الكاذبة لكانوا تحولوا (آمنوا) واعتنقوا الايمان الحقيقي (المسيحي).

لاحقاً، يذكر ماركوس دي توليدو أن محمداً لم يُرد أن يبشّر باليهودية انطلاقاً من نظرته السيئة تجاه اليهود. من الممكن أن تكون الأسطر 55–68 مستوحاة من السورة 4:

(1) Dorothea Forstner Osb, op. cit., pp. 200-201

(2) السطر 54.

(3) السطران 54 – 55.

بِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا النساء، 156ـ157	كذلك أراد أن يبشرهم بشريعة الوصايا العشر، ومع أن المؤمنين بهذه الشريعة لطالما اعتبروها رديئة، أضف لموت يسوع المسيح ناهيك عن وشاية يهوذا (التي كانت) بدافع الحسد. ففي رأيه هم لم يقتلوه، لكنهم كانوا يعتقدون ذلك،	Legem quoque Decalogi uo luit eis predicare, tamen quia legis illiu s obseruatores infames habebantur propter necem Ihesu Christi, quam per prodicionem Iude l iuore duct i secundum oppin ionem suam non occiderant, cogitauerant tamen,

من المثير للاهتمام، حقيقة أن ماركوس دي توليدو لم يُشر إلى ترجمته الذاتية لهذا المقطع من السورة. الترجمة التي قام بها لهذا المقطع كما يلي:

157 Et quia dixerunt: «Cristum Ihesum, filium Marie, occidimus Prophetam Dei», et non occiderunt ipsum neque crucifixerunt, sed uisum fuit eis. Et qui discordarunt in ipso, in magno sunt de ipso dubio, nihil de ipso sciunt, nisi quia imitantur opinionem et non interfecerunt eum ueraciter.[1]

يمكن أن يُظهر لنا هذا أن مقدمة ماركوس دي توليدو للقرآن كُتبت قبل قيامه بترجمة القرآن وأن المترجم كان قد حصل على معلوماته عن الإسلام من مصدر آخر، قريب جداً من التقليد القرآني. يمكن للمقدمة إلى القرآن أن تكون شهادة حول ما كان يعرفه ماركوس دي توليدو عن الدين الإسلامي قبل أن يترجم القرآن.

من ناحية أخرى، فالمقطع:

quia sicut proditores in seruitutem redacti gentibus tributa reddebant, et ob hoc ab omnibus sicut prophani uidebantur

(1) السطران 54 – 55.

eorum obersuaciones prout in Pentateuc continetur, exsecrandas esse decreuit[1].

لهذا السبب فإنهم كخونة تم استرقاقهم وفُرضت عليهم الجزية إلى (غير اليهود)، ولهذا السبب نُظر إليهم كدنسين.

ليس فيه أي إعـادة صياغة لنص من القرآن، بل إنه دليل بأن ماركوس دي توليدو يبحث عن المسببات ومقدماً، مرة أخرى، تفسير مغلوط حول خبر قد وصله حول الإسلام. إذ ليس صحيحاً، بأنه في حقبة محمد كان على اليهود أن يدفعوا الضرائب لأنهم قتلوا المسيح، أو أنهم كانوا من ذوي السمعة السيئة لهذا السبب. يهود المدينة الذين تذكرهم السورة (النساء) الرابعة[2] كانوا يمتلكون سوقاً، وكان لديهم أغنى الحقول في الواحة المدنيّة. أضف إلى ذلك دخولهم في تحالفات مع بعض العشائر العربية القوية[3]. لذلك، من الممكن الافتراض أنهم في تلك الحقبة كانوا أناساً أغنياء وذوي نفوذ على الرغم من كونهم منغلقين في عاداتهم ودينهم. مع ذلك، كان وضع اليهود في ظل حكم الملوك المسيحيين مختلفاً. «كانت الجماعات aljamas[4] أو المجتمعات تدفع ودائع أو مساهمة عن كل رأس، وكانت أيضاً تعطي العُشر للكنيسة[5]».

(1) الأسطر 58 – 60.

(2) El Corán, Introducción, traducción y notas de Juan Vernet, Editorial Planeta 1998, p. 86.

(3) W. Montgomery Watt, Mahoma, profeta y hombre de estado, Buenos Aires 1973, p. 89.

(4) الجماعة Aljama (الإسبانية: (alxama)، البرتغالية: (ɐłʒamɐ)، الكاتالانية: (əłʒamə)هـو مصطلح من أصل عربي مستخدمة في الوثائق الرسمية القديمة في إسبانيا والبرتغال للدلالة على المجتمعات ذات الحكم الذاتي من المغاربة واليهود الذين يعيشون تحت الحكم المسيحي في شبه الجزيرة الإيبيرية. في الوقت الحاضر بعض المدن الإسبانية، لا تزال تطبق الاسم على بعض المجتمعات. مترجم

(5) Américo Castro, España en su historia: cristianos, moros y judíos, Barcelona 1983, p. 452.

حسب المترجم الطليطلي، لم يجد محمد في أي من الدينَين ما هو مناسب بشكل كاف. بدا له الدين المسيحي لا يطاق لجهة تواضع المؤمنين به، وبدت اليهودية له سيئة الذكر. لذلك، قرر النبي إنشاء شريعة ثالثة انطلاقاً من الاثنتين، والتي في بعض تعاليمها سوف تتشابه مع أصول العهد القديم وفي تعاليم أخرى مع العهد الجديد، ولكن سيكون فيها أيضاً أجزاء لا تتشابه لا مع هذا ولا مع ذاك[1].

ينص ماركوس دي توليدو بشكل صحيح أن للقرآن باللغة العربية تسمية مزدوجة: «(القرآن) Alchoranus»، ويأتي أصلها من الكلمة العربية «قراءة»، وترجمها الكاهن بـ «leccionarius»؛ و« (الفرقان) Alforcanus» باللغة العربية «الفرقان diferenciación» (يفرق بين الخير والشر scilice) والذي يظهر في المقدمة [2]distinctus المترجم قدّم مرة أخرى هنا نوعاً من تأصيل خاطئ، شارحاً أن اسمه distinctus لأنه يتمايز عن العهد القديم والعهد الجديد[3].

قد يشير ذِكر أن القرآن تم تأليفه سراً إلى واقع أن محمداً تلقى «وحيه» في مكان قاصٍ. ووفقاً لشهادة الزهري حول وحي النبي، بدأ

---

(1) الأسطر 61 – 65.

(2) كلمة القرآن، حسب قتادة وأبي عبيدة، مشتقة من الجذر العربي ق ر ن والذي يعني جمع، بمعنى الكتاب الذي يجمع كل وحي الإله. كتّاب آخرون يرون أن الكلمة تنتمي لأصل سرياني «قريانا» التي تعني ترتيل، القراءة بصوت عال، عظة. ومن ثم أصبحت تدلّ على الكتاب الذي يتضمن التبشير المحمدي. كما أن للكتاب أسماء أخرى أقل استخداماً، كاسم الفرقان (21، 48/ 49) (الذي يفرق بين الخير والشر)؛ هدى، (الصراط المستقيم)،إلخ. Juan Vernet, Introducción (en:) El Corán, Introducción, traducción y notas de Juan Vernet, Editorial Planeta 1998, p. XI

(3) السطران 69، 70.

محمد يبحث عن العزلة فكان يذهب إلى غار حراء ليقوم بالتحنّث، وهو بعضٌ من التأمل أو الرياضة الروحية. هناك كان يمضي بضع ليال قبل أن يعود إلى عائلته. خلال واحدة من انعزالاته تلك نزل عليه الحق[1].
من ناحية أخرى، على الرغم من أن بدايات الوحي الأولى للنبي كانت شبيهة برؤى النساك المسيحيين[2]، بدا أن ماركوس دي توليدو كان مهتماً في إبراز أمر السريّة، والنوايا الخفية، وإمكانية الخداع.

كما سبق وأشارت M–Th. D'Alverny إلى الفاتحة، حيث ارتكب المترجم الطليطلي خطأً في احتساب عدد الفصول[3]. ويكمن الخطأ الحاصل في عدم احتساب سورة الفاتحة كفصل مستقل، بل إنه ضم السورتين CXIII 113 وCXIV 114 في سورة واحدة. إذ إن كل ستين 'قسم فرعي' هي في الواقع 'جزء'[4].

أ.2 .3 .1 مرض الصرع

Morbus caducus

ترافق تبشيرات النبي مع نوبات مرض غامض يشبه، حسب

(1) W. Montgomery Watt, Muhammad at Mecca, Oxford University Press 1968, p. 40.
(2) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p. 52.
(3) M.-Th. D'Alverny & G. Vajda, «Marc de Tolède, traducteur d'Ibn Tumart» (en:) Al-Andalus 16 (1951); Al- Andalus 17 (1952), p. 263 n. 5.
(4) Nàdia Petrus Pons, Liber Alchorani quem Marcus Canonicus Toletanus trasrulit (Edición crítica de los capítulos I – IV), trabajo de investigación dirigido por Dr. José Martínez Gázquez, Departament de Ciències de l'Antiguitat i de l'Edat Mitjana, UA B 2004.
حول المسائل الشكلية للترجمات اللاتينية للمصاحف، راجع المقال:
de Margarida Castells Criballés, Alguns aspects formals de la traducció llatina de l'Alcorà de Robert de Ketton (ca. 1141 -1143) i la seva relació amb el text original àrab, (en:) Faventia 29/2, 2007, págs. 79-106.

ماركوس دي توليدو، الصرع. وفي مخيّلة القرون الوسطى شكّلت نوبات الصرع لدى محمد جزءاً لا يتجزأ من وسائل تبشيره، بيد أن المترجم الطليطلي لا يقبل دون قيد أو شرط مرض النبي؛ إذ يقول عن محمد بأنه «كان يرتمي على الأرض بعنف ويرتجف كما في (نوبات) الصرع»[1]؛ ماركوس دي توليدو لم يتمكن بالتأكيد من القول إن محمداً كان ممسوساً بالشيطان[2]، لكن المترجم يقول إن النوبات المترافقة مع التبشير يمكن أن تعطي انطباعاً بوجود مسٍّ شيطاني:

Cumque turbatis iam occulis quasi a demonio arreptus exurgeret[3].

وعندما كان يفتح عينيه كان يحملق بطريقة كما لو أنه يُظهر قوة الشيطان.

أعطت نوبات الصرع، تلك المروعة والمذهلة، الكتّاب المسيحيين تفسيراً جيداً حول أسباب تمكّن محمد من أن يكونَ مبهراً، ومن ثمّ اجتذاب كثير من المؤمنين. عندما قال النبي إنه كان على تواصل مع الملاك جبرائيل، كانت مجرد كذبة بسيطة لإخفاء السبب الحقيقي لنوباته التي وحسب مسيحيّي العصور الوسطى كانت ناجمة عن المرض[4].

ماركوس دي توليدو، وكعادته في تقديم شروحاته مقرونة بالأمثلة، يشرح للقارئ لماذا بدت تبشيرات محمد وكأنها نوبات

---

(1) السطران 76– 77.

(2) انظر: N. Daniel op. cit. p. 28

(3) السطران 81– 82.

(4) N. Daniel, op. cit., p. 28.

صرع: «كان يرتمي على الأرض بعنف»[1] و«كان يزبد رغوة من فمه، مادّاً يديه وقدميه بطريقة مضطربة هنا وهناك»[2]، وعوارض أخرى، «وعندما كان يفتح عينيه كان يحملق بطريقة كما لو أنه يُظهر قوة الشيطان»[3].

ورد وصف نوبات هذا المرض في عمل Περὶ ἱερῆς νούὑσου لأبقراط:

---

(1) السطر 76.

(2) السطران 77ـ 78.

(3) انظر الهامش 118.

(2) Αἱ δὲ χεῖρες ἀκρατέέες γίίνονται καὶ σπῶνται, τοῦ αἵμματος ἀτρεμμίί - σαντος καὶ μμὴ διαχεομμέένου ὥσπερ εἰώώθει. Καὶ (3) οἱ ὀφθαλμμοὶ διαστρέέ- φονται, τῶν φλεβίίων ἀποκλειομμέένων τοῦ ἠέέρος καὶ σφυζόόντων. (1) Ἀφρὸς δὲ ἐκ τοῦ στόόμματος προέέρχεται ἐκ τοῦ πλεύύ μμονος· ὅταν γὰ ρ τὸ πνεῦμμα μμὴ ἐσίίῃ ἐς αὐτὸν, ἀφρέέει καὶ ἀναβλύύει (4) ὥσπερ ἀποθνήήσκων1.	ficte quasi morbum paciens caducum in terra prostrabat se uiolenter et, ut in epilencticis fieri solet, (1) spumam per os eiciens, pedibus atque (2) manibus inordinate hinc et inde proiectis, in arena diutissime uoluptabatur; post spatium uero temporis non modicum ex industria motum membrorum suorum sic compescebat et (3)occulos claudebat, ut non solum apopleticus crederetur in quo nullus sensus et motus habetur uerum (4) exanimis estimaretur Cumque (3) turbatis iam occulis quasi a demonio arreptus exurgeret (...)2.	متظاهراً بنوع ما من مرض مختلق، الصرع، كان يرتمي على الأرض بعنف ويرتجف كما في (نوبات) الصرع، وكان (1) يزبد رغوة من فمه، ماداً يديه وقدميه (2)بطريقة مضطربة هنا وهناك، (و) كان يتمتع بالمقدرة على دفن نفسه في الرمال لمدة طويلة جداً ؛ ولكنه بعد مضيّ ردح من الوقت، كان يوقف حركة أعضائه طوعاً (3) ويغمض عينيه بطريقة حتى لَيُظن أنه ليس مصاباً ب(4) السكتة فقط دون شعور أو حركة، بل إنه ميت أيضاً. وعندما يفتح عينيه وكأنه (5) يحملق بشكل كما لو أنه يُظهر قوة الشيطان

نحن نعتقد أنه لا يمكن استبعاد احتمال أن يكون ماركوس دي توليدو على علم بأعراض الصرع من مصدر آخر غير حياة محمد، فرأى أنه من المناسب تضمينها في مقدمة ترجمته. ومن المفيد أن تُدعم هذه النظرية لو علمنا أن المترجم الطليطلي عمل سابقاً على ترجمة العلاجات الطبية لجالينوس[1] الذي بدوره كان متأثراً بأبقراط

(1) كما يشرح الكاتب في مقدمة ترجمته لكتاب النبض: De tactu pulsu, (en:) M. Th. D´Alverny & G. Vajda, Marc de Tolède, traducteur d'Ibn Tumart, p. 259-260 (en:) Al-Andalus 16 (1951), pp. 99-140 y 259-307, Al-Andalus

ذاته[1]. ومن الممكن أيضاً أنه خلال دراسته للطب في مونبلييه[2]، كان ماركوس دي توليدو قد تعرّف على أعراض الصرع. تسلط Marie Thérèse d'Alverny الضوء على حقيقة أن ماركوس دي توليدو كان يولي كثيراً من الاهتمام للتفاصيل الطبية[3].

من المهم للغاية محاولة التقصي لما تم زج موضوع صَرع محمد في أدب المواجهة الإسلامي المسيحي. أحد الاحتمالات التفسيرية هو أن يكون التفسير مصدره أحد المصادر العربية؛ وذلك عندما يروي ابن إسحاق عن بدء وحي القرآن عبر الملاك Djabrā)īl (جبرائيل) مقرناً الكلام بالعنف الجسدي:

Dans la nuit où Dieu voulut lui conférer la grâce d´être envoyé comme prophète et étendre sa miséricorde aux hommes, ses serviteurs moyennant la mission (de Muhammad), Jibrîl (Gabriel) vint à lui pour lui intimer l'ordre de Dieu. L'Envoyé d'Allâh, a dit: [Pendant que je dormais, Jibrîl vint à moi, tenant une couverture de brocart à l'intérieur de laquelle il y avait un écrit. Il m'a dit: [Lis!] Je lui dis: [Qu'est-ce que je lirai?] Il me pressa avec l'écrit si fortement que je pensais que c'était la mort; puis il me libéra et dit: [Lis!] Je demande: [Qu'est-ce que je lirai?] Il me pressa avec l'écrit pour la troisième fois si fortement que je pensais que c'était la mort et il me dit: [Lis!]Je dis: [Qu'est ce que je vais lire donc?] Je dis cela seulement pour me débarrasser de lui, de peur qu'il me fasse la même chose encore.[4]

---

17 (1952), pp. 1-56. كذلك في: Nàdia Petrus Pons, Liber Alchorani quem Marcus CanonicusToletanus trasrulit (Edición crítica de los capítulos I – IV)... p. 12-13.

(1) Luis Garcia Ballester, Galeno en la sociedad y en la ciencia de su tiempo (c. 130 – c. 200 d. de C.), Madrid 1972, p. 59 et passim.

(2) Nàdia Petrus Pons, Liber Alchorani quem Marcus Canonicus Toletanus trasrulit (Edición crítica de los capítulos I – IV)... p.13.

(3) M. Th. D´Alverny & G. Vajda, op. cit., p. 109 et passim.

(4) Ibn Ishâq, La Vie du Prophète Muhammad L'Envoyé d'Allâh (que Dieu =

حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب؛ فقال: اقرأ. قال: قلت: ما أقرأ ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني؛ فقال: اقرأ. قال: قلت: ما أقرأ ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قال: قلت: ماذا أقرأ؟ قال: فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قال: فقلت: ماذا أقرأ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي؛

المفردات التي يستخدمها ماركوس دي توليدو لوصف العلاقة بين النبي والملاك تعكس كذلك صدى هذا «العنف الملائكي»:

Cogit me angelus ut dicam uobis huiusmodi uerba[1] (...)

لقد اختارني الملاك لأقول لكم على هذا النحو تلك الكلمات.

asserunt eum invisibiliter ab angelo uexari in anima et corpore et angariari[2].

مهتاج بشكل خفي في الروح والجسد، مؤيدٌ بملاك.

هذا النوع من الاتصال مع الملاك، ذي الجسدية والعنفية الشديدتين، كان غريباً على المخيلة المسيحية في القرون الوسطى. ففي أوروبا العصور الوسطى، كان يُعتقد أن الملائكة لا تمسّ المُختارين إلّا بمنتهى اللطف، مع أنه لا حاجة إلى أي اتصال جسدي

= répande sur lui Ses bénédictions et qu'Il lui accorde Son salut!), traduction française avec introduction et notes par 'Abdurrah,mân BADAWÎ, Les Éditions Albouraq Beyrouth-Liban 2001, vol. I, p. 182-183.

(1) السطر 92.

(2) السطران 145 146.

أو إلى وجوده بالذات[1]. إن وصف الإحساس الذي ينتجه وجود مخلوق سماوي يمكن أن يكون أحد الأسباب التي تفسر، كما أدّت للنظر مليّاً إلى "محمد" Mafometus على أنّه شخص يتملّكه شيطان، كواحد لديه علاقة سماوية.

الأسباب الأخرى المحتملة لتقديم محمد كشخص مريض إنما مردّها ما ذُكر في بعض التقاليد العربية، عندما كان ينقطع الوحي عن النبيّ لبعض الوقت، من أنه كان مريضاً. مع ذلك، فبعد أن تنقضيَ هذه الفترة العقيمة، كان يعود ليلتقي مع الملاك جبرائيل[2].

يمكن للمرء أن يغامر بالمقارنة بين محمد والمسيح، في مخيلة القرون الوسطى،انطلاقاً من أن أحدهما مريض والآخر مداوٍ. هذه المقارنة التي تمّت في حقبة الاسترداد[3]، كانت ستبدو مفيدة جداً للمسيحيين المنخرطين في أدب المواجهة بين هذين الدينَين[4].

---

(1) الأسطر 150ـ 152.

(2) Juan Vernet, Mahoma, Madrid, 1987, p. 41-42.

(3) سقوط الأندلس: هي فترة في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية، والتي تمتد ما يقرب من 770 عاماً بين المرحلة الأولى من الفتح الإسلامي للأندلس في 710 وسقوط غرناطة، آخر دولة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية، حيث أدت إلى توسيع الممالك المسيحية في عام 1492. وانتهى الاسترداد فوراً قبل إعادة اكتشاف الأوروبيين الأمريكيتين والعالم الجديد الذي بشر به في عهد البرتغالية والإمبراطوريات الاستعمارية الإسبانية. المؤرخون يضعون بداية تقليدية من وقت الاسترداد مع معركة كوفادونجا حوالي 722 حيث قام جيش مسيحي صغير، بقيادة النبيل بيلاجيوس، الذي هزم جيش الخلافة الأموية في جبال شمال إيبيريا وأنشأت إمارة المسيحية في أستورياس. مترجم

(4) للتعمّق في هذا الموضوع انظر:

véase J.Tolan, Antihagiography, Embrico of Mainz's Vita Mahumeti, Journal of Medieval History, vol. 22, 1o (1996) 25-41.

أولاً يجب الافتراض أنّه كان يُنظر إلى الصرع ولقرون عدّة على أنه مرض في الجسد والروح[1]. لذلك فإن "محمداً" Mafometus كان مريضاً في الجانب الروحي أيضاً. على النقيض من ذلك كان المسيح المداوي[2] Christus medicus يعالج كل أنواع المرض، بما في ذلك الأمراض العقلية، من خلال طرد الشياطين من جسم المريض. أضف إلى ذلك، فقد ضحّى المسيح بنفسه على الصليب ليخلص جميع العالم ويشفي نفوس الخطأة. هكذا يفسّر القديس متّى القدرة الشفائية للدين المسيحي التي منحها يسوع المسيح لتلاميذه:

Et convocatis duodecim discipulis suis dedit illis potestatem spirituum inmundorum ut eicerent eos et curarent languorem et omnem infirmitatem (...) Euntes autem predicate dicentes quia adpropinquavit regnum caelorum, infirmos curate, mortuos suscitate, lepros mundate, daemones eicite[3].

ثم دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف (...) اشفوا مرضى. طهروا برصى. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم، مجاناً أعطوا.

من جانب آخر، ليس فقط أن محمداً لم يقم بعجائب ولم يداوِ

(1) Notícia Preliminar (en:) Hipòcrates, Tractats mèdics, text revisat i traducció de Josep Alsina, introducció de Eulàlia Vintró, Barcelona 1972, vol. I, pp. 97-100.

(2) La desprípción de las propiedades de Christus Medicus según: Enrique Montero Cartelle, El tópico de Christus Medicus en la poesía latina medieval, (en:) Poesía Latina Medieval (siglos V-XV), Actas del IV Congreso del (Internationales Mittellateinerkomitee) Santiago de Compostela, 12-15 de septiembre de 2002, al cuidado de Manuel C. Díaz y Díaz y José M. Díaz de Bustamante, Firenze 2005.

(3) متّى 10،1 10،8

أتباعه، بل إنه هو نفسه كان يعاني من مرض عُضال. والأكثر مدعاة للدهشة هي تلك المقارنة بين دور الملاك جبرائيل في العهد القديم وفي الأساطير حول محمد.

وفي المقدمة إلى القرآن يعزو أتباع محمد نوبات الصرع المفترضة تلك لوجود الملاك جبرائيل[1]؛ وهكذا شكّل جبرائيل والمرض جزءاً من مفهوم العصور الوسطى للتبشير الكاذب لنبيّ زائف. مع ذلك، لم تكن وظيفة الملائكة في العهد القديم أن تسبّب المرض بل كانت تداويه. فقد رافق الملاك رافائيل الفتى طوبيا في رحلته إلى راجيس لتحصيل الدَّين، كما ساعده في الحصول على يد سارة، وأنقذ الفتاة من المسّ الشيطاني وشفى والد طوبيا من العمى:

et nunc misit me Dominus ut curarem te et Sarram uxorem filii tui a daemonio liberarem ego enim sum Rafahel angelus unus ex septem qui adstamus ante Dominum[2].

وفي الوقت نفسه أرسلني الله لأشفيك وأبرئ سارة كنتك.

أنا رافائيل، أحد الملائكة السبعة الواقفين والداخلين في حضرة مجد الرب.

هذه المقارنة المقصودة بين النبيَّين تتيح لنا فهم سبب إصرار كتّاب أدب الجدل المسيحيين على ذِكر طريقته في التبشير، إضافةً إلى اعتبارها ناجمة عن هذا المرض. ومن وجهة نظر الإبداع الأدبي فالأمر يتعلّق بتقديم كل ذلك على أنه نوع من عالم مقلوب رأساً

(1) السطران 145ـ 146.

(2) السطران 145ـ146.

على عقب، حيث يعاني الأنبياء من الأمراض وتتم الملائكة مهمة الشيطان. وهكذا فبالكشف عن مكانة مقولات topoi الصرع والتبشير يبرز بشكل أوضح الطابع المنحرف والجحودي لهرطقة السرسنيين.

أ.2 .3 .2 هكذا بالفعل كان محمد، أي الحامد، ليس نيقولا، والذي بعد ستمئة سنة من مجيء يسوع المسيح، جاء إلى العالم ليبشّر العرب

Hic quippe fuit Mafometus, id est graciosus, non Nicholaus, cum sexcentis annis elapsis post aduentum Ihesu Christi hic uenisset in mundum ad predicandum Arabibus

بطريقة مماثلة لتلك التي استعملها في شرح معنى كلمة Alchoranus وكلمة alforcanus[1]، اعتزم ماركوس دي توليدو ترجمة اسم النبي. والكلمة التي اختار المؤلف الطليطلي ترجمتها هي في الواقع أحمد AHMAD، أي، «محمودٌ جداً»[2]، وتعريف كلمة أحمد بكلمة محمد واضح تماماً بالنسبة للناطقين بالعربية لأن كلتيهما مشتقتان من الجذر ح م د[3] نفسه. هذا الجذر هو ذاته الذي نراه في التعبير العربي «الحمد لله»[4]. وربما يكون هذا هو السبب الذي جعل ماركوس دي توليدو يترجم اسم محمد بأنه «حامد» graciosus[5].

---

(1) الأسطر 67- 69.

(2) الترجمة حسب Livio Tescaroli، op. cit.، p. 34

(3) El Corán, ed. J. Vernet, nota 6, p. 505.

(4) الشكر لخالد شمش لشرحه هذا التعليق.

(5) الجدير بالذكر أن Giancarlo Rinaldi في عمله Cristianesimi nell'antichità يقترح ترجمة مشابهة لاسم النبي:
«Maometto, il cui vero Nome è Abul-Kasim ibn ʿAbd-Allah detto Muhammad, cioè il glorificato». Cristianesimi nell'antichità. Sviluppi storici e contesti georgafici (Secoli I-VIII), Edizioni GBU, Chieti-Roma 2008, p. 883.

يجدر بنا أن نغامر هنا بالافتراض أن الكاهن، مع تشديده على كلمة أحمد وذِكره للفترة الزمنية المحتسبة منذ مجيء يسوع المسيح[1]،كان يحاول من خلاله ذلك الإشارة إلى نبوءة المعزّ وإيمان بعض المسلمين أن يسوع المسيح أعلن هو ذاته عن مجيء محمد. وفي عدة مواضع من الكتاب المقدس يمكننا العثور على إشارة إلى مجيء المعزّ، روح الحق. وغيرها:

Et ego rogabo Patrem et alium Paraclitum dabit vobis ut maneat vobiscum in aeternum Spiritum ueritatis quem mundos non potest accipere (...)[2].

وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله (...).

Paracletus autem Spiritus Sanctus quem mittet Pater in nomine meo Ille uso docebit omnia et suggeret uobis Omnia quaecumque dixero uobis (...).[3]

وأما المعزو، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم (...).

النص نفسه باللغة اليونانية، يذكر الـ παράκλητον[4]. ويدّعي المسلمون أن كلمة παράκλητος هي استبدال للتعبير الأصلي περικλυτός الذي يعني «شهير، محمودٌ جداً، ممتاز»، ومن ثمّ فهي الترجمة اليونانية لكلمة أحمد[5]. ونجد في القرآن ذِكراً لهذه النبوءة:

---

(1) الأسطر 126ـ 128.

(2) يوحنا 14: 16ـ 17

(3) يوحنا 14: 26

(4) يوحنا 14: 16 ويوحنا 14: 26

(5) Livio Tescaroli, op. cit., p. 34

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[1].

نجد ترجمة هذا المقطع في قرآن ماركوس دي توليدو على النحو التالي:

Et quando dixit Ihesus, filius Marie, filiis Israel: «Ego sum Legatus Dei ad uos credens Pentateuco quod pre manibus habeo et annuncio uobis Legatum post me uenturum, cuius nomen est gloriosus».

من المرجح أن ماركوس دي توليدو وفي كامل ترجمته قرّر أن يستعيض عن كلمة graciosus بكلمة gloriosus «الأمجد»، لأنها بدتْ له أكثر ملاءَمة. ومن المفاجئ أن الكاهن لم ينتهز كل الجدل الهائل المرتبط بهذه المعلومة ولم يبحث في هذا المقطع عن أي عيب آخر يمس النبوة الزائفة.

يمكن العثور على معلومة هامة أخرى في المقطع موضوع البحث تؤكد أن محمداً هو من كان يبشّر العرب وليس نيقولاوس[2]. ونستطيع أن نفترض أن ماركوس دي توليدو أراد الإشارة إلى أسطورة محمد مع الكاردينال نيقولاوس[3]، فنجد في هذا الكتيب رؤية ذات عمومية

---

(1) السورة LXI, 6، الزمر.

(2) الأسطر 126– 129.

(3) Fernando González Muñoz, Liber Nycholay. La leyenda de Mahoma y el Cardenal Nicolás, (en:) Al-Qant)ara, Revista de Estudios Árabes, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Instituto de Filología, XXV, 1 (2004), págs. 5-43,
NB: El manuscrito de Liber Alcorani traducido por Marcos de Toledo de Paris, BnF, MS lat. 14503, está anexado a la Collectio Toledana, donde se hallan las dos traducciones del Corán: de Marcos de Toledo y de Robert de Ketton, además están copiadas allí todas las obras encargadas por Pedro el Venerable junto con el Liber Nycholay. ((en:) Thomas E. Burman, Reading the Qur'ān in Latin Christendom, p. 128).

محدودة حول سيرة نبي الإسلام. في السطور الأولى لهذا النص نقرأ:

Incipit liber Nycholay, qui dicitur Machumetus, quomodo chrisitianam legem subuertit et credulitatem sarracenorum fecit.

Legimus in hystoriis romanorum quod Nycholaus, qui Machometus dicitur, unus fuit de septem dyaconibus cardinalibus ecclesie romane.(1)

فاتحة كتاب نيقولاوس، الذي يُدعى محمداً، كيف حرَف المسيحية وخلق إيمان السرسنيين.

نقرأ في قصص الرومان أن نيقولاوس، الذي يُدعى محمداً، كان واحداً من الكرادلة السبعة الخُدّام للكنيسة الرومانية.

تروي الأسطورة أن الكاردينال نيقولاوس كان قد اختاره الحبر الأعظم أغابيتس Agapito خلفاً له. ولكن بعدما توفي البابا أغابيتس تم اختيار مرشح آخر، هو يوحنا، الكاردينال الفخري لكنيسة القديس لورينزو في داماسو، وإن بشكل مؤقت. وعندما وصل نيقولاوس ليشغل منصبه، بعد رحلة طويلة جداً، عامله الكرادلة الآخرون بكل تقدير واحترام. وعلى الرغم من ذلك، لم يوقّر الكاردينال نيقولاوس البابا، لا بل إنه لم يتوقف عن انتقاده. ونتيجة لذلك، نهاه البابا عن الاقتراب من المقر البابوي. ومذّ ذلك الحين، قرر نيقولاوس الغاضب أن يفسد الدين المسيحي بابتداع هرطقة جديدة. وليحقق ذلك جمع تعاليمه بشكل مكتوب وبدأ رحلة التبشير.

يشار إلى المعلومات التي قدّمها كتّاب سيرة النبي الأوائل حول ناسك اسمه بحيرا الذي تعرّف على علامات عظمته الآتية ومنذ أن كان

(1) المرجع السابق الأسطر 1 ـ 4، ص 8.

طفلاً حينها[1] كمصدر لهذه الأسطورة. ففي أول الأعمال المشرقية التي تنتمي إلى أدب الردّ على الإسلام يستغل هذا الخبر في الدفاع عن فكرة أن محمداً كان نبياً زائفاً يقوده مسيحي مهرطق[2]. يقدم يوحنا الدمشقي في النصف الأول من القرن الثامن محمداً برفقة راهب آريوسي:

حتى زمن هرقل مارسوا الوثنية بشكل علنيّ، منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، ظهر فيهم نبي كـذاب، اسمه محمد، الذي إثر تعلمه العهدين القديم والجديد، وكذلك ارتياده بكل تأكيد راهباً آريوسياً، أسس طائفته[3].

تشير النصوص اللاتينية الغربية إلى تعاليم اليهود والهراطقة المسيحيين كأصل للعقائد المحمدية دون أن تشير إلى معلّم بذاته[4]. وكمثال على ذلك أسطورة excerptum domini Methodii التي يستبدل فيها مسيحي منحرف اسمه باسم محمد، والتي نقلتها وثيقة رودا[5] códice de Roda. وهناك نجد قصة راهب يدعى Ozim (ربما أصل الاسم قُثَم! "مترجم")[6] الذي راح يشجع المرتدين في يثرب

(1) Fernando González Muñoz, op. cit., p. 20;; Óscar de la Cruz Palma, La información sobre Mahoma en la Doctrina pueril de Ramon Llull, (en:) Taula, quaderns de pensament, núm. 37, 2002, pág. 37-49, p. 41

(2) Fernando González Muñoz, op. cit., p. 20.

(3) (Herejía 100),trad. Pedro Bádenas de la Peña, (en:)eiusdemEl islam como herejía en la obra de Juan Damasceno, (en:) M. Barceló-J. Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII-XIII, UAB-Bellaterra, 2005, p. 20.

(4) Fernando González Muñoz, op. cit., p. 22.

(5) انظر المرجع السابق 17.

(6) ربما المقصود بالاسم OZIM هو: «قُثَم»، وقد سُمِّي به محمد لأن أحد أبناء عبد المطلب كان اسمه «قُثَم» ومات على صِغَرٍ فسُمِّي النبي على اسم عمه المتوفى. مترجم

على تغيير دينهم عندما ظهر له ملاك الشر وأمره أن يغير اسمه إلى محمد. يبدو من هذه الأسطورة ومن مثيلاتها المشابهة أنه من الممكن العثور على تأثير ذكرى سيرة نسطور، «ممثل المدرسة اللاهوتية الأنطاكية الذي تولّى أسقفية القسطنطينية عام 428، تابعاً لثيودوسيوس الأصغر، وحرم في مجمع أفسس الثالث (431)»[1]. في الاتجاه ذاته، لم يعد محمد في أدب المواجهة يتيماً وفقيراً، كما وصفه تيوفانيس[2]، حيث تحول إلى شاب حَسُن تدريبه، إضافة لمعرفته باللغات والعلوم، كما يصفه ماركوس دي توليدو[3].

وفقاً لفرناندو غونزاليس مونيوز Fernando González Muñoz، فإنّ فرعاً آخر من الأسطورة الغربية يقوم بتعريف محمد على أنه نيقولاوس[4] الأنطاكي، مؤسس طائفة النيقولاويين، الشهير بمجونه

---

(1) المرجع السابق ص 24.

(2) «Cum autem inops et orphanus praedictus esset Moamed,» Anastasii Bibliothecarii summae ac apostolicae sedis Chronographia Tripertita (en:) Theophanis Chronographia, recensuit Carlos de Boor, vol. II Theophanis vitas Anastasii Bibliothecarii Historiam Tripertitam dissertationem de codicibus operis Theophanei indices continens, B.G. Teubner 1963, p. 209.

(3) الأسطر 28 42.

(4) ما ذُكر عن نيقولاوس، أحد الخدام السبعة في زمن الرسولي، في الكتاب المقدس: فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فاختاروا استفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس وفيلبس وبروخورس ونيكانور وتيمون وبرميناس ونيقولاوس دخيلا أنطاكيا. (أعمال الرسل 5،6) وتم ذكر النيقولاويين مرتين: ولكن عندك هذا: إنك تبغض أعمال النيقولاويين التي أبغضها أنا أيضاً. (رؤيا 2: 6) ؛ ولكن عندي عليك قليل: إن عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام، الذي كان يعلم بالاق أن يلقي معثرة أمام بني إسرائيل: أن يأكلوا ما ذبح للأوثان، ويزنوا. هكذا عندك أنت أيضاً قوم متمسكون بتعاليم النيقولاويين الذي أبغضه. (رؤيا 2: 14،15) انظر أيضاً:

scar de la Cruz Palma, op. cit., p. 44.

الجنسي الشديد[1]. وتعرّف «لا إستوريا كومبوستيانا[2]» (Historia Compostellana s. XII) محمداً على أنه نيقولاوس ومقدّمةً لنا الدليل التالي:

Hec stupent atque mirantur Hismaelite et Nicholaum suum, suum scilicet Mafomet, nil tale posse fatentur[3]

يمكننا أن نجد اسم نيقولاوس بعد قرن أيضاً في أحد أعمال بطرس المبجل[4] Pedro el Venerable:

Putant enim quidam hunc Nicholaum illum unum e septem primis diaconibus extitisse, et Nicholaitarum ab eo dictorum sectam, quae et in Apochalipsi Iohannis arguitur, hanc modernorum Sarracenorum legem existere[5].

يعتقد بعضهم أن نيقولاوس هو أحد الكرادلة الخدام السبعة الأوائل، والنيقولاويون هم فرقة مذهبية، مذكورة في رؤيا يوحنا، وهي موجودة في شريعة السرسنيين الجديدة.

ويتبين من ذلك أنّ الاهتمام خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر بطائفة النيقولاويين كان قد تم إحياؤه نتيجة للجدل حول الاضطرابات الأخلاقية في الإكليروس. فقد اعتبر شرّاح النصوص

---

(1) Fernando González Muñoz, op. cit., p. 25.

(2) حوليات La Historia compostelana كُتبت باللاتينية في القرن الثاني عشر بين 1107 و1149 على يد دييغو خيلميريز Diego Gelmírez رئيس أساقفة سناتياغو دي كومبوستيلا منذ 1120، ونشرت للمرة الأولى في سنة 1765 على يد أنريكي فلوريس Enrique Flórez ضمن عمله: إسبانيا المقدسة. مترجم

(3) Historia Compostellana II, 50, ed. E. Falque Rey, p. 308. Véase también Fernando González Muñoz, op. cit., p. 25., n. 25.

(4) بطرس المبجل أو بطرس المحترم أو بطرس المكرم أو بطرس الموقر، باللاتينية:

(5) Summa totius haeresis Saracenorum, ed. J. Kritzek, Peter the Venerable and Islam, Priceton Univ. Press 1964, p205. انظر أيضاً Óscar de la Cruz Palma, op. cit., p43.

المقدسة نيقولاوس نموذجاً أصيلاً للهراطقة[1]. ومنذ أن كان يُنظر إلى محمد كصاحب هرطقة أيضاً فمن المرجح أن العلاقة بين هاتين الشخصيتين قد نشأت في بيئة تنويرية. ومع ذلك، فإن تعريف محمد بنيقولاوس، والذي يُعتقد أنه نشأ اعتباراً من القرن الحادي عشر، يعود في جذوره إلى الأوساط الشعبية إذ لا يمكن لكاتب تلقى تعليماً جيداً أن يرتكب خطأ تاريخياً كهذا[2]. وتجدر الإشارة إلى أن ماركوس دي توليدو لم يكن بوسعه أن يعتمد النص الذي حرره فرناندو غونزاليس مونيوز كمصدر معتمد إذ من المرجح أن كتاب نيقولاوس Liber Nycholay قد حرر بعد ترجمة القرآن[3].

---

(1) Fernando González Muñoz, op. cit., p. 26.

(2) المرجع السابق ص 27.

(3) المرجع السابق ص6 وما تلاها.

أ.2. 4 تعاليم الإسلام وأجزاء من التبشير

أ.2. 4. 1 مقارنات مع القرآن

ماركوس دي توليدو، المقدمة إلى القرآن	القرآن، ترجمة خوان فيرنيت Juan Vernet	القرآن، ترجمة ماركوس دي توليدو	القرآن
«Ego sum legatus Dei, uerba que posuit angelus in ore meo uobis expono. Non noui licteras maternus[2] enim sum. (90-91) أنا رسول الله، والكلمات التي وضعها الملاك في فمي أعرضها عليكم. لا أعرف الكتابة، لأنني أمي	¡Predica en el nombre de tu Señor[1], el que te ha creado! Ha creado al hombre de un coágulo. ¡Predica! Tu Señor es el Dadivoso que ha enseñado a escribir con el cálamo: ha enseñado al hombre que no sabía. (XCVI, 1-5)	1 Confitere nomen creatoris tui qui creauit, 2 creauit enim hominem ex sanguisuga. 3 Confitere enim creatorem tuum, uenerandum, 4 qui docuit cum calamo, 5 docuit inquam hominem quod nesciebat. (XCVI)	1 اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ 2 خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ 3 اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ 4 الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ 5 عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. (العلق)

(1) الترجمة الإسبانية المذكورة تَرِد في النص: «الذي خلقك» بدل «الذي خلق». - مترجم

(2) من المحتمل أن يكون استخدام maternus هو محاولة لترجمة كلمة أميّ العربية التي تنتمي لكلمة أمّ والتي تعني أيضاً "من لا يقرأ ولا يكتب". كما يقول J. Vernet في عمله " المدخل إلى القرآن (1998): «يتجه رأي الأكثرية إلى أن محمداً كان أمياً(ummı) وفي هذا التقليد كان هناك نيّة لإظهار الدليل على صحة تبشر خاتم رسل الله أو نبيه» p. XI انظر أيضاً:
J. Tolan, «Las traducciones y la ideología de reconquista: Marcos de Toledo», en M. Barceló-J. Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII-XIII, UAB-Bellaterra, 2005, págs 81-82.

185 أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ 191 يُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ 192 وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (...) 194 إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ 196 إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ 197 وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (الأعراف)	185 An non aduertunt regnum celorum et terram et quod nil creauit Deus? (VII) 191 Statuuntne participes qui nihil creant et ipsi creantur, 192 nec eos ualent nec se ipsos tueri? (...) 194 Illi enim quos colitis infra Deum serui sunt uobis similes. Colite ergo eos et respondebunt uobis, si ueraces estis. (...) 196 Deus enim est patronus meus, qui destinauit Librum conuertens iustos. 197 Et quos colitis infra Deum, non ualent uos neque se ipsos defendere». (VII)	¿o no o observan la realeza de los cielos de la tierra y de todo lo que Dios ha creado, (...)? VII, 184/185 ¿Asociarán a Dios a los que no crean nada, pues ellos son los creados, a los que no pueden darles auxilio ni a sí mismos auxiliarse? (...) ¡Idólatras! Quienes invocáis, prescindiendo de Dios, son sus siervos al igual que vosotros; rogadles y pedid que os atiendan, si sois verídicos. (...) Mi dueño es Dios, quien ha hecho descender el Libro, pues El protege a los justos. Aquellos a quienes rogáis, prescindiendo de Él, no pueden auxiliaros ni auxiliarse a sí mismo.)) VII, 191-196/197	«adorate Deum uiuum qui celos creauit et terram, angelos et homines et omnia que in eis sunt. Non adoretis deos qui non posunt uobis prodesse uel obesse. (92-94) «اعبدوا الله الحيّ الذي خلق السموات والأرض، والملائكة والناس وكلّ ما يعيش فيها. لا تسجدوا لآلهة لا تضرّ ولا تنفع.

23 إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ 24 وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (الحج)	23 Deus autem non intromittet eos qui crediderunt et bona sunt operati in Paradisos sub quibus flumina defluent, in quo decorabuntur armillis auri et margaritis et induantur in eo sericis uestibus. 24 Et dirigentur ad bonum uerbum et ad uiam laudis. (XXII)	Dios introduc irá a quienes creen y hacen obras pías en unos jardines por los que corren los ríos. En ellos se les adorará con brazaletes de oro y perlas;; sus vestidos serán de seda, y en la vida terrenal habrán sido conducidos a la buena palabra y hacia el camino loable. (XXII,23-24)	Estote humiles, pacientes, casti nis i super uxores uestras, adulterium ſugite, homicidium et furtum et si hoc quippe fecerit is et parentes honoraueritis dabit Deus uobis in hoc seculo uitam diuturnam, diuiciam et filios cum quibus gaudebitis, et in futuro dabit uobis paradisos sub quibus deffluent flumina scilicet aque, uini, lactis et mellis et cibos prosperos qui non grauabunt uentres et uinum suaue quod non ine br ia b it , ux ore s e t uestimenta serica. (96-101) كونوا متواضعين، صبورين، عفيفين إلا مع نسائكم، دعوا الزنا والقتل والسرقة، فإن فعلتم ذلك وبَررتم بوالديكم، فإن الله سيطيل أعمارك في هذه الحياة الدنيا، ومالاً وبنين زينة لكم، و، فيما بعد، سيهبكم جنات تجري فيها الأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل وطعام كثير لا يثقل البطن ونبيذ رقيق لا يسكر، ونساء وأرائك من حرير

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (النساء، 171)	Enimuero Christus Ihesus filius est Marie, Legatus Dei et Verbum eius quod posuit ad Mariam et Spiritus eius. Credite in Deum et legatos eius. Non dicatis: «Tres». Fugite hoc uerbum. Bonum erit uobis. Verum unus est Deus, (IV, 171)	Realmente el Mesías, Jesús, hijo de María, es el Enviado de Dios, su Verbo, que echó a María y un espíritu procedente de Él. Creed en Dios y en sus enviados. No digáis: ((Tres.)) Dejadlo. Es mejor para vosotros. Realmente, el Dios es un dios único. (IV, 169-171)	Noueritis quod Christus filius fuit Marie Virginis, legatus Dei et uerbum Dei quod destinauit Deus ad eam et Spiritus eius. Nolite ergo dicere tres esse, sed unus est Deus; (102-104) اعلموا أن المسيح ابن مريم هو رسول الله وكلمة الله التي بعثه الله لها وهو روح الله. فلا تقولوا إن هناك ثلاثة، ولكن الله واحد
لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (النساء، 172)	172 Non dedignatur Christus, ut sit seruus Dei nec angeli proximi. (IV)	Ni el Mesías ni los ángeles próximos al Señor han tenido a menos ser servidores de Dios. (IV, 170/172)	nec dedignatus est Christus esse seruus Dei scilicet non sunt dedignati et angeli proximi et Deus cum Spiritu Sancto corroborauit». (104-105) وأن المسيح لم يرفض أن يكون عبداً لله، كذلك لم يرفض الملائكة المقربون من الله، وأن الله أيّده بروح القدس

180 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 184 أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (البقرة)	183 O uos qui credit is, indictum est ie iunium uobis (...) quo forte diebus numeratis metuatis. 184 Quicumque ergo uestrum fuerit infirmus aut in it inere recompenset alio tempore ie iunium totidem dierum et qui potuerit ieiunare, et non ie iunauerit, redimat elemosinis pauperem (II)	¡Oh, los que creéis! Se os prescribe el ayuno (...) durante días contados. Aquel de vosotros que esté enfermo o de viaje, ayunará un número igual de otros días. Quienes pudiendo ayunar no lo hiciesen, darán en rescate la comida de un pobre. (II, 179/183-180/184)	Indixitque Machometus ieiunium triginta dierum certo tempore et qui non ieiunasset illo prefixo tempore ob aliquam occasionem illius ieiunii debitum, si diues esset elemosinis redimeret, si uero pauper alio tempore ieiunando. (105-108) واعلن محمد صيام ثلاثين يوماً في وقت محدد ومن لم يصم في هذا الوقت المحدد سلفاً لعلة ما، فإن عليه صيامه، فإن كان غنياً، فله أن يبرأ بالصدقة، ولكن إن (كان) فقيراً عليه الصوم في وقت آخر.
43 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى (...) وَلاَ جُنُباً (...) حَتَّى تَغْتَسِلُواْ (النساء) 6 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ (المائدة) 114 وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ (هود)	43 O uos qui credidistis, ad oracionem existentes ebrii non accedatis, (...) neque pollut i (...) donec abluamini;(IV) 6 O uos qui credidistis, surgite ad oracionem, facies uestras abluite et manus uestras usque ad cubitos (V) 114 Et ins ist ite oracioni in principio diei et crepusculo et noctis profundo, (XI)	¡Oh, los que creéis! No os acerquéis a la oración si estáis ebrios , (...) ni impuros, (...)hasta que os lavéis;; (IV, 46/43) ¡Oh, los que creéis! Cuando os dispongáis a hacer plegaria, lavad vuestras caras y vuestras manos hasta los codos. (V , 8/6) ¡Cumple la plegaria en los dos límites del día y en distintas partes de la noche! (XI, 116/1 14)	Monuit orare in templo siue in domo quinquies in die, sed priusquam ad templum ingrederentur mandauit ut aqua abluerentur. (108-110) وحثّ على الصلاة في المعبد أو في المنزل خمس مرات في اليوم، وأمر أيضاً بالتطهّر بالماء قبل دخول المعبد.

(1) 16 وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا (2) 25 وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ (...) فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ (النساء)	(1) 16 Et si qui uirorum uxores inuadant, eos corripiatis. (IV) (2) 25 Et qui non ualet inopia prepediente contrahere ancillis quas possidet cum castis fidelibus, cum ancillis quas possidet iuuenculis fidelibus (...) Contrahite ergo cum eis cum beneplacit o consanguineorum suorum et offeratis eis honestam mercedem castis non scortis nec concubinis. (IV)	(1) A aquellos dos, de entre vosotros, que cometen este pecado, castigadlos. (IV,20/16) (2) Quien de vosotros no pueda casarse con longanimidad con mujeres recatadas, creyentes, que se case con las esclavas jóvenes, creyentes, que posean sus diestras. (...) Casaos con ellas con permiso de sus dueños, dadles sus salarios, según está establecido, como a las recatadas, no como a las fornicadoras o las que toman amigos. (IV,29/25)	(1) Adulterium prohibuit; (2) uerum si uir coniugatus, mulierem siue solutam siue coniugatam precio emerit, licite poterit ei copulari tanquam ancille nec adulterium comictit, quia precium quod pro ipsa soluitur crimen delet adulterii; filias seruorum assumere permisit uxores habentes sine contagione adulterii ut sobolem suscitent ad cultum unius Dei. (111-116) نهى عن الفاحشة؛ لكن لو اشترى رجل متزوج بالمال امرأة أو بكرا أو متزوجة، كما يمكن أن يحوز على الإماء فحسب الشريعة لا يُعدّ مرتكبا للفاحشة لأن الثمن المدفوع يمحو جريمة الزنا؛ سمح (محمد) أيضا لأولئك الذين لديهم زوجات أن يأتوا الأقنان ولا يُعدون زناة في مسعى لزيادة عديد أتباع عبادة الإله الواحد

23 إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ (...) 24 وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ (الحج) 50 انظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (الروم)	23 Deus autem non intromittet eos qui crediderunt et bona sunt operati in Paradisos sub quibus flumina defluent, (...) 24 Et dirigentr ad bonum uerbum et ad uiam laudis. (XXII) 50 Aduerte igitur uestigia miser icordie Dei, qua liter terram uiuificat post mortem suam. Ipse enim uiuif icat mortuos, (XXX)	Dios introduc irá a quienes creen y hacen obras pías en unos jardines por los que corren los ríos. (...) y en la vida terrenal habrán sido conducidos a la buena palabra y hacia e l camino loable. (XXII ,23-24) (Observa las huellas de la misericordia de Dios, cómo vivifica la tierra después de su agostamiento. Cierto, Él es aquel que resucita a los muertos (...)) (XXX, 49/50)	Resurreccionem predicauit futuram et uitam eternam ha bit uros qu i s upra d ic ta credunt et bona faciunt. (116- 117) بشّرهم بالقيامة في المستقبل، والحياة الأبدية لأولئك الذين يؤمنون بما ذُكر وآمنوا وعملوا الصالحات.
5 (...) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (الرعد)	Illi quidem qui blasphemarunt in creatorem suum et illi in quorum collis cathene fuerunt, illi s unt consortes ignis manentes semper in eo. (XIII, 6)	(Inter alios :) Ésos son quienes no creen en su Señor;; ésos tendrán argollas en sus cuellos;; ésos serán los huéspedes del fuego: ellos vivirán en él eternamente. (XIII, 6)	Et qui contra hec faciunt in inferno diuersos habere semper cruciatus asseruit. (117-118) وأنبأ أولئك الذين يعملون خلاف ذلك، أن لهم الجحيم يلقون فيه صنوف العذاب

Carnem porci prohibuit eis et omne mort icinium, ne comederent sanguinem et ydolotot icum et suffocatum. (118-119) وحـرّم عليهم لحم الخنزير والميتة والدم، وتقديم القرابين للأصنام أو لحوم الحيوانات المخنوقة	Se os declaran ilícitos: la carne de animal que haya muerto, la sangre, la carne de cerdo y lo que se inmoló en nombre de otro que no sea Dios; la carne de animales muertos asfixiados, (...) (V, 4/3)	3 Inhibita sunt uobis morticina et sanguis et caro porcina et quod ydolis immolatur et concussa fustibus (...) (V)	3 حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ (المائدة)

2.4.2.أ فرض عليهم الختان

Circumcisione eis indixit

لم يذكر القرآن الختان، لكننا نجد معلومات عن هذه الشعيرة في صحيح البخاري يرويها أبو هريرة كواحدة من خصائص الفطرة الخمس، وللمحافظة على النظافة الصحية كأحد تعاليم الإسلام:

«عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْفِطْرَةُ خَمْسٌ: الْخِتَانُ وَالاسْتِحْدَادُ وَقَصُّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ وَنَتْفُ الآبَاطِ»[1].

وحول عمر الولد الواجب ختانه، لدينا شهادة سعيد بن جبير:

«سئل ابن عباس: مثل من أنت حين قبض النبي عليه السلام؟ قال: أنا يومئذ مختون! قال: وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك؛ وقال ابن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قبض النبي عليه السلام وأنا ختين»![2]

(1) صحيح البخاري، الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط.
(2) صحيح البخاري، الاستئذان، باب الختان بعد الكبر ونتف الإبط.

من هذه الشهادة نجد أن أعمار الأطفال المختونين متنوعة عبر الأزمان. لذلك يمكننا الافتراض أن هناك شهادات تروي أن الأولاد يُختنون في سنّ العامين، كما ذكر ماركوس دي توليدو[1].

أ.2 .4. 3 ظهرك عليّ حرام...

...Latus tuum sit michi prohibitum

صيغة الطلاق التي ذكرها ماركوس دي توليدو[2] هي مثال لتشريعات ما قبل الإسلام، والمعروفة بالظِّهار[3]. وقد ذكر «محمد أسد»[4] هذا التشريع في تعليقه على الآية الرابعة من سورة الأحزاب:

هذه إشارة إلى العادة العربية قبل الإسلام وتُدعى الظِّهار، حيث

---

(1) السطران 110 – 111.

(2) الأسطر 115 – 117.

(3) الأسطر 121 – 123.

(4) محمد أسد 1900 ـ 1992م، صحفي نمساوي يهودي، وُلِد بإقليم من أقاليم بولندا كان تابعا آنذاك للإمبراطورية النمساوية، وكان يسمى ليوبولد فايس. ثم دخل في الإسلام سنة 1926م بعد أن رحل إلى الجزيرة العربية أيام الملك عبد العزيز آل سعود، ثم انتقل بعد ذلك إلى شبه القارة الهندية حيث توثقت بينه وبين العلامة إقبال عُرَى الصداقة، إلى أن انفصلت الباكستان عنها فانتقل إلى الإقامة فيها واكتسب جنسيتها وأصبح مندوبها الدائم في الأمم المتحدة حتى عام 1953م. والذين يعرفون أسداً، في العالم العربي إنما يعرفونه في الغالب من خلال كتبه المترجمة إلى العربية، وهذه الكتب ليس فيها تقريباً ما يمكن الاختلاف معه بسببه، لكن الأمر يختلف بالنسبة لترجمته للقرآن، وإلى حد ما بالنسبة لترجمته لـ"صحيح البخاري"، إذ نراه في الأولى مثلاً ينكر معجزات الأنبياء ويُجَوِّز عليهم الوقوع في الأخطاء والخطايا، مثلهم في ذلك مثل أي شخص آخر، كما يؤوّل الجن والشياطين والملائكة ونعيم الجنة وعذاب النار تأويلاً رمزياً، فضلاً عن أن له في مجال الفقه آراء أخرى، وهو ما يجهله قراؤه العرب، وما يبدو الإسلام معه شيئاً آخر غير الذي يعرفونه.

إن الزوج يطلق زوجته بمجرد أن يقول: «أنتِ (من الآن فصاعداً لستِ شرعيّة) عليّ كظهر أمي»، ومصطلح («الظهر») هو في هذه الحالة كناية عن الجسد. كان يعتبر هذا النوع من الطلاق في المجتمع العربي الوثني طلاقاً بائناً لا رجعة فيه. غير أن المرأة المطلقة ظِهاراً لا يسمح لها بالزواج مرة أخرى، وتضطر للبقاء إلى الأبد في عهدة زوجها السابق... ». (ص 639، الحاشية 3)[1].

يبدو هذا النوع من الطلاق غير عادل خاصة لأن الزوجة تصبح نوعاً من الرقيق؛ ومن ثمّ تفقد المطلقات حقوقهنّ ومكانتهنّ كزوجات ولا يتمكنّ من الزواج ثانية. ويعتقد أن محمداً حظر هذا النوع من الطلاق في سورة المجادلة[2].

يبدو واضحاً أن ماركوس دي توليدو في مقدمته[3] خلط بين الطرق المختلفة للطلاق: أي بين الظهار وطرق الطلاق القرآنية:

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا ﴾ (...).[4]

وكي نختتم هذا الفصل الفرعي بشكل سريع، من الجدير أن نضيف أن المترجم قرر في مقدمته رفض الأساطير والاستناد إلى النصوص المكتوبة من قبل المؤمنين من الدين المعادي. قد تكون معرفته بالعقيدة الإسلامية عائدة إلى عيشه على مقربة من الإسلام. وعلى الرغم من

---

(1) منشور في موقع: http: / /www.answering_islam.org /Index /Z /zihar.html
(2) المرجع السابق.
(3) الأسطر 140_138.
(4) البقرة، 230.

أننا لم نتمكن من الإشـارة إلى المصادر المباشرة للمعلومات التي يعرضها علينا الكاهن حول عقيدة النبيّ، لكن علينا أن نشير إلى أن المستخلصات التي أضافها صحيحة وتتفق مع تعاليم الإسلام.

أ.2 .4. 4 في طريقة الحديث فهو يختلف عن النصوص الأخرى...

In modo loquendi discrepat ab aliis scripturis

أوضح ماركوس دي توليدو جليّاً أن أسلوب القرآن بدا له غير نمطي. ويمايز المترجم بين أسلوب القرآن وبين العهدين القديم والجديد، إذ إنـه، ونتكلّم هنا بموضوعية، أكثر سردية. ولا بدّ أن خصائص الأسلوب القرآني قد أربكت المترجمين في العصور الوسطى. فبادئ ذي بدء، القرآن لا يحاول أن يلتزم التزاماً صارماً بالقافية الشعرية[1]. وثانياً، يؤكد بإصرار صارم على افتقاد الوحدة والشكل، بحيث من الممكن ملاحظة خاصيته المثيرة والعفوية والفاتنة في بعض المقاطع[2]. ويمكن لهذه الصفات أن تخدم غرض أدب الخلاف. وبالفعل، فمن خلال هذه الملاحظة فإن احتمالية ازدراء عقيدة محمد لم تتخط أيضاً ماركوس دي توليدو[3].

من ناحية أخرى، تسمح لنا أعمال توماس بورمان[4] أن نغامر

(1) R. Bell/W. M. Watt, Introducción al Corán, trad. M.a Mercedes Lucini, Madrid 1987, p. 75.

(2) المرجع السابق ص 80.

(3) الأسطر .142ـ145

(4) Thomas E. Burman, Tafsīr and Translation: Traditional Arabic Qur'ān Exegesis and the Latin Qur'āns of Robert of Ketton and Mark of Toledo, (en:) Speculum, A Journal of Medieval Studies, 73, published by The Medieval Academy of America, Cambridge, Massachusetts, 1998.
Eiusdem, Exclusion or Concealment: Approaches to Traditional Arabic Exegesis in Medieval-Latin Translations of the Qur'ān, (en:) Scripta =

بتفسير آخر يسمح بتفسير آخر موازٍ للتفسير المذكور سابقاً. وفقاً لبورمان، فخلال قيام ماركوس دي توليدو بترجمته حاول الحفاظ على النمط الأصلي. وقد قدّم الكاهن للقارئ ترجمة صحيحة للنص لكن دون أن يوضح له كيف كان يفهم المقطع في التقليد الإسلامي (خلافاً لروبرت كيتون Robert de Ketton الذي دافع عن ترجمة أقل حرفية وأكثر وصفية)[1]. ونتيجة لهذه الطريقة في العمل، تمنح الترجمة أحياناً شعوراً بأنها تسلك اتجاهاً مغايراً لما يفهمه المسلمون. ومع الأخذ بالاعتبار لتحليل بورمان هذا، نستطيع رؤية مقطع المقدمة هذا[2] على أنه اعتراف ترابطي - نصي metatextual من المترجم، الذي يبدو وكأنه يصارع صعوبة ما هي عليه مهمته أو ما ستكون عليه. وقد تستند صعوبة فهم النص إلى عدم قيام ماركوس دي توليدو بدراسة مسبقة له.

5. 2.أ يا للألم! Proch dolor!

الجزء الأخير من المقدمة هو دليل ممتاز على مهارات المترجم الطليطلي الخطابية. يريد ماركوس دي توليدو الإيضاح

= Mediterranea, Vols XIX-XX 1998-1999, 181. Eiusdem, Cambridge University Library MS Mm. V. 26 and the History of the Study of the Qur'ān in Medieval and Early Modern Europe, (en:) Religion, Text, and Society in Medieval Spain and Northern Europe. Essays in honor of J. N. Hillgarth, Edited by Thomas E. Burman, Mark D. Meyerson, and Leah Shopkow, Toronto, 2002. Eiusdem, The Latin-Arabic Qur'ān Edition of Egidio da Viterbo and the Latin Qur'āns of Robert of Ketton and Mark of Toledo, (en:) M. Barceló-J. Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII-XIII, UAB-Bellaterra, 2005, pp. 103-117.

(1) Inter alios, Thomas E. Burman, Exclusion or Concealment: Approaches to Traditional Arabic Exegesis in Medieval-Latin Translations of the Qur'ān, (en:) Scripta Mediterranea, Vols XIX-XX 1998-1999, 181, p. 183.

(2) الأسطر 100 – 102.

بأنه ينبغي استخدام مضمون النص الذي ينوي ترجمته لغرض الدحض فقط. كان غرض الجزء الأول من المقدمة شرح أن الإسلام ليس كالمسيحية، وأنه على الرغم من أن «الدينَين» (مع الأخذ بالاعتبار أن الإسلام بالنسبة لماركوس دي توليدو لم يكن ديناً بل هرطقة)، يتشابهان في بعض النواحي، إلا أنّ الشر المحمّدي Mafometi لا ينفك عن كونه صنيعة بشرية، مستوحاة نعم، من النصوص المقدسة.

الموضوع التالي الذي يطرقه ماركوس دي توليدو هو نتائج التبشير بالإسلام. يتهم الكاهنُ مؤلفَ القرآن بإغواء الناس البسطاء وغير المتعلمين وحملهم على الحرب[1]. وهكذا، التمدد أكثر وأكثر، إلى أن وصل «الرجال المنحرفون» إلى إسبانيا، واحتلوا الأرض التي كانت تعتنق الدين المسيحي[2]. يمكن أن ينظر إلى هذا المقطع من حيث الكيفية التي حدّد فيها الكاهن الهوية الإسبانية، فالسمة الأهم لوطنه كانت انتماءه إلى المسيحية. لهذا السبب كان شعوره المضاد تجاه الغازي قوياً جداً؛ تضاد بين المقدس والعجز والمدنّس[3].

في هذه البيئة من الصراع بين الخير والشر يظهر مطران طليطلة رودريغو خيمينيث دي رادا. يقارن المترجم الطليطلي جهود المطران مع جهود أمبروسيوس[4]. وفي رأينا لا يتعلق الأمر بالمصادفة الصرفة

(1) الأسطر 150 – 153.

(2) الأسطر 154 – 158.

(3) لا نلحظ هنا بشكل واضح أي ذكر للوثنية في حقبة ما قبل المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية.

(4) الأسطر 160_164: S. Arma mea lacrime mee sunt compárese con n. 164: Ambrosius, Epistalrum Classis I, 864, 2 (PL XVI, 1008): ((Dolere potero, potero flere, potero genere: aduersus arma, milites, Gothos quoque, lacrymae =

وحدها، فقد عرف الكاهن موضع القديس أمبروسيوس كطرف رئيس في الصراع الفكري ضد الهرطقات. كان أوريليوس أمبروسيوس (حوالي 339 ـ397) أحد آباء الكنيسة الذين عارضوا بشكل خاص الآريوسية[1]، والتي بدورها، كانت الهرطقة، الأكثر شبهاً، حسب معاصري ماركوس دي توليدو، بالإسلام[2].

إنّ القول إنّ رودريغو خيمينيث دي رادا لم يتمكن من محاربة العرب بالسلاح المـاديّ[3] يبدو مجرد صورة بلاغية نظراً لتورط أسقف طليطلة الشديد في معركة العُقاب (أو معركة لاس نافاس دي تولوسا)[4]عام 1212 وحملة ملوك إسبانيا على قصرش[5] [6]. كما

= رسالةmeae arma sunt; talia enim munimenta sacerdotis)) [en] N. Pons, دكتوراه بإشراف الدكتور José Martínez Gázquez, مقدمة في تشرين1 ـ 2008.
On relève dans sa preface du Coran une citation de saint Ambroise, (en:) M. Th. D´Alverny & G. Vajda, op. cit., p. 109.

(1) Władysław Kopaliński, Słownik mitów i tradycji kultury, Varsovia 1985, p. 36.

(2) انظر الهامش 45.

(3) السطر 173.

(4) معركة العُقاب أو معركة لاس نافاس دي تولوسا (بالإسبانية: Batalla de Las Navas de Tolosa)، هي معركة وقعت في 16 يوليو 1212م، شكلت نقطة تحول في تاريخ شبه جزيرة إيبيريا. تجمعت قوات الملك ألفونسو الثامن ملك قشتالة ومنافسوه السياسيون سانتشو السابع ملك نافارة وألفونسو الثاني ملك البرتغال وبيدرو الثاني ملك أراغون ضد قوات الموحدين حكام الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الإيبيرية ومناطق واسعة من شمال وغرب أفريقيا. قاد قوات الموحدين السلطان محمد الناصر التي جاءت من شتى مناطق الدولة للمشاركة في المعركة.
ـ مترجم

(5) Ron Barkai, El enemigo en el espejo. Cristianos y musulmanes en la España medieval, Madrid 2007, p. 205. Joseph O'Callaghan, „Reconquest and Crusade in Medieval Spain", Philadelphia 2003, p. 80-83. Véase también Xenia Bonch-Bruevich, Ideologies of the Spanish Reconquest and Isidore's Political Thought, Medieval Studies 2008.

(6) قصرآش أو كاثيرس (بالإسبانية: Cáceres) هي عاصمة مقاطعة قصرش بمنطقة =

لا يبدو صحيحاً أن مسيحيي حقبة ماركوس دي توليدو أرادوا أن يجعلوا المسلمين يعتنقون دينهم ابتداءً من أدب المواجهة[1]. وحتى إن الحملات الصليبية لم تكن تسعى إلى تحويل (اعتناق المسيحية) المسلمين. إن الاستحداثات وأسلوب المَهمّة أُوكلت إلى الرهبان الشحّادين[2] الفرنسيسكان والدومينيكان.

وقد حاول فرنسيس الأسيزي نفسه في عام 1219، بعد تسع سنوات من انتهاء ماركوس دي توليدو من الترجمة الثانية للقرآن تحويل السلطان المصري الكامل[3]عن دينه. وكذلك فإنّ رامون

= إكستريمادورا ذاتية الحكم في غرب إسبانيا. بلغ عدد سكانها في تعداد سنة 2013 ما يزيد على 96 ألف نسمة. وتبلغ مساحة البلدية 1750.33 كيلومتراً. مربعاً، وهي بذلك أكبر بلديات إسبانيا مساحةً. وتعد المدينة المسوّرة موقعاً من مواقع التراث العالمي. ـ مترجم

(1) The purpose of war against Islam was not to convert the Muslims. Aside from the challenge to Islamic rule by the ninth-century martyrs of Córdoba, and some Mozarabic apologetic treaties of the eleventh and twelfth centuries, Hispanic Christians were remarkably passive in confronting Muslim theology. (...) Peter the Venerable, abbot of Cluny, visited Spain and obtained a translation of the Qur'ān (done by the Englishman Robert of Ketton) so he could refute Islamic doctrine, but he did not initiate any serious efforts at conversion. Although Mark, a canon of Toledo, also translated Qur'ān early in the thirteenth century, that apparently did not prompt any any missionary campaign. From time to time individual Muslims converted, but the popes and northern Europeans expressed greater interest than peninsular Christians in persuading the Muslims to adopt the Christian faith.» Joseph O'Callaghan, Reconquest and Crusade in Medieval Spain, Philadelphia 2003, p. 10.

(2) جماعة المتسولين أو الشحادين، (mendicare باللاتينية) وهم جماعة دينية كاثوليكية، تتميز بأن أعضاءها يعيشون على التسول من الآخرين، كل جماعة من المتسولين تتألف من إخوة (Fray باللاتينية) وأخوات (باللاتينية SOR) وغيرهم، سمّوا قديماً بإخوة التكفير عن الذنوب. وينتمي لهم الفرنسيسكان والدومينيكان والأوغوسطيون والرهبنة الكرملية. ـ مترجم

(3) الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب لقب بأبي =

لول[1] (1232_1315)، الذي انخرط بشخصه ببعثة تبشيرية في البلدان الإسلامية، فهو ينتمي أيضاً إلى جيل ما بعد ماركوس دي توليدو. وربما من الممكن اعتبار الأنشطة الفرنسيسكانية محاولات أولى للبعثات التبشيرية عبر الكلمة. لقد كان الفرنسيسكان والدومنيكان، في منتصف القرن الثالث عشر، الرواد في البحث عن أسلوب جديد للإرسالية الإنجيلية[2].

من الملفت للنظر وصف ماركوس دي توليدو لرودريغو خيمينيث دي رادا عندما يقدّمه كإكليريكي دون طموحات عسكرية، لا سيما إن نظرنا إلى تأريخ المقدمة، وهو حوالي سنة واحدة فقط قبل معركة العُقاب (لاس نافاس دي تولوسا). كما يبعث على الفضول أن يكتب بطرس المبجل، رئيس دير كلوني، وهو شخصية تشبه رودريغو

= المعالي، (576_635 هـ) خامس سلاطين الدولة الأيوبية حكم من 1218م إلى 1238م. تنازل عن بيت المقدس للصليبيين... كان عارفاً بالأدب والشعر، وسمع الحديث ورواه. ولاه أبوه الديار المصرية سنة 615 هـ خمس عشرة وستمئة، وحسُنت سياسته فيها، واتجه إلى توسيع نطاق ملكه فاستولى على حران، والرها، وسروج، والرقة، وآمد ثم امتلك الديار الشامية. مرض بقلعة دمشق بالسعال والإسهال نيفاً وعشرين ليلة، وكان في رجله نقرس فمات في الحادي والعشرين من رجب. من آثاره المدرسة الكاملية بمصر، وقد توفي الملك الكامل في دمشق سنة (635هـ)، واستمر في الملك عشرين سنة. _ مترجم

(1) رامون لول (Ramon Llull) هو فيلسوف كتالوني، من أسرة ميسورة الحال. أولع بالشعر، ثم انضم إلى رهبنة الفرنسيسكان. انكب على دراسة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، قاصداً دعوة المسلمين إلى المسيحية. سافر من أجل ذلك إلى شمال إفريقية غير مرة، ولقي حتفه هناك. حاضر في باريس، ومر بمونبلييه ومايورقا. حاول في مؤلفاته، وخاصة «الفن الأكبر»، أن يدافع عن المسيحية ضد الإسلام وضد فلسفة ابن رشد. كان ذا نزعة صوفية عميقة، وله منهج رمزي دقيق. مترجم

(2) Historia de la Iglesia Católica, bajo la dirección de Josef Lenzenweger, Peter Stockmeier, Karl Amon, Rudolf Zinnhobler, Barcelona 1989, p. 367-368.

خيمينيث دي رادا في نـواحٍ عديدة عن الدافع لتحقيق أول ترجمة للقرآن، حيث يستخدم بشأن مهمته كلمات متطابقة تقريباً مع وصف ماركوس دي توليدو لداعمه:

Aggredior inquam uos, non ut nostri saepe faciunt armis sed verbis, non ui sed ratione, (Liber contra sectam I, p. 231).

أنا أقترب[1] منك ليس، كما يفعل أناسنا في أغلب الأحيان، بالسلاح، بل بالكلمة، ليس بالعنف، بل بالعقل.

إن محاربة الإسلام بأسلحة العقل وتحضير حملة فكرية تتجلّى بفهم أفضل للـ«هرطقة» كعامل يستخدم في الدفاع عن الإيمان المسيحي، كان أمـراً شائعاً في تلك الحقب[2]. التسلح المسيحي Cristianum armarium وهو مجموعة الأسلحة الخاصة بالمسيحيين، هو علّة عامة أخرى، نموذجية بالنسبة لعالم من القرون الوسطى، والتي استخدمها ماركوس دي توليدو لإضافة قيمة إلى عمله المروّج من رودريغو خيمينيث دي رادا.

---

(1) تترجم الكلمة Aggredior أيضاً بالهجوم. ـ مترجم

(2) José Martínez Gázquez, Finalidad de la primera traducción del Corán, (en:) M. Barceló-J. Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII-XIII, UAB-Bellaterra, 2005, p. 74.

ب- تاريخ العرب لروردريغو خيمينيث دي رادا

Historia Arabum I-VI de Rodrigo Jiménez de Rada[1]

ب. 1 النص والترجمة

INCIPIT PROLOGVS IN LIBRO ARABVM POST PRINCIPIVM MACHOMETI

Que calamitatum aceruis Hispania dispendia sit perpessa in superioribus, ut licuit, explicaui. Nunc de excidiis Arabum, que utinam sint postrema, a quibus nichil fuit in Hispaniis intemptatum, finem imponere dignum duxi, si diuina potencia uelit de cetero a gladiatorum dissecationibus custodire. Que iam a quingentis XXX duobus annis et ultra, repetito gladio dissecata, nec a filiis euasit uiscerum seccionem necnon, Ve regibus dispertita, ab eis et transfugis ad Sarracenos intestini uulneris supplicia non euasit. Verum diuina c le me nt ia mise ra nte, a te mpore nob il is A lde fo ns i, q ui prop e B ilc he Amiramomeninum cum Arabibus campestri prelio effugauit, et Arabum gladius ebetatus et Gothorum strenuitas restituta talionis semitas aperuit Christianis. Et sicut a principio Christianos incolas sub tributi onere coegerunt, sic et modo,

(1) Edidit Jose Lozano Sanchez (en:) Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum, introducción, Edición crítica, Notas e Indices de Jose Lozano Sanchez, Sevilla 1974.

restitutis munitionibus principibus Christianis, degunt seruitute solita sub tributo. Eorum itaque successiones et tempora uolens posteris conseruare, eorum exordium a Machometi tempore inchoaui, qui eorum secte fuit conditor et inuentor. De eius origine, predicatione et regno, que relatione fideli et eorum scripturis, ad detegendam gentis illius seuiciam et uersuciam, satis breuiter explicaui. Aduertat autem lectoris studium qualiter mentita reuelatio uersuti hominis Machometi ex corde finxit uirus pestiferum, quo libidinosas animas quasi nexibus colligauit, ut discant paruuli a fabulis abstinere et Ade funiculis colligari, et trahi uinculis caritatis.

INCIPIT HYSTORIA ARABVM DE ORIGINE ET EXORDIO MACHOMETI

I Anno Leouegildi regis Gothorum VIIIIo, era DC prima, in uilla que Hyatrib dicitur prope Mecham erat homo Aly nomine filius Abdelmutalib et uxor eius Emina; nomen patris Emine Bayab et matris eius Halima, que concepit et peperit filium quem uocauit Mahomat. Et cum Arabia et Affrica inter fidem Catholicam et heresim Arrianam et perfidiam Iudaycam et ydolatriam diuersis studiis traheretur, Arabs predictus Aly

بدء مقدمة كتاب العرب
بعد ولادة محمد

كيف كان، لإسبانيا الضائعة، أن تعاني من كل هذه الأهوال، كما أوضَحت في الكتب السابقة، واتفقت على ذلك فيها. وفيما يتعلّق بمجازر العرب، ولَيتها تكون الأخيرة، التي لم ينجُ منها شيء في الأراضي الإسبانية، فقد قررت الآن أن أضع حداً لائقاً لها، إن أرادت القدرة الإلهية أن تحفظنا من هجمات الجلادين. كيف أمكن لها أن تُطعن في الظهر مرة تلو أخرى (إسبانيا) منذ خمسمئة واثنين وثلاثين عاماً وأكثر، دون أن يمنع ذلك أبناءها من تقطيع أوصالها، وأيضاً، وحيث إنها مقسّمة بين خمسة ملوك، فهم لم يمنعوا آلام الجروح الغليظة التي سببوها هم والفارّون إلى السرسنيين. وحقيقةً، طالباً المغفرة من الرب الرحيم، فمنذ حقبة ألفونسو النبيل، الذي جعل أمير المؤمنين Miramamolino[1] يفر مع عَرَبه قرب بيلتشيي بعد معركة ضارية، وهكذا فإنّ سيوف العرب المثلومة، واستعادة القوط

---

(1) أمير المؤمنين: «Amir al-Mu'minin o Príncipe de los Creyente» الناصر لدين الله محمد بن المنصور محمد بن يعقوب بن يوسف الملقب بالناصر حكم سنة 1199م بعد وفاة أبيه يعقوب المنصور، في عصره لم يشهد إنجازات كالتي شيدها أبوه، وانهزم أمام ألفونسو الثامن في معركة حصن العقاب قرب جيان.

لزمام الثأر[1]، كل ذلك فتح دروب الانتقام أمام المسيحيين. وبالطريقة نفسها إذ أخضعوا السكان المسيحيين منذ البداية تحت وطأة الجزية، وعلى الرغم من استعادة حصون الأمراء المسيحيين، إلا أنهم يعيشون في ظل عبودية تعودوا عليها بخضوعهم للجزية. وهكذا، ولرغبتي في الحفاظ للأجيال القادمة على حقيقة أفعالهم وتأريخها، فقد كنت قد بدأت كتابة تاريخهم منذ عهد محمد الذي كان مؤسس وواضع فرقتهم؛ حول أصله، وتبشيره ومُلكه، ولأكون وفياً في نقل قصته ونصوصه في سبيل فضح وحشية وحقد هؤلاء الناس، قمت بالشرح بإيجاز شديد. وبالإضافة إلى ملاحظة توق القارئ لمعرفة كيف يمكن لوحيٍ كاذب تظاهر به ذلك الرجل الشرير محمد الذي يبث من قلبه السم الزعاف، أن يربط به النفوس الفاسقة كما لو كان كالعُقَد، من أجل أن يتعلم الصغار الابتعاد عن الخرافات والاعتصام بحبل آدم و (أن يتعلموا) كيف يترابطون بأواصر المحبة.

يبدأ تاريخ العرب. حول أصل وبدايات محمد

1 ـ في السنة الثامنة لملك القوط ليوفيجيلدو Leovigildo، في الحقبة الأولى AD، في مدينة تدعى يثرب Hyatrib بالقرب من

---

(1) يشار إلى هذا المبدأ أحياناً باستخدام المصطلح اللاتيني lex talionis قانون الانتقام أو قانون تاليون " الثأر"، والكلمة الإنجليزية talion مشتقة من اللفظ للكلمة اللاتينية talio: تعني مقابلة الأذى بمثله بموجب القانون والذي تتوافق فيه العقوبة مع نوع وقدر الضرر. قانون الانتقام وحده لا يشير حرفياً إلى قوانين العين بالعين في المساواة، انظر mirror punishment الجزاء من جنس العمل، ولكنه ينطبق على أنواع أوسع من النظم القانونية التي تحدد العقوبات على جرائم محددة والتي يعتقد بأنها مناسبة لخطورتها. ويقترح البعض أن هذا القانون كان يهدف جزئياً إلى منع العقاب المفرط على أيدي أطراف الثأر وحدهم أو الدولة.

مكة Mecham كان هناك رجل اسمه علي Aly بن عبد المطلب Abdelmutalib وزوجته آمنة Emina. (كان) أبو آمنة يدعى بياب Bayab وأمها حليمة، وهي حملت وولدت ابناً دَعته محمداً. ومنذ أن كانت الجزيرة العربية وأفريقيا تتنازعهما عدة قوّى بين الإيمان الكاثوليكي، والهرطقة الآريوسية، والكفر اليهودي والوثنية، كان ذلك العربي المذكور، علي،

familiaritate cuiusdam Iudei, qui erat geneaticus, inter fidem Catholicam et Iudeorum perfidiam fluctuabat. Cumque Emina concepisset, facta est sterilitas magna per totam Arabiam, adeo ut pane deficiente erbis dumtaxat siluestribus uescerentur. Cum autem tempus partus Emine aduenisset, Iudeus ille ut erat geneaticus captauit consistenciam planetarum et horam natiuitatis infantis. Aly autem in sanctam Iherusalem iuerat ad orandum, et rediens inuenit filium suum natum. Et quicquid ille geneaticus de infante perceperat reuelauit, et predixit eum in regno et lege mirabiliter exaltandum. Aly autem apud Hyatrib post tempus modicum uitam finiuit. Cum autem esset infans annorum IIIIor, ut ipse mentitur, uenerunt duo angeli et fiderunt cor eius et extraxerunt inde coagulum sanguinis denigrati, quod postea niuis lauacro abluerunt, et ponderauerunt cor eius cum X cordibus gentis sue, post cum mille, et maioris ponderis est inuentum; et unus angelus dixit alteri: "Si cum omnibus Arabibus in trutina poneretur, omnibus preualeret". Hec mentitur in uisione se a Gabriele angelo audiuisse. Cum autem esset annorum quinque, mater sua tradidit eum auie sue Halime nutriendum.

DE INSTRVCTIONE ET PRIMA OSTENSIONE MACHOMETI

II Anno septimo mater sua recepit eum et se transtulit ad propinquos, et post paucos dies ibi mortua fuit Emina mater eius, et suscepit eum alia mulier que Daymen dicebatur

et transtulit eum in Mecham. Octauo anno mortuus est Abdelmutalib auus eius, et recepit eum Abutalib patruus eius in curam, et iste tradidit eum predicto geneatico instruendum, qui instruxit in naturalibus scientiis et lege Catholica et Iudayce perfidie documentis, unde et ipse postmodum aliqua de fide Catholica, aliqua de lege ueteri in sue secte subsidium usurpauit. Cum autem esset Mahomat annorum XIII, Abutalib duxit eum in Iherusalem, eo quod te mp lum sa nc t imo nie era t ib i. Ma ho mat a ute m c um ad a nnos adò le sce nt ie peruenisset et in doctrina noui testamenti ac ueteris et naturalis scientie profecisset, iterum fame Arabiam opprimente, ipse ad cuiusdam diuicis uidue, que Hadeya dicebatur, familiam se conuertit, et circa operaciones domesticas industrius est inuentus; et ea, que uehiculi onere abducebat, reduci fenore sibi gratiam et uidue diuicias cumulabat, et factus est in occulis uidue gratiosus, adeo ut eum in filium adoptaret. Cum autem esset annorum uiginti Ve, duxit uxorem que Hadiga dicitur. Demum eciam uiduam que eum exhibuerat superduxit,

على صداقة بيهودي كان عرّافاً، ومتقلباً بين الإيمان الكاثوليكي والكفر اليهودي. ومنذ أن حملت آمنة، أصاب الجزيرة العربية جدب جسيم، حتى إنها افتقرت الخبز، وتناول الناس حشائش البريّة. وقبيل حصول مخاض آمنة، قرأ ذلك اليهودي، كونه عرّافاً، انتظام الكواكب وساعة ولادة الطفل. وفي ذلك الحين، كان علي قد سافر إلى مدينة أورشليم المقدسة للصلاة، ولدى عودته وجد أن ابنه قد وُلد. ثم إن العرّاف أخبر كل ما عرفه عن هذا الطفل، وتنبأ له بشأن عظيم في الملك وفي الشريعة. ثم سرعان ما توفي علي في يثرب. ولمّا بلغ (محمد) أربع سنين، كما ادعى هو ذاته كذِباً، جاءه اثنين من الملائكة فشقّا قلبه واستخرجا منه علقة من دم أسود ثم طهّراه بحمّام من الثلج، وجعلا قلبه بقدر وزن عشرة قلوب، ثم بقدر ألف وأكثر وقال ملاك للآخر:

«لو وُضع في ميزان مع كل العرب، لَفاقهم جميعاً». وافترى أنه سمع هذه الأشياء من الملاك جبرائيل في إحدى رؤاه. ثم بعد أن صار في الخامسة أعطته أمه لجدته حليمة (كي تقوم) برعايته

من النشأة إلى أول ظهور لمحمد

2 ـ ولما بلغ السابعة من عمره استعادته أمه وانتقلت إلى بعض الأقـارب، وما لبثت أن ماتت أمه آمنة بعد أيام قليلة، فتبنّته امرأة كانت تُدعى ديمن Daymen وانتقلت به إلى مكّة. وفي عامه الثامن مات عبد المطلب، جدّه، فتولّاه أبو طالب، عمّه، الذي وضعه في رعاية ذلك العرّاف المذكور ليتولّى تعليمه (؟) والذي درّسه علوم الطبيعة والقانون الكاثوليكي و(أسفار) الكفر اليهودية، حيث استلّ هو ذاته بعض الأمور من الإيمان الكاثوليكي، وبعضها الآخر من الشريعة القديمة لصالح طائفته. ومن ثَمّ عند بلوغه ثلاثة عشر عاماً، أخذه أبو طالب إلى أورشليم، حيث هناك المعبد المقدس. ومع بلوغ محمد سن الرشد، وتقدّمه في (دراسة) عقيدة العهدين القديم والجديد، ومنذ أن اجتاح الجوع جزيرة العرب من جديد، عمِل هو ذاته خادماً لدى أرملة غنية تُدعى خديجة Hadeya وأظهر اجتهاداً في المهام المنزلية؛ ومع ما تتطلبه (عربة) المسير، ملأها باستفادة مزدوجة، بفضله هو وبفضل ذهب الأرملة، وأظهر نفسه كثير الامتنان في عيون الأرملة حتى تبنّته كابن لها. ثم عند بلوغه الخامسة والعشرين اتخذ(ها) زوجة له تلك التي تُدعى خديجة. وأخيراً اتخذ لنفسه زوجة ثانية على الأرملة التي أعالته، وفي

et procedente tempore alias cumulauit ita quod XVIII uxorum libidine immo adulterio fedabatur. Prima autem causa sue ostensionis in Arabia sic euenit. Ecclesia nobilis apud Mecham inundatione fuit penitus dissipata, in qua erant forme argento et auro et preciosis lapidibus decorate. Quam seniores Meche cupientes unanimiter reparare, nauem regis Egipti Christiani, qui in Ethiopia ecclesiam ceperat hedificare, oneratam lignis in Arabie littore acceperunt, et ex istis lignis deiectam ecclesiam repararunt que Alcahaba dicebatur. ET cum esset ecclesia consumata, erat lapis niger in angulo apponendus, quem eciam hod ie ob re uere nc ia m Arabes os c ula nt ur. Cumq ue ma iores pop uli d iss ide re nt q uis consumationis lapidem adaptaret, ultimo conuenerunt ut, qui primus in porta que Bayssayba dicitur appareret, ille lapidem collocaret. Accidit autem Mahomat per portam prius ceteris aduenire, et consenserunt ut ipse esset supradicti lapidis coaptator. Et ipse extendens clamidem texit petram, et uocatis ad se IIIIor de Coraxinis tulerunt lapidem ad structuram et ipse ut cementarius collocauit. Et uiderunt omnes et miraculum reputarunt; et cum omnes crederent esse Prophetam, inquit quidam: "Cum tot seniores et uiri probabiles in uestro concilio habeantur, miror quare hunc adhuc iuuenem omnibus pretulistis". Et iurans et interminans: "Hic sine dubio uos disperdet". E contrario alii resistebant dicentes a diabolo sic locutum. Viri autem seniores et populus reparatam ecclesiam iuxta dignitatem pristinam ornauerunt, et tunc Mahomat suasit eis ut semper uersus illam ecclesiam adorarent. Erat autem Mahomat annorum XXXV. Post hec Mahomat fecit moram per quinquennium apud Mecham, et ibi multis dissensionibus cum hiis, qui erant de genere Corexi et ydola adorabant, frequentius concertabat unum Deum tantummodo predicans adora nd um; se t quia illi pot e nc ia pre mineba nt, e um a Mecha in Hyatrib fuge recompuler unt.

DE PREDICATIONE ET REBELIONE MACHOMETI

III Post quinque autem annos, cum esset annorum XLa, Mecham intrauit et ibi latuit per tres annos nolens ostendere

se Prophetam. Et ibi mentitur sibi datum ab angelo librum qui dicitur Alcoranus. Et quia adhuc Mecha pro maiori parte a Correxinis ydolorum cultoribus tenebatur, ipse quasi humiliter cedens in uillam suam Hyatrib declinauit; et

الفترة اللاحقة جمع ثماني عشرة امرأة ليتلطخ في شهوته بأدنى درجات الفحش. وهكذا حصلت أول علّة لظهوره العلني في جزيرة العرب.

كان ثمة كنيسة شهيرة في مكة، وكان فيها صور ومرصعة بالفضة والذهب والأحجار الكريمة، وقد دمرت عن بكرة أبيها بسبب السيل. رغب جميع نبلاء مكة بإصلاحها، واتخذوا سفينة لملك مصر المسيحي، الذي كان قد بدأ ببناء كنيسة في إثيوبيا، (كانت السفينة) محملة الأخشاب (وكانت موجودة) على شاطئ جزيرة العرب، وبهذه الأخشاب أصلحوا الكنيسة المدمّرة التي كانت تُدعى الكعبة Alcahaba. وبعد الانتهاء من الكنيسة كان عليهم أن يثبتوا في الزاوية حجراً أسود والذي إلى اليوم أيضاً يقبّله العرب بخشوع. وعلى الرغم من أن كبار القوم اختلفوا فيمن سيقوم بوضع الحجر في مكانه، فقد اتفقوا أخيراً أن أول من يدخل من باب يسمى Bayssayba، هو من سيضع الحجر. ثم إن محمداً دخل من الباب قبل أن يصل الآخرون، وتوافقوا على أن هو ذاته من سيركن الحجر المذكور. فقام ونشر ثوبه وغطى الحجر به، ونادى لأربعة من كبار قريش Correxini، فحملوا الحجر إلى الهيكل وهو نفسه كبنّاء وضع (ـه). وجميعهم رأوا (ه) وجميعهم اعتبروا (ه) معجزة. ونظروا إليه جميعاً كنبيّ، فقال أحدهم: «مع أن العديد من السادة والرجال موجودون في هذا المجلس، أنا مندهش كيف قدّمتم هذا الشاب عليكم». شاتماً ومتوعداً: «بهذا

سيكون هلاككم» وبخلاف ما قاله، عارضه الآخرون قائلين ان (ذلك كان) قولاً من الشيطان. ثم إن الرجال والوجهاء وعامة الناس زيّنوا الكنيسة المرمّمة لتعود إلى بهائها السابق ومن ثَمّ أقنعهم أن يتوجهوا بناظريهم نحو تلك الكنيسة كلما أرادوا الصلاة. وكان محمد حينها قد بلغ الخامسة والثلاثين. بعد ذلك قطن محمد في مكة خمس سنين، ودبت الخلافات بينه وبين رجال قريش الذين كانوا يعبدون الأصنام. (هو) كان يبشر تكراراً بأن هناك إلهاً واحداً يجب عبادته (غير موجودة في النص اللاتيني، بل بالترجمة الإسبانية فقط!)، لكنهم إذ كانوا يسودون بقوتهم، فأجبروه على الفرار ذليلاً من مكة نحو يثرب.

حول تبشير وتمرّد محمد

3 ـ ثم بعد خمس سنين، وكان قد بلغ الأربعين، عاد إلى مكّة وظل متخفّياً لثلاث سنين دون رغبة منه في أن يظهر كنبيّ، وهو يكذب بأنه تلقى من الملاك كتاباً اسمه القرآن Alcoranus. ولأن مكة كانت لا تزال بغالبيتها تحت سيطرة القرشيين ـ عبدة الأوثان، فقد تراجع بجبنٍ وغادر إلى مدينته يثرب؛ وبعد أن استرد

postea resumptis uiribus intrauit Mecham et eos, qui erant de genere Corexi et ei restiterant, ui et potencia captiuauit et quasi improperans dixit eis: "Quid de uobis faciam?". At illi dixerunt: "Bene, quia estis largus et curialis". Et ipse continuo dimisit eos et deinceps humiliter subfuerunt. Tunc precepit ut in turribus ubi consueuerant campane pulsari, Sarracenus quispiam proclamaret sicut et adhuc hodie proclamatur a cultoribus secte sue. Precepit eciam ut in mense Ramadam ieiunarent XXX diebus et aliis XXX diebus in mense qui dicitur Almoharram; et domum in qua ipse natus fuerat fecerunt mezquitam. Anno autem imperatoris Heraclii VIIo, Sisebuti regis Gothorum Vo,

natiuitatis sue XLo, Mahomat, uidualibus diuiciis inclitatus et falso miraculo lapidis a pluribus approbatus, cepit grandia cogitare et rebellia contra Romanorum imperium procurare et clamculis suasionibus populos concitare ostendens eis qualiter seruitutis amaritudine premerentur et exinaniti censibus et tributis paupertate continua uexarentur, et sola ignauia tenebantur, cum ui et numero possent repellere potenciam Romanorum.

DE VICTORIA MACHOMETI CONTRA ROMANOS

IV Cumque plurimos taliter suasisset, accidit quod Eraclius imperator mitteret nuncios pro tributis. Set Mahomat cum suis complicibus hoc prenoscens eis occurrit et negatis tributis fultus audacia interfecit. Et sic assumptis uiribus interdum furtim interdum publice, prout negocium exigebat, Siriam, Arabiam et Mesopotamiam fraude pocius quam uirtute suo proposito inclinauit; et adeo ciuitates et oppida stimulauit, ut iugo seruitutis abiecto iam aperte inciperent rebellare. Eisdem diebus Eraclius sompniauit quod mures e terra nascentes sibi extrema uestium corrodebant; et tunc misit ampliorem exercitum cum Theodoro fratre suo, set uicti ab exercitu Mahometi ad Eraclium redierunt ampliorem exercitum collecturi. Tunc Eraclius fratri suo Theodoro uisionem murium reuelauit, et restaurata multitudine bellatorum, Romanorum exercitus cum Theodoro iuit contra exercitum Machometi. Set adeo inualuerat rebellium multitudo quod Romane legiones uerentes a facie Mahometi ad Gabatam opidum secesserunt rebellium exercitu

قوته، دخل مكة، قاومه أولئك الذين كانوا من قبيلة قريش، فقبض عليهم بالقوة والسلطة وقال لهم مؤنباً: «ما أنا فاعل فيكم؟» فقالوا له: «خيراً (ستفعل) فأنت كريم وصالح»151. وعفا عنهم على الفور، وخضعوا له هم بتواضع. ثم أمر بأن ينادي أحد السرسنيين من على الأبراج التي كانت تقرع من عليها الأجراس (كما) هو الحال

حتى اليوم إذ يُنادى لأتباع طائفته. كما أمرهم بالصيام ثلاثين يوماً في شهر رمضان وثلاثين يوماً أخرى في الشهر الذي يُدعى المحرّم، وحولوا المنزل الذي وُلد فيه إلى مسجد.

وفي العام السابع للإمبراطور هرقل، والخامس للملك سيستبوتو Sistebuto[1] ملك القوط، (في السنة) الأربعين لولادته، محمد، ذلك الشهير بغِنى الأرملة وقبول الكثيرين بمعجزة الحجر الزائفة، بدأ يفكر في أمور عظيمة وقيادة تمرد ضد الإمبراطورية الرومانية و (بدأ) بالنصح الحصيف يستثير الناس مبيّناً لهم كيف كانوا مضطهدين بمرارة العبودية ومفلسين بسبب السخرة والضرائب (،) ويعانون باستمرار من الفقر، ولا يملؤهم إلّا الكسل، إنّما بالعدة والعدد سيتمكنون من رفض قوة الرومان.

عن انتصار محمد على الرومان

4 - ولمّا انتصح كثيرون منهم بهذه الطريقة، حدثَ أن أرسل الإمبراطور هرقل مندوبيه لأجل (جمع) الضرائب. إلّا أن محمداً، ولسابق علمه (بالأمر) بفضل أعوانه، خرج لملاقاتهم ورفض أن يؤدي (لهم) الضرائب، ثم تجرّأ على قتلهم. وهكذا، وبعد أن زاد من قوته خلسة في بعض الأحيان وعلانية في بعضها الآخر، ووفقاً لما تتطلب(ه) الأحوال، واضعاً نصب عينيه سوريا والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين بالغش

---

(1) سيسيبوتو (Sisebuto وليس Sistebuto. توفي في شباط 621) ملك القوط الغربيين (ما بين ربيع 612 وشباط 621)، وكان قد خلف الملك كوندمار Gundemaro. يعزى إليه بناء كنيسة سانتا ليوكاديا Santa Leocadia في طليطلة، التي أصبحت فيما بعد مقراً لأربعة مجالس. - مترجم

لا بالفضيلة؛ وصل إلى أن حرض مدناً وحصوناً أنه بعد أن تنفض عن نفسها نير العبودية ستندفع إلى التمرد علانية. في تلك الأيام حلم هرقل أن جرذاناً خرجت من الأرض وقضمت أطراف ثوبه، فأرسل جيشاً كبيراً يقوده شقيقه تيودورو، لكن بعد أن هزمه جيش محمد عاد إلى هرقل ليجمع المزيد من القوات. ثم كشف هرقل لأخيه تيودورو عن رؤيا الجرذان، وإثر تجهيز حشود من المحاربين، توجه الجيش الروماني وعلى رأسه تيودورو لملاقاة جيش محمد. لكن في لحظة تغلب فيها حشد المتمردين على جحافل الروم الذين كانوا يخشون مواجهة محمد فلجؤوا إلى قلعة جباثا Gabata في حين تبعهم جيش المتمردين حيث،

subsequente, ubi pugne periculo crebescente subcubuit exercitus Romanorum et, Theodoro interfecto, ceteri strage et gladio perierunt preter paucissimos qui fuga et latebris euaserunt. Et extunc fuit iugum imperii Romanorum excussum a ceruicibus Sarracenorum.

DE SVBLIMATIONE MACHOMETI IN REGEM, ET DE VISIONIBVS MENDACITER EXCOGITATIS

V Et continuo superba uictoria eleuati Damascum adeunt, nobilissimam et regiam Syrie ciuitatem, in qua, attendentes quam per eum adepti fuerant libertatem, eum in regem et principem elegerunt et regni solium concesserunt. Quo adepto, uerens Mahomat ne de populis sibi subiectis, qui Christianis legibus subiacebant, Romano Pontifici obedirent et reconciliati imperio adhererent, legem statuit inuenire, qua quasi funiculis peccatorum dampnandas animas colligaret, cepitque fabulis detestandis seducendas animas demulcere. In eius secundo libro repperitur inscriptum quod Mahomat insidebat uni bestie, que dicitur Alborac et preponebat pedem posteriorem super pedem

anteriorem, et talibus bestiis Prophete consueuerant insidere. Et in tali bestia Mahomat Iherusalem est profectus et, ut ipse in libro suo mentitur, inuenit ibi Abraham, Moysen et Ihesum et Prophetas alios ex antiquis, qui ibi conuenerant ad adorandum, et optulerunt Mahometo tria uasa: unum lacte, aliud uino, aliud plenum aqua. Et audiuit uocem celitus hoc dicentem: "Si uas aque acceperis, cum tuo populo submergeris. Si uas uini, cum gente tua peribis. Si uas lactis, tu cum tuo populo dirigeris". Et ipse accipiens scifum lactis bibit ex eo. Tunc Gabriel angelus inquit ei: "Nunc es directus tu et omnes qui crediderint legi tue". Et oratione facta cum a Iherosolimis recessisset, quod uiderat discipulis reuelauit et addidit que secuntur: "Cum uidi", inquit, "Abraham, Moysen et Ihesum, occuli corporis dormiebant, set cordis occuli uigilabant; et uidi quod Abraham similis erat michi, Moyses autem erat rubeus atque crispus, Ihesus autem, Marie filius, flauus capillis nec longus nec paruus, set dispositione et statura media coaptatus, et uidebatur aqua ab eius capite prosilire, uerumtamen aqua non erat ibi". Addidit eciam in hoc libro: "Ad primum celum Gabriel me perduxit, et me in isto

مع ازدياد شدة القتال، أُحبط الجيش الروماني ومات تيودورو، وقضى الآخـرون ذبحاً وتقتيلاً، عدا عن بضعةٍ تمكنوا من الفرار والاختباء. ومنذ ذلك الحين خُلع نير الإمبراطورية الرومانية عن رقاب المسلمين.

حول ارتقاء محمد كمَلك والرؤى الكاذبة

5 ـ وتابعوا، مغرورين بنصرهم العظيم، طريقهم نحو دمشق، المدينة الأكثر نبلاً وملوكيةً في سوريا، والتي اختاروه فيها ملكاً وأميراً عليهم وتخلوا (له) عن عرش المملكة، إذ رأوا أنه بفضله نالوا حريتهم. وبعد أن حقق ذلك، خشي محمد

من أن الناس الخاضعين، والتابعين لقوانين المسيحية، سيطيعون الحبر الأعظم الروماني وسيتوافقون للانضمام إلى الإمبراطورية (الرومانية)، فقرر اختلاق قانون، وكأنه حبل لربط نفوس الخطأة التي ستكون مدانة، وبدأ يداعب النفوس التي كانت ستبدو مفتونة بخرافات تستحق أن تُبغض.

في كتابه الثاني دُوّن به أن محمداً كان يمتطي دابة اسمها البُراق تطال رجلُه الخلفية رجلَه الأمامية، وكانت عادة الأنبياء أن يركبوا مثل هذه الدابّة. وعلى ظهر هذه الدابة سار محمد إلى أورشليم، وكما يكذب هو ذاته في كتابه، التقى هناك مع إبراهيم وموسى ويسوع وغيرهم من الأنبياء الأقدمين، الذين اجتمعوا هناك للصلاة وأُتي إلى محمد بثلاثة أوانٍ: واحد فيه لبن، وآخر فيه نبيذ وآخر فيه ماء. وسمع منادياً من السماء يقول: «لو قَبِلت كوب الماء لغرقت مع أمتك. لو قَبِلت كوب النبيذ لغويت مع أمتك. لو قَبِلت كوب اللبن (...) ستسير وأمتك على الصراط المستقيم»؛ وأنه هو بنفسه، قَبِل كوب اللبن، وشرب منه. فقال له الملاك جبرائيل: «الآن ستهتدي إلى الصراط المستقيم أنت وكل الذين يؤمنون بشرعك». وبعد أن أدّى الصلاة، ولدى عودته من أورشليم، روى لتلامذته ما رآه، وأردف ما يلي: «عندما رأيت إبراهيم وموسى ويسوع، كانت تنام عينا جسدي، وعينا قلبي يقظى؛ ورأيت أن إبراهيم كان يشبهني، ولكن كان موسى أحمر وأجعد، وكذلك يسوع ابن مريم، وشعره أشقر (،)لا هو طويل ولا قصير بل مربوع القامة، تحسب كما لو أن رأسه يقطر ماء، لكن ليس به ماء. «وأضاف أيضاً في هذا الكتاب»، أخذني جبرائيل إلى السماء الأولى والملائكة استقبلتني بمحبة وابتسام

celo benigne angeli receperunt et cum risu et gaudio respexerunt dicentes comuniter 'bene, bene', orantes michi prospera et iocunda. Vnus solus angelus inter angelos consistebat qui nec michi orauit prospera neque risit. Cumque quesissem ab angelo quisnam esset, respondit: 'Nunquam risit hic angelus nec ridebit. Hic est angelus custos ignis'. Et dixi angelo: 'Est hic angelus qui a Deo dicitur nimis dilectus?' Et respondit angelus: 'Hic est ille'. Tunc dixi ei: 'Precipite ut ostendat michi ignem'. Iubente itaque Gabriele remouit tegimen olle ignis, et ignis ascendens timui ne omnia quecumque uideram concremaret; et rogaui Gabrielem ut ignis iterum tegeretur, et ignis rediit in locum suum et uidebatur ut sol cum occidit in occasu, et tristis angelus, ut prius fuerat, texit ignem. Similiter cum intraui celum inueni hominem uenerandum in sede sedentem, et ostendebantur ei anime omnium mortuorum, et cum uidebat que sibi anime non placebant, ab eis intuitum auertebat improperans eis: 'Peccatrix anima, ab infelici corpore exiuisti'. Et cum ostendebatur ei anima que placebat, applaudens anime inquiebat: 'O felix anima, a bono corpore exiuisti'. Et interrogaui angelum de uiro tante reuerencie quisnam esset, et angelus dixit michi Adam esse, qui bonis sui generis congaudebat et a malis faciem auertebat et penas peccancium ostendebat. Vidi eciam in eodem celo qui carnes pingues et optimas manducabant et alios qui postpositis pinguibus de fetidis comedebant. Cumque quesissem isti homines quinam essent, respondit angelus: 'Primi sunt qui uxoribus legitimis adheserunt, alii qui legitimas non curantes fedis comerciis uetitis mulieribus se dederunt'. Postea duxit me Gabriel ad secundum celum, et inueni ibi Ihesum filium Marie et Hyahya", quem nos Iohanem dicimus, "filium Zacharie qui erant consobrini. Postea Gabriel in celum tertium me induxit, et inueni hominem cuius forma erat ut plene lune, et Gabriel dixit michi: 'Hic est Ioseph fil ius Iacob Pa tr iarc he'. Po stea d uxit me in ce lum q ua rt um ub i inue ni ho mine m uenerandum, et Gabriel dixit michi: 'Hic est Aaroho'; et erat ibi cum eo Idriz qui

celum ascendit. Post hec duxit me Gabriel in quintum celum, et inueni ibi hominem senem et pulchrum, et dixit michi: 'Hic est Aaron filius Habrahe'. Postea duxit me in sextum celum, et inueni ibi hominem rubeum et procerum, et dixit: 'Hic est Moyses'. Postea fecit me ascendere in VIIm celum, et inueni ibi hominem canum sedentem in sede aperte domus que a pluribus Angelis habitabatur, et intrant in ea LXXa milia Angelorum et non redeunt usque ad diem iudicii, et Angelus dixit michi: 'Hic est Abraham pater uester'. Post hec introduxit me in paradisum, et inueni ibi puellam formosam que multum placuit in occulis meis et interrogaui eam cuia esset, que respondit: 'Hic seruor

وسعادة نظروا إليّ، جميعهم يقولون: «خير، خير»! ويطلبون لي اليسر والنعمة، وكان هناك أحد الملائكة لم يدعُ لي ولم يضحك لي، ولما سألت الملاك من يكون، أجاب: « هذا الملاك لم يبتسم قط ولن يبتسم. هذا الملاك خازن النار». وقلت للملاك: «أهو الذي يقال إنه الملاك الأحبّ إلى الله؟» فقال الملاك: «هو ذا»! ثم قلت له: «مُره أن يريني النار». وهكذا، لمّا أمره جبرائيل أن يكشف عن آنيتها، فلمّا فارت حرارتها، حتى خشيت أن تحيل رماداً كل ما أرى، سألت جبرائيل أن يردّ النار، فرجعت النار إلى مكانها وبدت الشمس عند وقوع الشفق، والملاك العبوس، كما كان من قبل، ردّ على النار غطاءها. وكذلك عندما دخلت السماء الدنيا (،) وجدت رجلاً وقوراً جالساً فيها، تُعرض عليه أرواح كل الموتى، وعندما كان يرى الأرواح التي لا يسر بها، كان يشيح بناظريه عنها ويقول ناهراً: «روح خطّاءة، خرجت من جسد تعيس». وعندما كان يرى الأرواح التي يسر بها، يقول: «روح طيّبة، خرجت من جسد طيب»! وسألت الملاك من هو هذا الرجل ذو الوقار؟ قال الملاك: إنه آدم يهنّئ أخيار ذريته ويشيح

ببصره عن الأشـرار ويُبدي حزنه على الخطأة. ورأيت في السماء نفسها الذين يأكلون اللحم الثمين الجيد، وآخرين يلتهمون اللحوم التي صارت منتنة. ولما سألته من هؤلاء الناس، أجاب الملاك: «أما الأوائل فهم من اجتمعوا إلى ما أحلّ له من زوجات، والآخرون هم من يتركون ما أحل لهم من زوجات ويذهبون إلى الفجور الخبيث وما حرم عليهم من النساء». ثم أصعدني جبرائيل إلى السماء الثانية فوجدت هناك يسوع ابن مريم، ويحيى، الذي ندعوه نحن يوحنا، ابن زكريا، اللذين كان بينهما صلة قربى. ثم أصعدني جبرائيل إلى السماء الثالثة فوجدت هناك رجلاً صورته كصورة القمر البدر، فقال جبرائيل: «هذا يوسف ابن البطريرك يعقوب». ثم أصعدني إلى السماء الرابعة حيث وجدت رجلاً يستحق التبجيل فقال جبرائيل: «هذا هو Aaroho»[1] ؛ وكان معه، إدريس الذي صعد إلى السماء. بعد ذلك، أصعدني جبريل إلى السماء الخامسة، ووجدت هناك رجلاً كهلاً وجميلاً، فقال: «هذا هارون بن إبراهيم[2] Habrahe». ثم أصعدني إلى

---

(1) بعض الأبحاث ترى أن الكاتب ربما قصد به أنس الله (بالعبرية: חֲנוֹךְ، أنوش) اسم يظهر في كتاب الخروج بالتوراة على أنه ابن يارد، والد متوشالح والجد الأكبر للنبي نوح. وتذكر التوراة أنه مشى مع الله ولم يعد. (تكوين 29_5:22). وذكر في العهد الجديد ثلاث مرات (لوقا 3:37 وعبرانيين 11:5 وفي يهوذا 15_1:14). أما في الإسلام فيعتبره البعض هو النبي إدريس نفسه. هناك بعض الكتابات التي تنسب إليه وتعترف بها الكنيسة الأرمنية والأثيوبية والمورمونية إلا أن الكنائس الأخرى مثل الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية لا تعترف بهذه الكتب مع أنها تعتبره من الأقدمين الأتقياء. _ مترجم

(2) التقليد العربي يذكر هارون بن عمران، ويبدو أن أصل الاسم عبراني حيث هكذا كان يدعى أيضاً الحاخام إبراهيم بن عزرا، عاش ما بين 1092 م و1167 م وهو واحد من أكثر علماء وأدباء اليهود شهرة خلال فترة العصور الوسطى... ولد في بلدة تطيلة النافارية والتي تقع اليوم ضمن ولاية نافارا في إسبانيا. _ مترجم

السماء السادسة، ووجدت هناك رجلاً أحمر وقوياً، فقال: «هذا هو موسى». ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فوجدت هناك رجلاً أشيب جالساً على كرسي إلى باب البيت الواسع والمعمور بآلاف الملائكة، يدخله سبعون ألف ملاك ولا يرجعون فيه إلى يوم القيامة، فقال لي الملاك: «هذا أبوك إبراهيم». ثم أدخلني إلى الجنة، ووجدت فيها فتاة جميلة أحبتها عيناي وسألتها لمن تكونين، أجابت:

Zayt, filio Hyarith'; et cum descendissem de paradiso nunciaui hec Zayt, filio Hyarith, qui de meis consortibus unus erat. Et in omnibus celis ad quos ascenderam, interrogabant Angeli Gabrielem, et ipse dicebat eis: 'Hic est Mahomat'. Et interrogabant cum gaudio: 'Est iam missus?' Et ipse inquit: 'Iam est missus'. Et ipsi omnes orabant ut Deus adderet michi uitam tanquam fratri suo et amico. Postquam autem transieram septem celos, Gabriel me preposuit ante Deum. Et mandauit michi ut quolibet die dicerem La orationes. Ego autem conuersus ad Moysen, amicum meum optimum, dixi ei qualiter Deus michi mandauerat ut quolibet die dicerem La orationes, set tot orationes graues essent ad dicendum, cum gens conuersa nouiter non posset tantum honus cotidie tolerare. Et Moyses conuersus ad Deum optinuit ut X orationes relaxarentur; et iterum a me rogatus optinuit alias X, et sic paulatim descendens omnes abstulit preter quinque: ita quod quicumque quolibet die Ve orationes fecerit, remunerabitur quasi pro quinquaginta". Mahomat autem anno etatis sue XLo apud Mecham frecuencius morabatur, et ibidem predicta omnia et multa alia ridicula et nefanda sibi dicta a Gabriele Angelo menciebatur ut populos, quos ad rebellionem concitauerat, secte sue mortis funiculis colligaret; et ut uirus sue malicie occultaret, predicabat omnibus unum Deum. Mecha autem tenebatur cultu plurium ydolorum. Cognatio autem Coraxi conuenerunt in domum Abutalib, qui erat patruus Mahometi, conquerentes de eo quod eorum legem et deos patrios aboleret, set quod ipse et ipsi in suis

ritibus remanerent. Et iam Mahomat habebat aliquos de suis consanguineis conniuentes.

DE DISCEPTA TIONE LEGIS CVM CORAXINIS ET MORTE EIVS

VI Predictus autem Abutalib conuocauit Mahomat et alios Coraxinos super lege et ydolis querelantes, et dixit ei Abutalib: "Ecce isti habent aliqua aduersum te". Mahomat autem respondit ei: "Sustine me modicum perorare". Tunc ille: "Non est, inquit, Deus alius preter unum, et recedite ab ydolis que hactenus coluistis". Tunc illi manus manibus collidentes indignati animis responderunt: "Cur deos nostros uis a patria extirpare?". Et dixerunt: "Iste homo a proposito non cessabit. Set maneat in sua lege et nos ritus patrios obseruemus". Et tunc ab inuicem recesserunt. Abutalib autem dixit Mahomat: "Bona uidetur oratio quam dixisti,»

«محفوظة لزيد بن حارثة»؛ وبعد أن نزلت من السماء بشرت بها زيداً أحد صحابتي. وفي كل السماوات التي صعدت إليها، كانت الملائكة تسأل جبرائيل وهو يقول لهم: «هذا محمد». ويسألونه مسرورين: «أوَقد بُعث؟» فيقول: «نعم قد بُعث»؛ فيبتهلون إلى الله أن يهب لي الحياة كأخ وصاحب[1]. وعند الوصول إلى السماء السابعة، أخذني جبرائيل إلى الله. ففرض عليّ في كل يوم تلاوة خمسين صلاة. فرجعت إلى موسى، أفضل صاحب لي، وأخبرته بما فرض

(1) خطأ في ترجمة المؤلف بين حيّاه وحياة. «قال ابن إسحاق: ومن حديث (عبد الله) ابن مسعود ﵁، عن النبي عليه السلام، فيما بلغني أن جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد. فيقولون: أوقد بعث؟ فيقول: نعم. فيقولون: حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة في كل يوم». ـ مترجم

الله عليّ من تلاوة خمسين صلاة في اليوم، صلوات كثيرة لأمة حديثة العهد بالإيمان والتي ستكون ثقيلة. لن تقدر على هذا العبء الثقيل. فرجع موسى لعند الله فطلب أن ينقصها عشرة. ثم سألته مثل ذلك، فأنقص عشرة أخرى، وهكذا أنقصها كلها إلّا خمساً؛ فمن أدّى خمس صلوات، تحسب (له) خمسون». ولمّا بلغ محمد الأربعين من عمره كان يمكث في مكة لفترات طويلة، وهناك كان يكذب بأن ما يبشر به وكثيراً من الأمور (الأخرى) السخيفة والمشينة قيلت له من الملاك جبرائيل، ليصفّد الشعوب، التي دفعها إلى التمرد، برباط طائفته المميت. وليخفي سمّ شروره، بشّر الجميع أن لا إله إلّا إله واحد. في ذلك الحين كانت مكة خاضعة لعبادة أوثان عدّة. ثم اجتمعت قبيلة قريش في بيت أبي طالب، الذي كان عمّ محمد، تشكو من أنه (محمد) يحرّم شرائعها وآلهة آباءـ(ها)، إلّا أنه ومن معه ظلوا على طقوسهم. لكن كان لمحمد بعض من أقاربه المستترين، المنافقين.

حول النقاش مع القرشيين حول الشريعة وعن مماته

6- ثم دعا أبو طالب المذكور محمداً وقرشيين آخرين ليتحاجّوا حول الشريعة و(نبذ) الأوثان؛ فقال له أبو طالب، «إنّ هؤلاء لديهم بعض الأمور ضدك». فأجابه محمد: «دعني أبيّن أمراً»! ثم أردف: «لا إله إلا الله وحده، فانبذوا الأصنام التي لا زلتم تعبدونها»! فصفق هؤلاء ضاربين كفاً بكف، فأجابوا ونفوسهم تستشيط غضباً: «لماذا تريد أن تنتزع آلهة أوطاننا؟». ثم قالوا: «هذا الرجل لن يرتدع. فليبق على شريعته ونحافظ نحن على دين آبائنا. ثم عادوا جميعاً. ثم قال أبو طالب لمحمد: «لقد قلتَ كلاماً حسناً».

Tunc Mahomat: "Dic, inquit, uerbum quod predicaui et conuertere ad legem meam". Abutalib autem respondit ei: "Libenter facerem, set diceret genus nostrum quod metu tui et timore mortis talia proferebam, nec uolo perdere gratiam propinquorum". Extunc Mahomat cepit sectam suam publice predicare et ad rebellionem populos concitare. Et aliquos seducebat quia unum Deum tantummodo predicabat; et menciens Gabrielem angelum ad se missum, que deceptis populis predicabat, dicta sibi ab angelo asserebat. Et frequenter in contemplationem inuisibilium se rapi simulans quasi destitutus sensibus se in terram ut exanimem prosternebat, et stulti populi loqui cum angelo extimabant. Demum autem quasi restituto spiritu precepta aliqua proferebat que sub uno compacta capitulo Zoharas appellabat; et per tales Zoharas distinguitur liber eius qui dicitur Alcoranus, in quo tot ignominiosas Zoharas predicauit, quod puderet dicere, nedum sequi. Quas tamen uiru diabolico debriati et libidine dulcorati infelices populi receperunt, et adhuc in sua perfidia permanent obstinati nec legem uite et discipline desinunt infestare. Mahomat itaque fraudibus et incursibus et infami doctrina corda gencium in sua pertinacia solidauit. Annis autem X expletis ex quo apud Damascum regni susceperat principatum, moritur et sepultus est in inferno, era DCLX sexta, anno Eraclii XVIIo e t Suyntille regis Gothorum VIIo.

ثم قال محمد: «لقد قلت ما أبشر به فآمنْ بشريعتي»؛ فأجاب أبو طالب: «لوددت أن أفعل(ـه)، لكن قومنا سيقولون إنني استسلمت لذلك خوفاً منك ومن الموت، كما أني لا أريد أن أفقد نعمة الأقارب». ومنذ ذلك الحين، بدأ محمد التبشير بطائفته علانية وحض الناس على التمرد. فأغوى بعضهم، لأنه إذ بشّر بإله واحد؛ كاذباً أن الملاك جبرائيل قد بُعث إليه، معلناً أن ما كان يبشر به الناس المخدوعين، قاله الملاك. وكان (محمد) يتظاهر في بعض الأحيان أنه مكره على التأمّل في أمور

باطنية كما (لو أنها) بعيدة عن المحسوس، وكان يلقي بنفسه كالميت، فيظن الناس الأغبياء أنه يتحدث إلى الملاك. وأخيراً، بُعيد أن يستعيد الروح، يتلفظ ببعض التعاليم التي تُجمع الواحدة تلو الأخرى لتصبح سوراً Zoharas؛ بهذه السور يُعرف كتابه الذي يدعى القرآن Alcoranus، والذي على مداه بشّر بسور مخزية جداً، فيها ما يُخجل بما لا يُحصى، لذا لا يمكن اتّباعها.

مع ذلك، فقد اتبعها الناس التعساء السكارى بالسّم الشيطاني المحلّى بالشهوة، ولا يزالون متشبثين بغدره (كفره) ولا يتخلون عن اتّباع سنن حياته وإطاعته. وهكذا بعد مضيّ عشر سنوات لاعتلائه إمارة مملكة دمشق، مات وقُبر في الجحيم، في الحقبة الستين XVIIo DC السادسة، وفي العام السابع عشر لهرقل والسابع لسونتيلا ملك القوط.

ب .1.1 ملاحظات حول الترجمة

«ما أنا فاعل فيكم؟» فقالوا له: «خيراً (ستفعل) فأنت كريم وصالح»[1].

ب. 2. التعليق

ب. 2 .1. المقدّمة

يشكّل عمل تاريخ العرب Historia Arabum جزءاً من سلسلة أعمال ذات طابع قصير، بالإضافة إلى التاريخ الروماني Historia Romanorum، تاريخ الهون [2] Historia Hugnorum، الونديون[3] Vandalorum،

---

(1) في اللاتينية: curialis

(2) الهون هم مجموعة من الرعاة الرحل، الذين ظهروا من وراء نهر الفولجا في روسيا حالياً وهاجروا إلى أوروبا الشرقية حوالي 370 ميلادية، وقاموا ببناء إمبراطورية في أوروبا. الهون كانوا يستخدمون الرماة على ظهور الخيل كالسلاح الرئيس لديهم. أتيلا الهوني قام بتوحيد الهون مكوناً إمبراطورية كبرى حتى وفاته في 453م. انهارت إمبراطوريته بعد وفاته بعام وكانت نهاية لشعب الهون وانقراض لهم.ـ المترجم

(3) الونديون (إنكليزية قديمة: Winedas، بالنرويجية القديمة: Vindr، ألمانية: Wenden Winden، دنماركية: Vendere، سويدية: Vender، بولندية: Wendowie) هو الاسم التاريخي لقبائل السلاف الغربية التي تعيش بالقرب من مناطق الاستقرار الجرمانية. ولا يشير هذا المسمى إلى شعب متجانس بل إلى شعوب، وقبائل، أو جماعات متعددة وفقاً لمكان ووقت استخدامه. ويستخدم هذا الاسم اليوم في النصوص التاريخية أو كتعبير جامع يشمل قبائل الصورب اللوستينية، وسلالاتهم مثل وندي تكساس. وعلى الرغم من أن تعبير "الونديون" كان يستخدم في العصور الوسطى للإشارة إلى قبائل السلاف المستوطنة داخل الإمبراطورية الرومانية المقدسة، فتلك لم تكن القاعدة. فقد كان الملك ميسزكو الأول هو الحاكم الأول لبولندا، ويشار إليه أيضاً باسم "Dagome =

السويبيون[1] Sueuorum، الآلان[2] Alanorum، السيلينغ[3]، وتاريخ القوط الشرقيين[4]. كان رودريغو خيمينيث دي رادا يهدف، من خلال هذه الأعمال، أن يروي تاريخ الشعوب التي غزت شبه الجزيرة الإيبيرية. وتماشياً مع هذا الهدف، بدأ رئيس الأساقفة الطليطلي بشرح التاريخ الروماني، ليمضي نحو تاريخ الهون، والآلان، والسويبيين، والسيلينغ، والقوط الشرقيين (والذين يختلفون عن القوط الغربيين)؛ كجزء من تاريخ القوط، الذي شرحه بالفعل في عمله De rebus Hispanie siue Historia Gothica عن أحوال إسبانيا أو تاريخ القوط، وأخيراً، عن تاريخ العرب[5].

= ملك الونديين" (بالنرويجية القديمة: Vindakonungr). كما استمر استخدام هذا الاسم في اللغات الفنلندية (فنلندية: Venäjä، إستونية: Vene، اللغة الكاريليانية: Veneä) ليشير إلى روسيا. ـ مترجم

(1) السويبيون (بالألمانية Sueben، بالإنكليزية Suebi) شعب جرماني قادم من منطقة بحر البلطيق. ـ مترجم

(2) الآلانيون وهم مجموعة عرقية من أصل إيراني مرتبطة بالسرمانيين، كانوا رعاة رحل وعدوانيين وينتمون لخلفيات متعددة، كانوا يتحدثون لغة الإيرانيين وتشاركوا معهم الثقافة نفسها في كثير من النواحي. ـ مترجم

(3) السيليلنغ أو السيلينغي (باللاتينية: Silingae، بالإغريقية القديمة – Σιλίγγαι Silingai) وهم قبيلة جرمانية، وجزء من مجموعة الوندال، عاشوا في فترة معينة في جزيرة صقلية، وربما اتخذت الجزيرة اسمها منهم. ـ مترجم

(4) القوط الشرقيون (باللاتينية: Ostrogoth) هم قبائل جرمانية شرقية عاشت في أوروبا وكان لها تأثير في الأحداث السياسية التي عصفت بالإمبراطورية الرومانية. نشؤوا في الأصل في مقاطعة داقية (رومانيا) – والتي هجرها الرومان ليتفرغوا للدفاع عن حدودهم، ثم توسعت إلى مولدافيا، وبدءاً من سنة 370 ميلادية دخلوا في حروب طاحنة ضد قوى الهون المتصاعدة، واشتبكوا مع جيوش الملك الرهيب آتيلا لحماية أملاكهم في شبه جزيرة البلقان، بل وتحالفوا مع الإمبراطورية الرومانية الغربية ضد آتيلا واستطاعا هزيمته في معركة شالونس سنة 451. وعلى الرغم من هزائم القوط الشرقيين المتلاحقة أمام الهون، إلا أنهم استطاعوا التخلص من هيمنتهم، وكسروا شوكتهم في معركة نيداو سنة 454، فكافأهم الإمبراطور الروماني الغربي بإسكانهم مقاطعة بانونيا. ـ مترجم

(5) انظر أيضاً مقدمة Roderici Ximenii de Rada Opera omnia pars III

=

في جميع أعمال التواريخ الصغرى Historiae Menores هناك إشارات مباشرة لأعمال رودريغو خيمينيث دي رادا[1]، ولا تعتبر مقدمة تاريخ العرب استثناء من ذلك:

كيف كان ، لإسبانيا الضائعة، أن تعاني من كل هذه الأهوال، كما أوضَحت في الكتب السابقة، واتفقت على ذلك فيها.

يذكر المؤلف أنه روى بالفعل في كتبه السابقة عن وجود عدد كبير من الأهوال التي حلّت بوطنه.

والأمر التالي الذي تعرضه المقدمة، هو ما يمكن أن يُدعى بالفكرة الرئيسة لهذا المقطع من النص: الأمل في أن تنتهي أخيراً كل الهجمات والأهوال التي يسببها الغزاة[2].

حول مجازر العرب، ولَيتها تكون الأخيرة، التي لم ينجُ منها شيء في الأراضي الإسبانية.

ثم يعرض المؤلف نظام التأريخ النسبي والذي بفضله نستطيع أن نصنف تاريخ العرب Historia Arabum كعمل متأخّر عن بقية أعمال التاريخ الصغرى:

كيف أمكن لها أن تُطعن في الظهر مرة تلو أخرى (إسبانيا) منذ خمسمئة واثنين وثلاثين عاماً وأكثر، دون أن يمنع ذلك أبناءها من تقطيع أوصالها، وأيضاً، وحيث إنها مقسّمة بين خمسة ملوك، فهم لم يمنعوا آلام الجروح الغليظة التي سببوها هم والفارّون إلى السرسنيين.

= Historiae Minores Dialogus Libri Vite, cura et studio Juan Fernández Valverde, Juan Antonio Estévez Sola, Turnhout - Brepols Publishers 1999, p.9. Turnhout –Brepols Publishers.

(1) المرجع السابق ص 29.
(2) المرجع السابق ص 10.

وفقاً لخوان فرنانديز فالفيردي، Juan Fernández Valverde فإن روردريغو خيمينيث دي رادا كتب عن أحوال إسبانيا، التاريخ الروماني، تاريخ الهون... وتاريخ القوط الشرقيين في الوقت نفسه. وقد أنجز كل هذه الأعمال في العام 1243. فإن أخذنا بالاعتبار أن المؤلف يحدد تاريخ الغزو العربي بأنه بدأ في عام 713 (وفقاً للفصل الثالث من كتاب أحوال إسبانيا)، وبإضافة خمسمئة واثنين وثلاثين عاماً quingentis XXX duobus annis فيكون تاريخ كتابة المقدمة هو عام 1245[1].

بعدئذ يذكر انتصار الملك النبيل ألفونسو الثامن على الخليفة الموحّدي Miramamolín «أمير المؤمنين» (أبو عبد الناصر 1199-1213)، في المعركة التي وقعت قرب بيلتشيتي. إن ذِكر هذه المعركة يسلط الضوء على دور المؤلف في معركة 'لاس نافاس دي تولوسا' العُقاب في العام 1212[2]. علينا أن نضع في اعتبارنا أن هذه المعركة كانت نتيجة الحملة التي جهّزها كل من الملك ألفونسو الثامن ورئيس أساقفة طليطلة ذاته دون رودريغو والبابا إنوسنت الثالث[3]. حيث فتح انتصار الجيش المسيحي درب الانتقام أمام الأهالي incolae الشرعيين في شبه الجزيرة الإيبيرية، والذي سيمكّن من طرد الغزاة. ويبدو أنه كان في ذهن رودريغو خيمينيث دي رادا الهزيمة الكاملة

(1) المرجع السابق ص 32.

(2) Ferrero Hernández, Cándida, Cristianos y musulmanes en la Historia Arabumde Rodrigo Jiménez de Rada, (en:) The Journal of Medieval Latin, A Publication of the North American Association of Medieval Latin, Brepols, Toronto, 2009, págs. 363-364.

(3) O'Callaghan, Joseph F., Reconquest and Crusade in Medieval Spain, 2003 University of Pennsylvania Press, págs. 66-76.

للموروس[1]، لأنه كان ينوي أن يحفظ حقيقتهم بشكل مكتوب وأن يروي تاريخ مؤسس طائفتهم - محمد Machometus. يعلن المؤلف أنه سيكون وفياً لرواياتهم ونصوصهم بها، relatione fideli et eorum scripturis، ولكن يجب ألا ينخدعنّ أحد: يجب الامتناع عن مثل هذه القصص، والوحي الكاذب، التي يمكنها أن تربط نفوس الناس كما لو كانت عُقداً صادقة.

ب 2. 2. عن أصل وبداية محمد

De origine et exordio Machometi

لاحظ ماتياس ماسر Matthias Maser، أن رودريغو خيمينيث دي رادا يشير لميلاد محمد ابتداءً من منظومتي تأريخ مختلفتين: في الحقبة الأولى DC[2] والسنة التاسعة لمُلك ملك القوط

---

(1) المورو والجمع موروس (بالإسبانية Moros) أو الموريون هو مصطلح ذو استخدام شعبي وعامي يطلق على كل سكان شمال أفريقيا أي المنطقة المغاربية. كما أنه يمكن أن يشير بالتحديد إلى مغربي. (1) يطلق من دون تمييز عرقي أو ديني أو ثقافي واضح. حسب الموسوعة البريطانية "بريتانيكا" فالموري (بالإنكليزية Mour) هم السكان المسلمون لشبه الجزيرة الإيبيرية أي الأندلس أو ما بات يعرف اليوم بإسبانيا والبرتغال. (2) أي إن مصطلح المور يشير إلى المزيج العربي والأمازيغي والأوروبي الذي تشكل في البلاد بعد فتح الأندلس حسب المصدر نفسه. ولا تستخدم كلمة مورو دائماً بطريقة مهينة، فحسب السياق الذي تعرضه فيه، يمكن أن تحمل معنًى إيجابياً أو حتى بطريقة إعجابية. - مترجم

(2) أنو دوميني أو بعد الميلاد Anno Domini (في بعض الأحيان، تختصر بـ AD أو A.D، وقبل المسيح، وتختصر BC أو B.C، وهي التسميات المستخدمة للسنوات في التقويم الجولياني والميلادي. وسنة البداية وهي سنة حمل أو ولادة المسيح، تشير AD إلى السنوات بعد بداية هذه الحقبة، وتدل BC على السنوات قبل بداية هذه الفترة. لا يوجد سنة صفر في هذا التقويم، فعام 1 بعد الميلاد يأتي بعد 1 قبل الميلاد. - مترجم

ليوفيجيلدو[1]. يتوافق النظامان على الإشارة إلى النصف الثاني من القرن السادس، لكنهما لا يتوافقان على تاريخ محدد. هناك فارق بين التاريخ الأول (563)، والتأريخ المتعلق بممالك ملوك القوط (581) ما يقارب العشرين سنة[2]. ماركوس دي توليدو في الوقت نفسه يقترح العام 600 كعام لولادة النبيّ[3]، والفرق في عدد السنوات مردّه أن الكاهن يستخدم التقويم الغريغوري وليس تأريخ الحقب[4].

ما يثير الانتباه هو المعلومات الوافية حول أصول النبي. ووفقاً لرودريغو خيمينيث دي رادا، وُلد محمد في يثرب Hyatrib، قرب مكة[5]. تاريخياً هذه المعلومة ليست صحيحة لأنها لا تشير إلى مكة كمسقط رأس مؤسس الإسلام[6]. يشير مؤلف تاريخ العرب Historia

---

(1) Anno Leouegildi regis Gothorum VIIIIo, era DC prima في السنة الثامنة لملك القوط ليوفيجيلدو Leovigildo، في الحقبة الأولى AD. (الفصل الأول).

(2) Matthias Maser, Die Historia Arabumdes Rodrigo Jiménez de Rada. Arabische Traditionen und die Identität der Hispania im 13. Jahrhundert. Studie - Übersetzung - Kommentar, Berlin 2006, p. 231.

(3) Hic quippe fuit Mafometus, (...) cum sexcentis annis elapsis post aduentum Ihesu Christi hic uenisset in mundum ad predicandum Arabibus, de Mecha oriundus, que est in Arabia 126-129
كما يشير العديد زوراً، والذي بعد ستمئة سنة من مجيء يسوع المسيح، آتٍ من مكة في الجزيرة العربية. الأسطر 126 – 129.

(4) انظر المرجع المذكور سابقاً .Matthias Maser, op. cit., n. 54, p. 232

(5) in uilla que Hyatrib dicitur prope Mecham في مدينة تدعى Hyatrib بالقرب من مكة Mecham (الباب الأول).

(6) W. M. Watt, Mahoma, profeta y hombre de estado, Buenos Aires 1973, pp. 16–17. (كذلك en: Matthias Maser, op. cit, p. 235.

Arabum إلى أن علي هو والد محمد وأن عبد المطلب هو جدّه[1]. اسم الجدّ تؤكده المصادر العربية إلا أن هذه المصادر ذاتها تختلف حول اسم الأب[2]. وفرضية أن اسم علي يشير إلى علي بن أبي طالب ابن عم محمد وصاحبه في فترة صباه تبدو مستحيلة[3]. والدة محمد فعلياً كانت تُدعى آمنة بنت وهب بن عبد مناف [4] Āmina، الذي يحدده رئيس أساقفة طليطلة بصيغة إملائية ذاتيّة[5]. جدة النبي لأمه لا تُدعى حليمة. ووفقاً للمصادر العربية حليمة بنت أبي ذؤيب كانت مرضعة محمد، وهي بدوية من قبيلة سعد بن بكر، والتي كانت قد رعت الطفل محمداً لمدة خمس سنوات[6]. وفي الجزء التالي من الفصل ترد حليمة باستمرار كجدّة النبي[7].

ومن الجدير بالذكر أيضاً أنه حين غيّر ماركوس دي توليدو

---

(1) erat homo Aly nomine filius Abdelmutalib et uxor eius Emina; nomen patris Emine Bayab et matris eius Halima, que concepit et peperit filium quem uocauit Mahomat.

كان هناك رجل اسمه علي Aly بن عبد المطلب Abdelmutalib وزوجته آمنة Emina. (كان) أبو آمنة يدعى بياب Bayab وأمها حليمة، وهي حملت وولدت ابناً دَعته محمداً.

(2) انظر القسم1 .2. 2.1

(3) المرجع المذكور سابقاً. Matthias Maser, op. cit, p. 235

(4) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, trad. Hanna Olędzka, Narodziny islamu, Varsovia 1988, p. 44.

(5) راجع الحاشية 210.

(6) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p46. (:حول التعريف بشخصية المرضعة) Matthias Maser, op. cit, p235.

(7) Cum autem esset annorum quinque, mater sua tradidit eum auie sue Halime nutriendum. ثم بعد أن صار في الخامسة أعطته أمه لجدته حليمة لكي تقوم (لرعايته) الفصل الأول.

اسم والد محمد حيث استبدله بأصل لغويّ غير صحيح كي يشكك بالإسلام ويظهر صلاته بالوثنية[1]، على المدى البعيد، لا يوجد في المقطع الذي يسرد فيه تاريخ العرب Historia Arabum نسب النبيّ أي اسم له هذا النوع من التلاعب. وأياً كان السبب، فإنه لانعدام الإبداع عند المؤلف أو غياب هذا النوع من الحساسية الفقه-لغوية، في الفصول من الأول إلى السادس من تاريخ العرب Historia Arabum، لا يمكن إدراك تغيرات صرفيّة ذات نوايا لإضفاء معنى انتقاصي أو محاولة اقتراح أصول لغوية غير صحيحة للأحداث، كأداة لطالما أعجبت الكاهن ليستفيد منها.

لقد ذكر ماركوس دي توليدو وروردريغو خيمينيث دي رادا على حدّ سواء التنوع الديني في جزيرة العرب قبل ولادة محمد[2]. ومن المفيد القيام بمقارنة بين أسلوبي الكاتبين. فبينما يقوم ماركوس دي توليدو وبمنتهى القوة بإنشاء تفسيرات خاطئة لكلمة مكة، ويترجمها على أنها «الزانية»[3]، فقد فضّل رودريغو خيمينيث دي رادا أن يكون محدداً فأشار إلى أن الجزيرة العربية وأفريقيا تتنازعهما عدة قوًى بين الإيمان الكاثوليكي، الهرطقة الآريوسية، الكفر اليهودي، والوثنية[4]؛ وأن والد محمد راوح أيضاً بين الديانة اليهودية والكاثوليكية[5].

---

(1) انظر القسم أ.2. 2. 1.

(2) انظر القسم المتعلق بالمقارنة الموضوعياتية بين ماركوس دي توليدو، المقدمة للقرآن، وبين خيمينيز دي رادا، تاريخ العرب.

(3) انظر القسم أ.2. 2. 2.

(4) Et cum Arabia et Affrica inter fidem Catholicam et heresim Arrianam et perfidiam Iudaycam et ydolatriam diuersis studiis traheretur., (الفصل الأول).

(5) انظر أيضاً: Norman Daniel, Islam and the West The Making of an Image, Edinburgh, 1960, pp. 80-81.

كما هو معلوم، فقد نشأ محمد دون أب. يؤكد Maurice Gaudefroy_Demombynes معلومة مفادها أن عبد الله توفي في يثرب Hyatrib أثناء طفولة محمد[1]. ومع ذلك، فإن مقصد الرحلة الأخيرة لوالد محمد وفقاً للمصادر العربية لم يكن أورشليم،[2] بل كان سوريا، ولم يتم تأكيد الغاية الدينية للرحلة[3].

ب 2.2. 1. يهودي كان عرّافاً

...quidam Iudeus, qui erat geneaticus

إن الشخصية التي دُعيت في الفصل الأول من تاريخ العرب Historia Arabum بالعرّاف اليهودي تتعلق بموضوع ذي معنى خاص سواء بالنسبة للأدب الإسلامي أو لأدب المواجهة الدينية اللاتيني[4]. فمن جانب، الأدب الإسلامي المكرّس لوصف سيرة النبيّ يحتوي على عدد وفير من الأساطير حول محمد أثناء طفولته. والرسالة التي تحاول أن تبثّها هذه الأساطير مفادها إثبات النبوءات والمعجزات التي تخبر عن مجيء رسول من الله. وخير مثال على هذا النوع من الأساطير تلك التي يرويها ابن إسحاق حول الراهب[5]. هنا يمكن

---

(1) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., p. 46.

(2) Aly autem in sanctam Iherusalem iuerat ad orandum, et rediens inuenit filium suum natum. (...) Aly autem apud Hyatrib post tempus modicum uitam finiuit.

كان علي قد سافر إلى مدينة أورشليم المقدسة للصلاة، ولدى عودته وجد أن ابنه قد وُلد (...) ثم سرعان ما توفي علي في يثرب (الفصل الأول).

(3) انظر الحاشية 222.

(4) انظر القسم أ.2 .3 .2.

(5) ابن إسحاق: سيرة النبي محمد رسول الله عليه السلام، الترجمة الفرنسية: La Vie du Prophète Muha mmad L'Envoyé d'Allâh (que Dieu répande sur lui Ses bénédictions et qu'Il lui accorde Son salut!), traduction française avec introduction et notes par 'Abdurrahmân BADAWÎ, Les Éditions Albouraq Beyrouth-Liban 2001, vol. I, pp.137-140.

ملاحظة عدة مكوّنات هامة للمؤمنين بالإسلام: إنه راهب حكيم جداً وقارئ، أتت معرفته من كتاب، ربما مقدس، تم تداوله جيلاً بعد جيل. لاحظ الراهب إشارة خاصّة كانت عبارة عن غمامة وشجرة ظللتا بإعجاز النبي المستقبلي وحده. وبعد أن أدرك ذلك بالإضافة لاختبارات أخرى، تذكّر الراهب النبوءة الموجودة في كتابه ووعد محمداً بمستقبل عظيم.

وبعيداً عن أسطورة الراهب بحيرا هناك أسطورة أخرى تتحدث عن يهودي:

Par Dieu j'étais un fort garçon, âgé de sept ou huit ans, qui comprends tout ce que j'entends – quand j'ai entendu un juif crier de sa plus haute voix sur un fortin à Yathrib: ô peuple juif! Quand ils se rassemblèrent devant lui, ils lui dirent: Malheuà toi! Qu'as-tu? Il répondit: Aujourd'hui est née l'étoile de la naissance

والله إني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ابن ثماني سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أطمة بيثرب، يصرخ: يا معشر يهود، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلع نجم أحمد، الذي يبعث به، الليلة[1].

ب 2.2.2. ولمّا بلغ أربع سنين جاءه اثنان من الملائكة فشقّوا قلبه

Cum autem esset infans annorum IIIIor, uenerunt duo angeli et fiderunt cor eius...

تعود جذور أسطورة شق قلب النبي وغسله من قبل اثنين من الملائكة إلى التقاليد الدينية لما قبل الإسلام. حيث نجد نوعاً من

(1) المرجع السابق ص 122 – 123.

الإيمان بأن الناس قد يَمسهم الجن. ومنذ القديم في جزيرة العرب رسّخ إيمان أن الناس ذوي القدرات النبوية، الشعراء أو الكهان، في قلوبهم أرواح خفيّة[1]. ويتحدّث القرآن في العديد من السور أن نبي الإسلام ليس بساحر:

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾[2]

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾

﴿وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[3]

كما يشرح Juan Vernet[4] «كان محمد رجلًا صالحاً، أميناً amin، يلجأ إليه العرب في حالات التحكيم. كان، كما نقول اليوم، رجلاً شعبيّاً. لذلك، عندما اقترب موعد الحج، اعتقد كثير من القرشيين coraxíes أنه إذا ما انتصرت أفكاره ستفقد مكة كثيراً من تجارتها، فبحثوا عن وسيلة لتشويه سمعته و(...) وناقشوا ما هو اللقب الذي ستطلقه على هذا المخلّ بالنظام العام. ففكروا بنبزه بالكاهن (kahin)، لكن هذا الاسم لم ينفع، فكان (...) machnun (مجنون) الذي له التسلسل نفسه (الجذر) الذي للجن (chinn) الذي يلهم الشعراء (sair)، والذي تم استبعاده لأن محمداً، الذي كان متحدّثاً جيداً، لم يقرض الشعر. ثم اقترح زعيم المجلس (...) أن يدعوه بالشاعر أو الساحر، لقب فيه ازدراء وانتقاص أمام الحجاج»[5].

(1) Maurice Gaudefroy-Demombynes, op. cit., pp. 21-23, 46-47.

(2) سورة الطور، 29.

(3) سورة الحاقة، 40 ـ 42.

(4) خوان فيرنيه خينيس Juan Vernet Ginés o Joan Vernet i Ginés (برشلونة 1923 – 2011) كان مستشرقاً ومستعرباً ومؤرخاً. ـ مترجم

(5) Juan Vernet, Mahoma, Madrid, 1987, p. 38.

يمكن الافتراض أمام هذه الاتهامات أن الأسطورة[1] التي تناولت تطهير قلب محمد كانت ذات أهمية خاصة. وابن إسحاق يعطي الشهادة التالية حول الحادثة:

Thawr b. Yazîd, d'après quelques savants, je suppose que c'est d'après Khâlid b. Ma'dân al-Kalâ'î m'a dit que quelques-uns des compagnons de l'Envoyé d'Allâh lui avait dit: ô Envoyé d'Allâh! Parle-nous de Toi-même. L'Envoyé d'Allâh répondit: (...) Pendant que j'étais avec un frère (de lait) derrière nos tentes en train de faire paître nos brebis, deux hommes vêtus de blanc vinrent à moi avec un bassin en or plein de neige. Ils m'ont pris, coupèrent mon ventre, avaient extrait mon cœur et l'avaient coupé, ils avaient extrait de mon cœur un grumeau de sang noir qu'ils jetèrent loin. Puis ils lavèrent mon cœur et mon ventre avec cette neige de sorte qu'il devint pur. L'un d'eux dit alors à son collègue: Pèse-le avec dix de sa nation. Il me pesa par eux, et je les surpassais. Puis il lui dit: Pèse-le avec cent de sa nation. Il me pesa et je les dépassai. Puis il lui dit: Pèse-le avec mille de sa nation. Il me pesa et je les dépassai. Il dit: Laisse-le donc! Car par Dieu, si tu le pèses par tout le poids de sa nation, il la dépassera[2].

حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله

(1) أصل الرواية جاهلي: والحقيقة هي أن هذه الرواية مأخوذة عن أهل الجاهلية، فقد جاء في الأغاني أسطورة مفادها: أن أمية بن أبي الصلت كان نائماً؟ فجاء طائران فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخر فشق عن قلب أمية ثم رده الطائر، فقال له الطائرالآخر: أوعى؟ قال: نعم. قال: زكا؟ قال: أبى. وعلى حسب رواية أخرى: أنه دخل على أخته، فنام على سرير في ناحية البيت، قال: فانشق جانب من السقف في البيت، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره، ووقف الآخر مكانه، فشق الواقع على صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائرالذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى. قال: أقبل؟ قال: أبى. قال: فرد قلبه في موضعه إلخ. ثم تذكر الرواية تكرر الشق له أربع مرات. (راجع كتابنا، حكايا الصعود؛ نبيل فياض).

(2) ابن إسحاق، المرجع المذكور سابقاً 126_127.

أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، فقال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، فبينا أنا مع أخ لي في بهم لنا، أتاني رجلان عليهما ثياب بياض، معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً، فأضجعاني، فشقّا بطني، ثم استخرجا قلبي فشقّاه، فأخرجا منه علقة سوداء، فألقياها، ثم غسلا قلبي وبطني بذاك الثلج، حتى إذا أنقياه، ردّاه كما كان، ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشرة من أمته، فوزنني بألف، فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته، فوزنني بألف، فوزنتهم، فقال: دعه عنك، فلو وزنته بأمته لوزنهم.

ويمكن الملاحظة أن المقطع قيد البحث في مقدمة رودريغو خيمينيث دي رادا[1] يقوم على نسخة الأسطورة المذكورة أعلاه. أضف إلى ذلك أنّ الرواية الأصلية لهذا الأول تبدأ بعبارة كما ادعى هو ذاته كذِباً ut ipse mentitur[2].

من المؤكّد أن رودريغو خيمينيث دي رادا لم ينتهز الإمكانات

---

(1) Cum autem esset infans annorum IIIIor, ut ipse mentitur, uenerunt duo angeli et fiderunt cor eius et extraxerunt inde coagulum sanguinis denigrati, quod postea niuis lauacro abluerunt, et ponderauerunt cor eius cum X cordibus gentis sue, post cum mille, et maioris ponderis est inuentum; et unus angelus dixit alteri: "Si cum omnibus Arabibus in trutina poneretur, omnibus preualeret".

ولمّا بلغ (محمد) أربع سنين، كما ادعى هو ذاته كذِباً، جاءه اثنان من الملائكة شقّوا قلبه واستخرجا منه علقة من دم أسود ثم طهّراه بحمّام من الثلج، وجعلوا قلبه بقدر وزن عشرة قلوب، ثم بقدر ألف وأكثر وقال ملاك للآخر: "لو وُضع في ميزان مع كل العرب، لَفاقهم جميعاً" (الفصل الأول).

(2) انظر أيضاً: Matthias Maser, op. cit, قسم: Die Brustöffnungslegende,pp242-249.

المثيرة للجدل في هذا المرجع. بينما يتناقض مع ماركوس دي توليدو الذي يجد نفسه مضطراً لشرح لماذا كانت رؤى محمد Mafometus كاذبة[1]، فإن رئيس الأساقفة ترك الأسطورة دون أن يعلّق عليها بأكثر من تبيان بسيط هو أن محمداً Mahomat يكذب إذ يقول إنه سمع الملاك جبرائيل[2].

ب. 2.3. من النشأة إلى أول ظهور لمحمد

De instructione et prima ostensione Machometi

يحتوي الفصل الثاني من سيرة النبيّ على خمسة أجزاء مختلفة ومستقلة على الأقل. تتناول الأولى وفاة والدة محمد وحضانته من قبل جده ومن ثم عمّ الصبي. ثم تتناول المعلم اليهودي وتأثيره على العقيدة الإسلامية. وفي الجزء الثالث من الفصل تظهر الأرملة خديجة Hadeya أو Hadiga، حيث يتحدث عن زواجها من محمد. ثم يشرح كيف تمت إعادة بناء معبد الكعبة Alcahaba ووضع الحجر الأسود. وأخيراً، يروي رودريغو خيمينيث دي رادا حوار النبي مع القرشيين ثم هروبه من مكة إلى يثرب.

---

(1) الأسطر 87-90

Constitutus ergo in medio eorum proponebat eis non quidem uerba angeli, quoniam non erat tanti meriti quod angelus Gabriel ad eum mitteretur, sed uerba que confingebat et quasi ab angelo sibi indicta rudi populo et inculto predicabat.

فقد سرى في وسطهم طرح بأنها، في الواقع، ليست كلمات الملاك، لأنه لم يكن ذا ميزة كبيرة ليُرسل له الملاك جبرائيل، لكنه هو واضعها، وكما لو أنها قد قرِئت من قبل الملاك، كان يبشّر بها الجهّال من الناس وغير المتعلمين.

(2) Hec mentitur in uisione se a Gabriele angelo audiuisse

وافترى أنه سمع هذه الأشياء من الملاك جبرائيل (الفصل الأول).

ب. 1.2.3. عن نشأة محمد

De instructione Machometi

أخبار السيرة المشار إليها في الجزء الأول من الفصل الثاني صحيحة إلى حد كبير. ووفقاً لرودريغو خيمينيث دي رادا فعندما بلغ محمد السابعة من عمره استعادته أمه آمنة وانتقلت به إلى بعض الأقارب، وسرعان ما ماتت بعد بضعة أيام؛ بينما نقرأ في سيرة النبي لابن إسحاق أن رسول الله كان يعيش مع أمه آمنة وجده عبد المطلب. وقد ماتت أمه وهو في السابعة من عمره[1]. ثم، يضيف رودريغو خيمينيث دي رادا، عند بلوغ النبي عامه الثامن مات جدّه عبد المطلب، فرعاه عمه أبو طالب، وهو ما يمكننا أن نجده في المصدر العربي:

Quant l'Envoyé d'Allâh atteignit l'âge de huit ans, 'Abd al-Muttalib mourut[2].

فلما بلغ رسول الله عليه السلام ثمان سنين هلك جده عبد المطلب.

ثم بعد فترة وجيزة:

Après la mort de 'Abd al-Muttalib, l'Envoyé d'Allâh fut confié à son oncle paternel Abû Tâlib[3].

لما توفي عبد المطلب قبض أبو طالب رسول الله عليه السلام

ومن اللافت أن رودريغو خيمينيث دي رادا ذكر معلومة عن المرأة التي أخذت اليتيم محمداً إلى مكة بعد موت أمه. وهي معلومة مؤكدة في التقاليد العربية بينما لم تُذكر في سيرة ابن إسحاق. إن اسم ديمن Daymen الذي ورد لمرّة واحدة[4] في الفصول الأولى من تاريخ

(1) ابن إسحاق، المرجع المذكور سابقاً ص 128.

(2) المرجع السابق ص 128.

(3) المرجع السابق ص 136.

(4) اللفظ الفريد hapax legomenon أو اللفظة المفردة أو الشاهد الأحادي (هابكس =

العرب Historia Arabum يمكن حلّ ترميزه ليشير إلى (أم) أيمن، المعروفة أيضاً باسم بركة[1].

كذلك قام ماوريس جُوذْفروا ديمومبين – Maurice Gudefroy Demombynes بذكر هذه الشخصية بشكل مختصر جداً:

Bien mince était la fortune qu'Âmina laissait à son fils: nue vieille (?) esclave Umm Aïmân,[2]

على الرغم من ضآلة التركة التي أورثتها آمنة لابنها: جارية نحيلة (؟) سوداء أم أيمن، وخمسة من الإبل، وقطيعاً من الغنم ويشير إلى تاريخ اليعقوبي[3] كمصدر لهذا الخبر؛[4] ووفقاً للتقاليد الإسلامية فإن بركة Barakah أو أم أيمن Umm Aïmân [5] كانت خادمة شابة اشتراها عبد الله، ابن عبد المطلب. وكان الجارية الوحيدة في المنزل عندما تزوج عبد الله من آمنة، وآلت بركة تلقائياً لأم النبي. خدمت بركة سيدتها زوجته أثناء حملها وواستها إثر وفاة زوجها. ويُروى أن بركة كانت أول من حمل محمداً بين ذراعيه عندما وُلد. كانت بركة مخلصة ومتفانية مما جعل

= لغومنون) هو اللفظ الذي لم يذكر إلا مرة واحدة في نص معين. مثاله كلمة الصمد في القرآن. ـ مترجم

(1) أتقدم بالشكر مرة ثانية للبروفسور Oscar de la Cruz الذي اقترح عليّ هذه الصلة.

(2) Maurice Gudefroy – Demombynes, Mahomet, Paris, 1969, p. 64.

(3) المرجع السابق ص156.

(4) ليس اليعقوبي كما ورد في الأصل الإسباني، بل ورد في "تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير" لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي: "مولد نَبينَا مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: وَخلف عبد الله أم أيمن وَخَمْسَة أجمال وَقطعَة غنم فورث ذَلِك رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَكَانَت أم أيمن تحضنه." أنساب الأشراف"، أبو الحسن، وقيل أبو بكر، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: وورث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من أبيه أم أيمن، واسمها بركة، فأعتقها، وخمسة أجمال أوارك، وقطعة غنم، وسيفاً مأثوراً، وورقاً. فكانت أم أيمن تحضنه. ويسميها «أمي» / 43/ وقال بعض الرواة: ورث أم أيمن من أمه، فأعتقها. وقال آخرون: ورث ولاءها من أبيه. وقال قوم: كانت لأمه، فأعتقها. ـ مترجم

(5) الاسم بالحروف اللاتينية حسب: Maurice Gudefroy - Demombynes

آمنة لما علمت أن ساعتها قد دنت لا تتردد في أن تسأل جاريتها لتكون الأم الثانية للنبيّ وألّا تتركه أبداً. وعلى أثر دفن آمنة، عادت بركة إلى مكة وسلمت محمداً إلى عهدة جده عبد المطلب[1]. وفي رأينا عندما يشير رودريغو خيمينيث دي رادا إلى هذا الحدث الأخير، فهو ينقل تقليداً ندر علمه بين كتّاب أدب الخلاف الآخرين.

بمتابعة الخط البياني لرواية ابن إسحاق بعد إخباره عن عم النبي محمد، نجد قصة محمد والراهب بحيرا حيث يخبرنا ابن إسحاق عن لقاء النبيّ مع الراهب[2]؛ وفي نصوص تاريخ العرب Historia Arabum نقرأ عن العراف geneaticus المذكور ذي الأصول اليهودية الذي تحمّل عبء تعليم محمد[3].

كما أشرنا في مناسبات سابقة، كانت شخصية معلم محمد ذات أهمية بالغة بالنسبة للعالم المسيحي[4]. ومن المرجح أنّ رودريغو خيمينيث دي رادا يتبع التقليد المسيحي في العصور الوسطى في استخدام شخصية معلم محمد ليقدمَ شرحاً عن تبشيره في المستقبل خاصة عندما يقوم بالتركيز عليها في نصه أكثر مما فعل ماركوس دي

---

(1) المقطع حسب: Ahmad Thompson, The wives of the Prophe http://www.oocities.org/mutmainaa7/people/barakah.html
المترجم: when Muhammad was born, Barakah was the first to hold him in her arms!.

(2) انظر الهامش 226.

(3) et iste tradidit eum predicto geneatico instruendum, qui instruxit in naturalibus scientiis et lege Catholica et Iudayce perfidie documentis
الذي وضعه في رعاية ذلك العرّاف المذكور ليتولّى تعليمه؛ والذي درّسه علوم الطبيعة والقانون الكاثوليكي وكتب الكفر اليهودي (الفصل الثاني).

(4) انظر الفصل أ. 2. 2. 3.

توليدو في المقدمة[1]. كما يبدو مثيراً للانتباه أيضاً أن كلا الكاتبين يقدّم محمداً كرجل تلقى تعليماً جيداً سواء في العهدين القديم أو الجديد أو في العلوم الطبيعية[2] scientia naturalis.

إن المعلومات عن رحلة الشاب محمد إلى القدس[3] غير صحيحة من منظور التقاليد الإسلامية، لكن من الممكن إيجاد شرح عنها ضمن سياق النص. وفي ذلك الجزء يشرح تأثير المسيحية واليهودية على الإسلام. كما يذكر معلّم النبي الذي يعرّف في النص كيهودي[4]. إنّ وصف الرحلة إلى أورشليم بعد ذكر مصدر الوصي على محمد سيكون أمراً منطقياً.

والجدير بالذكر أيضاً أننا في أحد أعمال رامون لول Ramon Llull، والتي كتبها بعد ثلاثين عاماً[5] من كتاب تاريخ العرب Historia

---

(1) الأسطر 30_42.

(2) انظر فهرس الكتاب.

(3) Cum autem esset Mahomat annorum XIII, Abutalib duxit eum in Iherusalem, eo quo d templum sanctimonie erat ibi.

ومن ثَمّ عند بلغوه ثلاثة عشر عاماً، أخذه أبو طالب إلى أورشليم، حيث هناك المعبد المقدس (الفصل الثاني).

(4) iste tradidit eum predicto geneatico instruendum, qui instruxit in naturalibus scientiis et lege Catholica et Iudayce perfidie documentis, unde et ipse postmodum aliqua de fide Catholica, aliqua de lege ueteri in sue secte subsidium usurpauit.

الذي وضعه في رعاية ذلك العرّاف المذكور ليتولّى تعليمه (؟؟) والذي درّسه علوم الطبيعة والقانون الكاثوليكي و(كتب) الكفر اليهودي، حيث استلّ هو ذاته بعض الأمور من الإيمان الكاثوليكي، والبعض الآخر من الشريعة القديمة لصالح طائفته. (الفصل الثاني).

(5) Doctrina pueril, compuesta entre 1274-6 según A. Bonner, «Catàleg cronològic de les obres de Ramon Llull» en Obres Selectes, vol. I; pp. 3-54 (nota 14 (en:) Óscar de la Cruz Palma, La información sobre Mahoma en la Doctrina pueril de Ramon Llull, (en:) Taula, quaderns de pensament, núm. 37, 2002, pág. 37-49, p. 40).

Arabum، نستطيع أن نجد أن مدينة القدس كانت مقصد الشاب محمد في إحدى الرحلات التي قام بها:

(من اللغة الكتلانية):

En aquell temps se esdevench que Mafumet era mercader e anà en mercaderia a Jherusalem;; e en la carrera après de Jherusalem estava un fals crestià qui havia nom Micolau

في ذلك الوقت كان محمد تاجراً، وذهب بتجارة إلى أورشليم؛ وفي الطريق إلى أورشليم كان هناك مسيحيّ مزيّف اسمه نيقولاوس[1].

من جانب آخر، يلفت الانتباه شرح سبب هذه الرحلة الذي يقدّمه كاتب النص. فوفقاً له، باشر محمد رحلته لعلّة وجود الهيكل المقدس في أورشليم[2]. هل هي استعارة مستخدمة للشرح بأن محمداً يريد الاقتراب من مصدر الحكمة، ومن ثم استلال تعاليمه؟ أم إنها محاولة لترجمة اسم أحد المعابد الموجودة في أورشليم؟ لقد كانت الفرضية الثانية صحيحة، عبر تحديد معبد يقارب أنواع المصادر التي تعامل معها المؤلف في هذا المقطع من الفصل الثاني.

معبد مقدس Templum sanctimonie يمكن تحديده عبر ثلاثة مجالات: معبد مقدس في اليهودية، أو المسيحية أو الإسلام. فلو كان يهودياً (يجب ألّا ننسى أنه حسب الكاتب كان معلم النبيّ يهودياً) فمن الممكن أن يكون قدس الأقداس Sancto Santorum (في الكتاب المقدس םישדוקה שדוק) حسب التقليد اليهودي في جبل الهيكل، والذي حفظت فيه ألواح الشريعة.

(1) Doctrina pueril 4, (en:) Óscar de la Cruz Palma, La información sobre Mahoma en la Doctrina pueril de Ramon Llull, (en:) Taula, quaderns de pensament, núm. 37, 2002, pág. 37-49, p. 40.

(2) eo quod templum sanctimonie erat ibi حيث هناك المعبد المقدس.

أما الدين المسيحي فيعتبر المكان الأكثر قداسة في أورشليم هو كنيسة القيامة حيث يقع موضع الجلجثة حيث صُلب يسوع. المعبد الإسلامي الأكثر أهمية في أورشليم هو قبة الصخرة، ويقع هذا المكان المقدس في جبل الهيكل. ويؤمنون أن محمداً قد بدأ رحلته الليلية "المعراج" من هناك، والذي سيتناوله النص لاحقاً[1].

ب. 2.3.2. ثم عند بلوغه الخامسة والعشرين اتخذ خديجة زوجة له
Cum autem esset annorum viginti ve duxit uxorem que Hadiga dicitur

زواج النبي من الأرملة الغنية خديجة Khadīdja، أمر مؤكد في التقليد الإسلامي، كما أنه مقدّم، بموازاة ذلك، في سيرة ابن إسحاق[2]. ومع ذلك، فيما يتعلق بنص رودريغو خيمينيث دي رادا، من المستغرب ظهور اسمين أنثويين في الفصل الثاني: Hadeya وHadiga. ويمكن أن يفسرا على أنهما الاسم الأصلي: خديجة Khadīdja، لكن لكليهما خصائصه المختلفة[3].

يَرِد Hadeya عند ذكر الأرملة الغنية التي تَعرِض العمل على محمد[4]، بينما يَرِد Hadiga عند ذكر زواجها بالنبيّ[5]. ومع أنه يتزوج من خديجة Hadiga بادئ الأمر، إلا أنه يتخذ من خادمتها زوجة له[6].

(1) De sublimatione Machometi in regem, et de visionibus mendaciter excogitates.
حول ارتقاء محمد كمَلك والرؤى الكاذبة (الفصل الخامس).

(2) ابن إسحاق، المرجع السابق، ص 142، وانظر فهرس الكتاب.

(3) انظر أيضاً: Matthias Maser, op. cit, pp. 255-256

(4) ipse ad cuiusdam diuicis uidue, que Hadeya dicebatur, familiam se conuertit, et circa operaciones domesticas industrius est inuentus;
عمل هو ذاته خادماً لدى أرملة غنية تُدعى خديجة Hadeya وأظهر اجتهاداً في الأعمال المنزلية، (الفصل الثاني)،قارن مع ابن إسحاق

(5) Cum autem esset annorum uiginti Ve, duxit uxorem que Hadiga dicitur
ثم عند بلوغه الخامسة والعشرين اتخذها زوجة له. (الفصل الثاني).

(6) Demum eciam uiduam que eum exhibuerat superduxit.
وأظهر نفسه كثير الامتنان. (الفصل الثاني).

من الصعب تحديد سبب هذا الالتباس. إذ يمكن أن يكون المؤلف قد اعتمد على مصدرين مختلفين واعتمد جزءاً من القصة من إحداهما، وجزءاً آخر من المصدر الثاني. والمثير للدهشة، أنه لم يتم مطابقة Hadeya مع Hadiga على الرغم من أن الاسمين يتمايزان عن بعضهما بحرفين فقط. لا يمكن استبعاد احتمال أن رودريغو خيمينيث دي رادا أراد الإبقاء على الاسمين لمنح شعور بمجون مؤسس الإسلام والإيحاء للقارئ أن محمداً لم يتزوج بامرأة واحدة، بل بنساء أخريات، وربما بكل من استطاع أن يصل إليهن"[1].

لقد كان تقديم محمد كرجل شبق واحداً من المصادر المفضلة لدى كتّاب أعمال المواجهة اللاتينيين في العصور الوسطى[2]. وعدد زوجات النبي المقترح من قبل الكتّاب المسيحيين، والمستوحى ربما من المعلومات الموجودة في القرآن[3]، تراوح بين الخمس

---

(1) Cum autem esset annorum uiginti Ve, duxit uxorem que Hadiga dicitur. Demum eciam uiduam que eum exhibuerat superduxit, et procedente tempore alias cumulauit ita quod XVIII uxorum libidine immo adulterio fedabatur.

ثم عند بلوغه الخامسة والعشرين اتخذ(ها) زوجة له تلك التي تُدعى خديجة. وأخيراً اتخذ لنفسه زوجة ثانية على الأرملة التي أعالته، وفي الفترة اللاحقة جمع ثماني عشرة امرأة ليتلطخ في شهوته بأدنى درجات الفحش. (الفصل الثاني).

(2) رظنا: N. Daniel, op. cit., pp. 96-102 et passim.

(3) Profeta! Te declaramos lícitas a tus esposas: aquellas a las que diste! tus dotes, alaesclavaqueposeetu diestra porque Dios te las ha dado en la guerra, a las hijas de tu tío paterno, a las hijas de tus tías paternas, a las hijas de tu tío materno y a las hijas de tus tías maternas que han emigrado contigo ; y a la mujer creyente, (si ella se da al Profeta, si el Profeta quiere casarse con ella). Es un privilegio para ti, no para los creyentes.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأحزاب 50). لا يزال عدد زوجات النبي موضع نقاش بين الدراسات، ومن الممكن الجزم أنه في الفترة التي سبقت وفاته كان لديه تسع زوجات.

عشرة والعشرين[1]. ويمكننا أن نلاحظ بالاستناد إلى هذا المقطع، أنّ رودريغو خيمينيث دي رادا يتموضع في التيار ذاته الذي يظهر تعدد زوجات النبيّ. ومع ذلك، فإن رئيس الأساقفة لم ينتهز كل الإمكانات التي توفرها المعلومات عن حياة النبي. فكما سنرى لاحقاً[2]، فإنّ مؤلف النص لم يطوّر أو يموّه بأيّة وسيلة كانت ما ذُكر، بما في ذلك المرأة المحفوظة لزيد، تلك التي شاهدها محمد في السماء. وقصة زيد Zaïd[3] صاحب محمد والمستخدمة لتقدّم باعتبارها ذروة مجون النبي الكاذب[4].

من المسائل الأخرى التي تواجهنا في الفصل الثاني ماهية وسبب التبني[5]. ولم نستطع أن نجد المصدر أو التفسير لهذا الخبر. وتظل

(1) مثال: نجد في المخطوطة العاشرة في أونكاستيو أن محمداً كان متزوجاً من 16 امرأة: وكان محمد متزوجاً من زوجته خديجة، وكانت أول من تزوج، وكان له ست عشرة زوجة. Et ipse Mahometus duxit Hadigam in uxorem; et hec prima Quam habuit et habuit sedecim uxores cum ista السطرين 26 و 27 V. Valcárcel, «La Vita Mahometi del códice 10 de Uncastillo (s. XIII): estudio y edición» (en:) Actas: III Congreso Hispánico de Latín Medieval (León, 26-29 de Septiembre de 2002), vol. I, coordinador: Maurilo Pérez González. León: Universidad, Secretario de Publicaciones y Medios Audiovisuales, (2002), págs. 211-245. El manuscrito de Milan, Bibl. Ambrosiana ms. R. 113 Sup. fol. 2855 enumera hasta dieciséis esposas del Profeta

(2) انظر الفصل ب. 2. 6. 2.

(3) كتابة الاسم حسب Maurice Gaudefroy-Demombynes

(4) انظر الهامش 262.

(5) reduci fenore sibi gratiam et uidue diuicias cumulabat, et factus est in occulis uidue gratiosus, adeo ut eum in filium adoptaret.

ملأها بإفادة مزدوجة بفضله هو وبفضل ذهب الأرملة، وأظهر نفسه كثير الامتنان في عيون الأرملة حتى تبنّته كابن لها. (الفصل الثاني).

الاستعارة كاحتمال تفسيريّ لفهم هذا المقطع، بغية الإشارة إلى أن محمداً اكتسب مودة وامتنان مخدومه لدرجة أنه كان يُعامل كأحد أفراد الأسرة.

ب. 2. 3. 3. أصلحوا الكنيسة المدمّرة التي كانت تُدعى الكعبة
Deiectam ecclesiam repararunt que Alcahaba dicebatur

اتّبع مؤلف تاريخ العرب Historia Arabum خطى ابن إسحاق في وصف ترميم معبد الكعبة. ويشير كل من رودريغو خيمينيث دي رادا والكاتب العربي إلى وقوع هذا الحدث بعد زواج النبي من خديجة[1]، لكن، وكما أشار Matthias Maser فالروايتان لا تتطابقان، لا في النهج العام، ولا في التفاصيل[2].

وفي الواقع، فالمقطع الذي يروي قصة وضع الحجر الأسود[3]

---

(1) ترميم الكعبة في عمل ابن إسحاق: ابن إسحاق المرجع المذكور ص 150-146.

(2) انظر M. Maser, op. cit., pp. 257-269

(3) erat lapis niger in angulo apponendus, quem eciam hodie ob reuerenciam Arabes osculantur. Cumque maiores populi dissiderent quis consumationis lapidem adaptaret, ultimo conuenerunt ut, qui primus in porta que Bayssayba dicitur appareret, ille lapidem collocaret. Accidit autem Mahomat per portam prius ceteris aduenire, et consenserunt ut ipse esset supradicti lapidis coaptator. Et ipse extendens clamidem texit petram, et uocatis ad se IIIIor de Coraxinis tulerunt lapidem ad structuram et ipse ut cementarius collocauit. (...)Erat autem Mahomat annorum XXXV.

بعد الانتهاء من الكنيسة كان عليهم أن يثبتوا في الزاوية حجراً أسود والذي إلى اليوم أيضاً يقبله العرب بخشوع. وعلى الرغم من أن كبار القوم قد اختلفوا فيمن سيقوم بوضع الحجر في مكانه، إلى أن اتفقوا أخيراً أن أول من يدخل من باب يسمى Bayssayba، هو من سيضع الحجر. ثم إن محمداً دخل من الباب قبل أن يصل الآخرون، وتوافقوا على أنه هو ذاته من سيركن الحجر المذكور. فقام ونشر ثوبه وغطى الحجر فيه، ونادى لأربعة من كبار قريش Correxini، فحملوا الحجر إلى الهيكل وهو نفسه كبنّاء وضع (...) ... كان محمد حينها قد بلغ الخامسة والثلاثين.

يظهر في الشهادة المدرجة في كتاب 'السيرة' لمحمود حسين[1]:

Mais lorsqu'ils arrivèrent à l'angle de l'édifice où devait être réenchâsée la Pierre Noire, vénérée de tous, une dispute éclata. Chacun d'entre eux revendiqua pour lui, à l'exclusion de Tous les autres, l'honneur de mettre la Pierre à sa place. La discorde se prolongea, s'envenima et menaça de dégénérer en conflit armé.

---

(1) مؤلفا كتاب «السيرة: نبي الإسلام بلسان صحابته»، بهجت النادي وعادل رفعت- اللذان اختارا اسماً مستعاراً للتوقيع المشترك (محمود حسين). وعادل رفعت: اسمه الأصلي «إيدي ليفي». ولد في القاهرة سنة 1938 لعائلة يهودية تعود في جذورها إلى مدينة يافا التي استوطنت فيها منذ القرن التاسع عشر على الأقل. وعندما اختارت عائلته مغادرة مصر عقب حرب السويس في سنة 1956، رفض إيدي ليفي المغادرة وأصرّ على البقاء في القاهرة، ثم لم يلبث أن أعلن اعتناقه الإسلام. وكان إسلامه نوعاً من إعلان القطيعة مع عائلته التي تركت مصر باختيارها. وثمة رواية أخرى عن اعتناقه الإسلام تقول إنه أقدم على هذه الخطوة كرمى لعيني فتاة مصرية مسلمة تعرّف إليها في مدرسة فرنسية وتزوّجها في ما بعد. وتضافرت الأحوال في القاهرة ليلتقي «توأمه» بهجت النادي، وهو طالب يساري في كلية الطب ينتمي إلى عائلة بورجوازية مسلمة. ومنذ ذلك اللقاء وهما معاً في مصر وفي السجن وفي فرنسا، يكتبان معاً ويوقعان باسم واحد هو «محمود حسين». اختار إيدي ليفي اسم «عادل رفعت» بعد اعتناقه الإسلام، واختار الماركسية نظرية فكرية لنقد المجتمع والسلطة. وكان انتماؤه إلى الماركسية خياراً ثقافياً حاسماً بين رجعية جماعة الإخوان المسلمين وبين «لاوطنية» حزب الوفد الذي كان متحالفاً بقوة مع الإنكليز قبل ثورة 23 تموز 1952. سجن عادل رفعت وبهجت النادي معاً في عهد الرئيس جمال عبد الناصر بتهمة الشيوعية. وعندما أفرج عنهما في سنة 1964 غادرا إلى بكين، ثم إلى فرنسا. وفي فرنسا التقى عادل رفعت شقيقه «بيار فيكتور» في سنة 1966، أي بعد عشر سنوات من الافتراق. انخرط عادل رفعت وبهجت النادي في الجهد السياسي إلى جانب حركة فتح في فرنسا، وكانا، في أثناء ذلك، يتابعان معاً الدراسة في جامعة السوربون، ثم في معهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، وحازا الدكتوراه معاً في هذا الحقل. ومنذ ذلك التاريخ لم يفترق الصديقان قط. وفي باريس تحوّل الثنائي «محمود حسين» ثلاثياً بعد اللقاء مع «بيار فيكتور» ولا سيما عندما اكتشف الجميع أنهم يتمون إلى الشظية الماوية في التيار الماركسي الأممي. في 8/ 5/ 2005 أصدر الثنائي محمود حسين كتاباً بعنوان: «السيرة: نبي الإسلام على لسان صحابته» (باريس: دار غراسيه).وفيه نصوص لم يهتد إليها 98٪ من الباحثين في تاريخ الإسلام أو في السيرة النبوية. -مترجم

Au bout de quatre nuits, alors que les chefs des différents clans étaient réunions dans l'enceinte de la Mosquée, l'un d'entre eux dit:

- Gens de Quraysh, pour trancher ce litige, prenez pour arbitre le premier qui franchira le seuil de cette Mosquée.

Ils se rallièrent à la proposition et Tous les regards se tournèrent vers l'entrée. Le premier à la franchir fut Muhammad ibn 'Abd Allâh. En le voyant, ils dirent:

- C'est Muhammad le probe. Nous l'acceptons. Ils lui annoncèrent qu'ils s'en remettaient à son arbitrage. Il dit: - Apportez-moi une robe. Ils lui apportèrent une robe, qu'il étala sur le sol. Puis il prit la Pierre Noire, la posa sur la robe et dit: - Que chaque clan prenne la robe par un bout. Soulevez-la tous ensemble. Ils avancèrent jusqu'à l'emplacement réservé à la Pierre. Alors Muhammad la prit dans ses mains, la posa à sa place et acheva de bâtir le mur au-dessus de l'emplacement. (...) Muhammad ibn 'Abd Allâh avait alors atteint sa trente-cinquième année[1].

ولكن عندما وصلوا إلى زاوية البناء حيث يتوجب وضع الحجر الأسود، الذي يبجله الجميع، نشب الشجار. كان كل منهم يطالب بذلك، مستبعداً الجميع، لينال شرف وضع الحجر بمكانه. وطال النزاع، حتى خافوا القتال.

بعد أربع ليال، وبينما كان زعماء القبائل مجتمعين في بناء المسجد، قال أحدهم:- يا معشر قريش، لنبذ هذا الخلاف، تحكّمون أول من يعبر عتبة هذا المسجد.

اتفقوا على هذا الاقتراح، وكل العيون تحولت إلى المدخل.

(1) Mahmoud Hussein, Al-Sîra, Le Prophète de l'islam reconté par ses compagnons, Éditions Grasset et Fasquelle, 2005, vol. I, pp. 271-272.

أول من عبر كان محمد بن عبد الله. وعندما رأوه قالوا: هذا هو محمد الصادق. نحن نرضى. وأعلموه أنهم يحكّمونه. قال: أحضروا لي ثوباً. فأحضروا له الثوب، وقال أن يضعوه على الأرض. ثم أخذ الحجر الأسود ووضعه على الثوب، ثم قال: إن كل قبيلة تأخذ الثوب من أحد الأطراف. رفعوه معاً. تقدموا إلى المكان المحجوز للحجر. ثم تولّاه محمد بيديه، ووضعه في مكانه وانتهى من بناء الحائط فوق الموقع. (...) محمد بن عبد الله كان قد بلغ عامه الخامس والثلاثين.

يمكننا الملاحظة أن النصين متوافقان فيما يخص تزامن الأحداث وتكوين النص. الأجزاء التي يتفق فيها النصّان هي التالية:

1 - وصف الحجر الأسود كشيء يتمتع بالتبجيل والمعلومات بوجوب وضعه في ركن البناء.

2 - الجدل حول من الذي سيضع الحجر المقدس.

3 - فكرة انتظار أول من يعبر الباب ليحلّ النزاع.

4 - حلّ مسألة وضع الحجر بين الممثلين الخمسة، وذلك باستخدام القماش.

5 - معلومات عن عمر النبي، المذكور في نهاية القصة (وليس، كما هو معتاد في تاريخ ابن إسحاق بأن يكون في بداية القصة)[1].

ومع ذلك، يجب علينا أن ندرك أن هناك الكثير من التفاصيل تنعدم فيها أوجه التشابه في كلا النصين... لا يظهر في نص محمود حسين:

---

(1) قارن ابن إسحاق المرجع المذكور ص 146، تبدأ الرواية:
Ibn Ishâq dit: Lorsque l'Envoyé d'Allâh atteignit l'âge de trente cinq ans.

1- الغاية وراء سفينة ملك مصر المسيحي[1].

2- معلومة أن أول من يعبر الباب سيضع الحجر، النص العربي يعالج مسألة أن أول من يدخل سيحلّ الجدال.

3- اسم الباب ـ Bayssayba.

4- الإشـارة إلى الشخص الذي ارتـاب في تعيين الشاب محمد لحل المعضلة[2].

يمكن تحديد اسم الباب Bayssayba كاسم يرد في العربية باسم بني شيبة Banī Šayba، وهو اسم الباب للطرف الشمالي الغربي للكعبة. وقد ذُكر هذا الاسم في المصدر الذي يبدو أن كاتباً قد استخدمه في هذا المقطع: ابن سعد كتاب الطبقات الكبرى، 1 / 145 [3].

يشير Matthias Maser إلى المصدر ذاته حول الاقتباس المذكور في النقطة 4 – نقلها عن ابن سعد، الطبقات الكبرى،1/ 145 [4]. وهي

(1) nauem regis Egipti Christiani, qui in Ethiopia ecclesiam ceperat hedificare, oneratam lignis in Arabie littore acceperunt, et ex istis lignis deiectam ecclesiam repararunt que Alcahaba dicebatur.

واتخذوا سفينة لملك مصر المسيحي، الذي كان قد بدأ ببناء كنيسة في إثيوبيا، (كانت السفينة) محملة الأخشاب (وكانت موجودة) على شاطئ جزيرة العرب، وبهذه الأخشاب أصلحوا الكنيسة المدمّرة التي كانت تُدعى الكعبة. (الفصل الثاني).

(2) et cum omnes crederent esse Prophetam, inquit quidam: "Cum tot seniores et uiri probabiles in uestro concilio habeantur, miror quare hunc adhuc iuuenem omnibus pretulistis". Et iurans et interminans: "Hic sine dubio uos disperdet". E contrario alii resistebant dicentes a diabolo sic locutum.

ونظروا إليه جميعاً كنبيّ، قال أحدهم: "مع أن العديد من السادة والرجال موجودون في هذا المجلس، أنا مندهش كيف قدّمتم هذا الشاب عليكم". شاتماً ومتوعداً: "بهذا سيكون هلاككم" وبخلاف ما قاله، عارضه الآخرون قائلين إن (ذلك كان) قولاً من الشيطان. (الفصل الثاني).

(3) M. Maser, op. cit., n. 161, p. 257.

(4) M. Maser, op. cit., n. 164, p. 258.

خطبة ألقاها رجل مجهول نجديّ بعد أن وُضع الحجر (ترجمة Maser الألمانية):

Wie seltsam für ein Volk von Ehre, Verstand, Alter und Wohlstand, sich an den Jüngsten aus ihren Reihen zu wenden, den am wenigsten Wohlhabenden! (Wie seltsam,) dass sie ihn in (ihren) edlen Taten über sich stellen und dass er sie beaufsichtigt, als wären sie seine Diener! Bei Gott, er wird sie über flügeln und über Wohlstand und Glück entzweien!)) Er soll aber Iblis (d.h. der Teufel, M.M.) gewesen sein[1].

(يا عجباً لقوم أهل شرف وعقول وسن وأمـوال عمدوا إلى أصغرهم سناً وأقلهم مالاً فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم كأنهم خدم له. أما والله ليفوتنهم سبقاً وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً). ويقال إنه إبليس[2].

المعلومات حول دمار الكعبة بسبب السيول[3] لها ما يوازيها في التقليد العربي[4]. ومن المعروف أن الكعبة قد أُعيد بناؤها على مرّ التاريخ خمس مرات[5]. وفي كتب السيرة المعاصرة للنبي نعثر على

---

(1) الترجمة الإسبانية،(Qué extraño para una nación de honor, inteligencia, antigüedad y riqueza, dirigirse a el menor de entre sus filas, el menos rico! (Qué extraño,) que lo superpongan en (sus) nobles hechos y que él les supervise como si ellos fueran sus siervos! Por Dios, él les superará y dividirá encima de la felicidad y la prosperidad) Éste no debió de ser nadie más que Iblis (i.e. el diablo, M.M.)

(2) الطبقات الكبرى، ذكر وفاة آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ـ مترجم

(3) Ecclesia nobilis apud Mecham inundatione fuit penitus dissipata, كان ثمة كنيسة شهيرة في مكة... ودمرت عن بكرة أبيها بسبب السيل. (الفصل الثاني).

(4) الإشارة إلى السيول التي أدت لتدمير المعبد: ابن سعد الطبقات الكبرى ج 1.

(5) ابن إسحاق المرجع السابق المذكور. n. 150, p 146

المعلومات التي تشير إلى أن «(محمداً) شارك في إعادة بناء الكعبة، التي كانت في ذلك الحين شبه خراب»[1]. والمعلومات عن أنها كانت مرصعة بالفضة، والذهب، والأحجار الكريمة، ربما تعود إلى أسطورة الكنز المكنون في الكعبة:

Un groupe d'hommes avait volé un trésor de la Ka'ba, normalement ce trésor devait être dans un puits à l'intérieur de la Ka'ba[2].

الترجمة عن الفرنسية: وكانت مجموعة من الرجال قد سرقت كنز الكعبة، وعادة ما كان هذا الكنز موجوداً في حفرة داخل الكعبة.

النص كما ورد في الطبقات: وسرق منه حلية وغزال من ذهب كان عليه در وجوهر وكان موضوعاً بالأرض. ـ المترجم

أن يكون محمد أوصى أن يستقبل المصلّون منذ ذلك الحين جهة مكة على الدوام، ليس صحيحاً من الناحية التاريخية. ففي الفترة المبكرة من الإسلام وجّه المؤمنون رؤوسهم وهم يصلون نحو أورشليم[3]. وبعد أن فشل الاتحاد بين محمد واليهود، أعلن النبي (من المرجح في العام 624) أن الإيمان الحقيقي هو إيمان إبراهيم، باني الكعبة، ومنذ ذلك الحين توجّب على المؤمنين أن يصلّوا متجهين نحوها[4].

في الختام، يجدر التنويه إلى أن رودريغو خيمينيث دي رادا أبى أن يروي المعجزات الكاذبة التي تثبت أن محمداً رسول من عند الله.

(1) Juan Vernet, Mahoma, Madrid, 1987, p. 33-34.

(2) ابن إسحاق المرجع السابق المذكور p146.، انظر أيضاً Brannon Wheeler, Mecca and Eden: ritual, relics, and territory in Islam, Chicago 2006, cap. I Treasure of the Ka'ba, Págs. 19-43.

(3) Juan Vernet, Mahoma, Madrid, 1987, p. 44.

(4) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, p.115.

وعلى امتداد أسطورة بناء الكعبة يمكننا أن نقدّر كيف رفض رئيس الأساقفة تيار الأدب المسيحي الذي يسخر من بطل الأسطورة الذي يشرح، حسب هذا التيار، كيف درّب الحيوانات أو أخفى الطعام كي يضفي لاحقاً، بشكل إعجازي، صفة الإيمان على رسالته[1]. وبدلًا من ضرب أساطير المعجزات الكاذبة، التزم المؤلف بالسماح للمصادر العربية أن تتحدث. ويبدو هامّاً أن رودريغو خيمينيث دي رادا قرر أن يذكر حلقة إعادة بناء الكعبة، حيث يظهر محمد كمفاوض جيد وموفّق، وقادر أن يعثر على حلّ للنزاع.

ب. 2. 3. 4. من مكة إلى يثرب هرباً

a Mecha in Hyatrib fugere

في نهاية الفصل ب نقرأ أن محمداً Mahomat اضطر إلى مغادرة مكة بسبب الجدال مع القرشيين[2]. وهكذا يصف المؤلف ما يسمى بالهجرة hégira، حيث كانت هجرة محمد في 16 تموز من عام 622 لميلاد يسوع المسيح، وبداية التأريخ الإسلامي[3]. وتعتبر المعلومات

(1) nter alios: Óscar de la Cruz Palma, «La Vita Magumethi de Voragine – Iacobus a Voragine (Iacopo da Varazze) c. 1226 – 1298», http://www.hottopos.com/, Mirandum 19, CEMOrOc Feusp – IJI Univ. do Porto – 2008.

(2) Post hec Mahomat fecit moram per quinquennium apud Mecham, et ibi multis dissensionibus cum hiis, qui erant de genere Corexi et ydola adorabant, frequentius concertabat unum Deum tantummodo predicans adorandum; set quia illi potencia preminebant, eum a Mecha in Hyatrib fugere compulerunt.

بعد ذلك قطن محمد في مكة خمس سنين، ودبت الخلافات بينه وبين رجال قريش الذين كانوا يعبدون الأصنام. (هو) كان يبشر تكراراً بأن هناك إلهاً واحداً يجب عبادته، لكنهم إذ كانوا يسودون بقوتهم، فأجبروه على الفرار ذليلاً من مكة نحو يثرب. (الفصل الثاني)

(3) W. Montgomery Watt, Mahoma, profeta y hombre de estado, Buenos Aires 1973, p. 84.

الواردة في هذا الفصل من تاريخ العرب Historia Arabum صحيحة جزئياً. وفي الواقع، حيث إن الصراعات مع القرشيين كانت هي أسباب الهجرة إلى المدينة Medina[1]، لا يتوافق مع ذلك تأريخ عمل رودريغو خيمينيث دي رادا مع التأريخ العربي. ووفقاً لابن إسحاق، فبعد أن أمضى خمس سنوات في مكة، وفي الأربعين من عمره[2]، تعرض محمد لأولى تجارب الوحي:

Lorsque Muhammad, l'Envoyé d'Allâh atteignit l'âge de quarante ans, Dieu l'engagea comme prophète en compassion pour tout lemonde et pour tous les hommes[3].

(الترجمة عن الفرنسية): عندما بلغ محمد، رسول الله سنّ الأربعين، بعثه الله نبيّاً رحمة للعالمين ولكل البشر.

(النص كما ورد في الطبقات): ورسول الله يومئذ ابن أربعين سنة وجبريل الذي كان ينزل عليه بالوحي - المترجم

لقد أبى كل من رودريغو خيمينيث دي رادا كما ماركوس دي توليدو في عمليهما النظر إلى أن النبي كان يبشر بدين توحيدي في مواجهة عبادة الأوثان التي اعتنقها العرب قبل الإسلام[4]. فتبرز ثانية

(1) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, p.101-114 et passim.

(2) في تاريخ العرب Historia Arabum الفصل الثاني نقرأ:
En la Historia Arabum, cap. II leemos: Viri autem seniores et populus reparatam ecclesiam iuxta dignitatem pristinam ornauerunt, et tunc Mahomat suasit eis ut semper uersus illam ecclesiam adorarent. Erat autem Mahomat annorum XXXV. Post hec Mahomat fecit moram per quinquennium apud Mecham (...).

ثم إن الرجال والوجهاء وعامة الناس زيّنوا الكنيسة المرمّمة لتعود إلى بهائها السابق ومن ثَمّ أقنعهم أن يتوجهوا بناظريهم نحو تلك الكنيسة كلما أرادوا الصلاة. كان محمد حينها قد بلغ الخامسة والثلاثين. بعد ذلك قطن محمد في مكة خمس سنين.

(3) ابن إسحاق،المرجع المذكور سابقاً ص 180.

(4) انظر الفصل أ. 2. 2. 4.

موضوعية المعلومات التي يعرضها صاحب تاريخ العرب Historia Arabum، بعيداً عن التعليقات ذات القصد.

ب. 2. 4. عن التبشير والتمرّد المحمدي

De predicatione et rebelione Machometi

يبدأ الفصل الثالث مع بيانات زمنية مختلَطة، ومبنيّة على تأريخ نسبيّ. في هذا الفصل نقرأ أن محمداً Machometus، بعد خمس سنوات، دخل مكة، وكان حينها في الأربعين[1]. وبقي هناك لثلاث سنوات قبل أن يبدأ بالتبشير العلني. ويمكننا أن نفترض أنه بسبب الاستناد إلى أنواع مختلفة من المصادر، فإن المؤلف يذكر أن النبي بلغ الأربعين مرتين، الأولى عندما كان في مكة قبل الهجرة (الفصل الثاني) والمرة الثانية عندما عاد إلى مكة (من المدينة ؟) (الفصل الثالث).

تعتبر المعلومات صحيحة[2] من أن محمداً بدأ يتلقى الوحي في سن الأربعين[3]. كذلك فإن الباحثين المعاصرين الذين يختبرون المصادر العربية يؤكدون أيضاً أن محمداً عاش فترة ما بعد الوحي، دون أن يُظهر نبوّته خلالها:

«على الرغم من أن الظلمة والشّك يلفان كثيراً من التفاصيل، إلا أنها حقيقة تاريخية لا جدال فيها أنه في أوائل القرن السابع بدأ محمد

---

(1) Post quinque autem annos, cum esset annorum XLa, Mecham intrauit et ibi latuit per tres annos nolens ostendere se Prophetam.

بعد خمس سنين، وكان قد بلغ الأربعين، عاد إلى مكّة وظل متخفّياً لثلاث سنين دون رغبة منه في أن يظهر كنبي (الفصل الثالث).

(2) صحيحة: أي لها أصل في التقليد العربي. ـ مترجم

(3) انظر الهامش 291.

التبشير في مكة والإعلان عن نفسه نبياً. ويمكن اعتبار العام 610 تاريخاً تقريبياً لأول وحي والعام 613 لبدئه تبشير أهل مكة بشكل عام»[1].

تنتمي السنوات الثلاث منذ أول وحي والتبشير العلني إلى الفترة المكيّة[2] mequí، وقد أُشير إليها في نص رودريغو خيمينيث دي رادا. تفسير آخر محتمل هو الافتراض أن السنوات الثلاث محل البحث تتعلق بالفترة التي توقف[3] فيها محمد عن تلقي النبوءات:

«اعتقد المسلمون في تلك الأيام الأولى، بأن الوحي يحدث خلال شهر رمضان، لكنه كان ينزل بشكل متواتر. ثم انقطع فجأة ومحمد، إثر امتداد هذه الفترة الصامتة، دخل في مرحلة من التردد إلى أن حمل له جبريل السورة 93 (الفجر). رغم ذلك ـ ربما، وحسب بعض التقاليد، لأنه كان مريضاً ـ ظلّ لمدة تقارب الثلاث سنوات دون وحي جديد»[4].

مهما كانت الإشارة التي ذكرها المؤلف، فإن الفصل الثالث من تاريخ العرب Historia Arabum لا يعدو كونه معلومات مستقاة من مصادر عربية، مقدَّمة مع جرعة كبيرة من الموضوعية. المسألة الأخرى التي يذكرها الفصل الثالث هي ظهور القرآن بفضل تدخل الملاك. وكذلك في هذا الموضع نستطيع أن نعثر على أوجه للتشابه مع التقاليد العربية: نجد خبر تنزيل القرآن على محمد من قبل رئيس الملائكة جبرائيل في سيرة ابن إسحاق[5].

(1) W. Montgomery Watt, Mahoma, profeta y hombre de estado, Buenos Aires 1973, p. 27.

(2) حسب تأريخ J. Vernet، تكون الفترة المكيّة الأولى (610 ـ 615) راجع: Eiusdem, Mahoma, Madrid, 1987, p. 43.

(3) قال البخاري في روايته المتقدمة: ثم فتر الوحي حتى حزن النبي. ـ نبيل فياض

(4) Juan Vernet, Mahoma, Madrid, 1987, p .41.

(5) انظر الصفحات في أ. 2. 3. 1.

من وجهة نظر لغوية يبدو مثيراً للاهتمام أن المؤلف يستخدم الفعل ـ يكذب mentiri ـ مرة أخرى في سياق العلاقة بين بطل الرواية مع الملائكة[1].

كما تعتبر الرواية التي وردت بعد نزول القرآن، كمعلومات حول النبي «كيف انسحب بشكل مذِلّ إلى مدينته يثرب»[2]. إن تراتبية الأحداث المذكورة في هذا الفصل تجعل المرء يرتاب بأن الكاتب قد عاود الإشارة إلى الهجرة، وخاصة لأنه للمرة الثانية[3] يذكر وثنية القرشيين كمسبب لهجرته. ومع ذلك، يمكن لضمير الغائب في عبارة: مدينته Suam uillam، إشارة إلى أن محمداً قد كان موجوداً

---

(1) قارن بين: Cum autem esset infans annorum IIIIor, ut ipse mentitur, uenerunt duo angeli(...) Hec mentiturin uisione se a Gabriele angelo audiuisse. ولمّا بلغ (محمد) أربع سنين، كما ادعى هو ذاته كذِباً، جاءه اثنان من الملائكة (...) وافترى أنه سمع هذه الأشياء من الملاك جبرائيل (الفصل الأول) وبين: Et ibi mentitur sibi datum ab angelo librum qui dicitur Alcoranus .y وهو يكذب بأنه قد تلقى من الملاك كتاباً اسمه القرآن (الفصل الثالث).

(2) Et quia adhuc Mecha pro maiori parte a Correxinis ydolorum cultoribus tenebatur, ipse quasi humiliter cedens in uillam suam Hyatrib declinauit; ودبت الخلافات بينه وبين رجال قريش الذين كانوا يعبدون الأصنام. لكنهم إذ كانوا يسودون بقوتهم، فأجبروه على الفرار ذليلاً من مكة نحو يثرب. (الفصل الثالث).

(3) قارن مع:

Compárese Post hec Mahomat fecit moram per quinquennium apud Mecham, et ibi multis dissensionibus cum hiis, qui erant de genere Corexi et ydola adorabant, frequentius concertabat unum Deum tantummodo predicans adorandum; set quia illi potencia preminebant, eum a Mecha in Hyatrib fugere compulerunt.

بعد ذلك قطن محمد في مكة خمس سنين، ودبت الخلافات بينه وبين رجال قريش الذين كانوا يعبدون الأصنام. (هو) كان يبشر تكراراً بأن هناك إلهاً واحداً يجب عبادته، لكنهم إذ كانوا يسودون بقوتهم، فأجبروه على الفرار ذليلاً من مكة نحو يثرب. (الفصل الثاني).

في السابق بالمدينة. وهو ما يتفق مع المعلومات الواردة في الفصل الأول، حيث يروي أن محمداً Mahomat ولد في يثرب[1].

الميزات اللغوية لكلا المقطعين[2]، أحدهما من الفصل الأول والآخر من الفصل الثالث، لا يمنع من الاعتقاد أن المؤلف عاد إلى الاستناد إلى مصدره الأول، وهو نص خطّه كاتب مسيحي[3].

تروي لنا المعلومات التالية عن فتح مكة[4] وقوع هذا الحدث

---

(1) Anno Leouegildi regis Gothorum VIIIIo, era DC prima, in uilla que Hyatrib dicitur prope Mecham erat homo Aly nomine filius Abdelmutalib et uxor eius Emina; nomen patris Emine Bayab et matris eius Halima, que concepit et peperit filium quem uocauit Mahomat.

في السنة الثامنة لملك القوط ليوفيجيلدو، في الحقبة الأولى AD، في مدينة تدعى يثرب بالقرب من مكة كان هناك رجل اسمه علي بن عبد المطلب وزوجته آمنة. (كان) أبو آمنة يدعى بياب وأمها حليمة، وهي حملت وولدت ابناً دَعته محمداً.

(2) يمكن الملاحظة أن المقطعين قد كُتبا بالشكل ذاته: uilla Hyatrib مدينة يثرب. كما يمكن ملاحظة العديد من الجمل التي تستخدم المبني للمجهول والجرّ 'المطلق' Arabia et Africa (...) traheretur أي جزيرة العرب وأفريقيا(...) تتنازعهما (الفصل الأول)، pane deficiente erbis (...) vescerentur الخبز وحشائش البريّة (...)تناولوا (الفصل الأول)، tenebatu (...) Meca مكة (...) اعتنقت (الفصل الثالث) resumptis uiribus intrauit استرد قوته دخل (الفصل الثالث). اللغة اللاتينية المستخدمة في هذين المقطعين تبدو مشابهة للاتينية في الحقبة الكلاسيكية، ومثالاً عليه هو الفصل الخامس.

(3) يقدم M. Maser تفسيراً مختلفاً لهذا المقطع مما يدل على أن المؤلف يشير إلى أحداث العام 6/ 628، عندما أراد محمد لقومه أن يحجّوا إلى مكة، ولكن القرشيين منعوه وجعلوه يغادر إلى المدينة. M. Maser، مرجع سابق pp265_266.

(4) Et postea resumptis uiribus intrauit Mecham et eos, qui erant de genere Corexi et ei restiterant, ui et potencia captiuauit et quasi improperans dixit eis: "Quid de uobis faciam?". At illi dixerunt: "Bene, quia estis largus et curialis". Et ipse continuo dimisit eos et deinceps humiliter subfuerunt.

وبعد أن استرد قوته، دخل مكة، وقاومه أولئك الذين كانوا من قبيلة قريش، فقبض عليهم بالقوة والسلطة وقال لهم مؤنباً: «ما أنا فاعل فيكم؟ " فقالوا له: «خيراً (ستفعل) فأنت كريم وصالح» . وعفا عنهم على الفور، وهم خضعوا له بتواضع.

في سنة 630 / 8، وفقاً للمصادر العربية، ثم أعلن محمد العفو عن مواطني بلد مسقط رأسه. في سيرة النبي لابن إسحاق نجد نسخة عن الحوار الذي تضمّنه الفصل الثالث:

Puis il dit: Ô gens de Quraysh! Que pensez-vous de ce que je verrai de vous?) Ils répondirent: Du bien, tu es un noble frère et le ils d'un noble frère.) Alors il leur dit: Allez-vous-en car vous êtes mis en liberté)[1].

ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

مرة أخرى يمكننا أن نقدّر استخدام مؤلف تاريخ العرب Historia Arabum لاقتباس ذي أصل عربي دون تجييره لأغـراض جدليّة. إضافة إلى ذلك، فهو يعرض إعادة صياغة نصيّة لها مع أنها تقدّم النبي ليس كمقاتل أو غازٍ، بل تقريباً كرجل محنّك ذي صفات سلمية.

المقطع التالي[2] واحد من المقاطع القليلة التي يتوافق فيها مؤلف تاريخ العرب Historia Arabu بشكل تامٍّ تقريباً مع مقدمة ماركوس دي توليدو[3]. ثم لاحقاً[4] نقرأ أن بطل الرواية فرض الصوم مرتين في

---

(1) ابن إسحاق المرجع السابق المذكور، ج2 ص349.

(2) Tunc precepit ut in turribus ubi consueuerant campane pulsari, Sarracenus quispiam proclamaret sicut et adhuc hodie proclamatur a cultoribus secte sue.

ثم أمر بأن ينادي أحد السرسنيين من على الأبراج التي كانت تقرع من عليها الأجراس (كما) هو الحال حتى اليوم إذ يُنادى لأتباع طائفته. (الفصل الثالث).

(3) انظر ج. 1.

(4) Precepit eciam ut in mense Ramadam ieiunarent XXX diebus et aliis XXX diebus in mense qui dicitur Almoharram; et domum in qua ipse natus fuerat fecerunt mezquitam.

كما أمرهم بالصيام ثلاثين يوماً في شهر رمضان وثلاثين يوماً أخرى في الشهر الذي يُدعى المحرّم، وحولوا المنزل الذي وُلد فيه إلى مسجد. (الفصل الثالث).

السنة: في شهري رمضان والمحرّم. وفي حين إنّ صيام شهر رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام في العقيدة الإسلامية، كما هو مذكور في القرآن[1]، فإن الصوم في شهر المحرم قلما عُرف، حيث يصومه تعبّداً العالم الإسلامي السنّي في اليوم العاشر من هذا الشهر، ويُدعى عاشوراء. ووفقاً للمصنفات المدرجة في مجلدات البخاري، فإن النبيّ كان يصوم في هذا الوقت، وأوصى أصحابه بهذا الصوم[2].

كذلك، لا يمكن العثور على معلومات في التقليد العربي تفيد أن صوم عاشوراء يستمر لأكثر من يوم واحد. أما البيت الذي ولد فيه محمد فقد حوّلته الخيزُران[3] Al_Khaïzurân إلى معبد، وهي زوجة الخليفة المهدي[4].

---

(1) سورة البقرة 197 – 185. ـ ملاحظة المترجم: آيات الصوم في سورة البقرة: 183 – 185

(2) ج3، الكتاب 31، رقم 116: روى ابن عمر The Prophet observed the fast on the 10th of Muharram ('Ashura), and ordered (Muslims) to fast on that day, but when the fasting of the month of Ramadan was prescribed, the fasting of the 'Ashura' was abandoned. 'Abdullah did not use to fast on that da y unless it coincided with his routine fasting by chance.

صام النبي صلى الله عليه السلام عاشوراء وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك وكان عبد الله لا يصومه إلا أن يوافق صومه. ج3،الكتاب 31، رقم 117: روت عائشة:

The tribe of Quraish used to fast on the day of Ashura' in the Pre-Islamic period, and then Allah's Apostle ordered (Muslims) to fast on it till the fasting in the month of Ramadan was prescribed; whereupon the Prophet said, "He who wants to fast (on 'Ashura') may fast, and he who does not want to fast may not fast.

أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شاء فليصمه ومن شاء أفطر.

(3) الخيزران بنت عطاء، وهي زوجة الخليفة العباسي المهدي، ووالدة الخليفة هارون الرشيد والخليفة الهادي، والخيزران هي جارية عربية استقدمت من اليمن، اشتراها الخليفة المهدي وأعتقها وتزوجها. ـ مترجم

(4) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, p. 62. Ibidem, n. 143: Yaqût, Geographisches Wörterbuch, 122.

راجع، ابن كثير: البداية والنهاية/ الجزء العاشر/ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومئة، وقد اشترت الدار المشهورة بها بمكة المعروفة بدار الخيزران، فزادتها في المسجد الحرام. ـ المترجم

ب. 2. 5. عن انتصار محمد على الرومان

De uictoria Machometi contra Romanos

سجل كلّ من خوان فرنانديز فالفيردي Juan Fernández Valverde ثم ماتياس مازر Matthias Maser، أن المصدر المباشر الذي اعتمد عليه الفصل الرابع من تاريخ العرب Historia Arabum هو الفصل الثامن من وقائع المستعربين[1] 754 ـCronica[2] . Mozarabe de 754

---

(1) أقدم ذِكر لمحمد في الأدب اللاتيني نجده في سجلي حوليات chronicles كتبا في إسبانيا في القرن الثامن بعد وقت قصير من الغزو الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية. السجل الأول هو: الحوليات البيزنطية – العربية 741، ودعيت كذلك لأنها تروي أحداثاً متعلقة بالإمبراطورية البيزنطية وبدايات غزو المسلمين حتى سنة 741. والثاني هو: حوليات المستعربين 754، ودعيت كذلك لأنه من المعتقد أنها كُتبت من قبل بعض المستعربين وامتدت حتى سنة 754. السجلان يبدوان متشابهين، ويعتمدان على مصادر مشتركة. في الوقائع البيزنطية – العربية يقدّم محمد كزعيم لتمرد السرسنيين في الإمبراطورية البيزنطية فغزوا سوريا وجزيرة العرب وبلاد ما بين النهرين. ويوصف محمد بأنه سليل قبيلة نبيلة، وبأنه رجل حكيم (prudens) لديه القدرة على التنبؤ بالأحداث المستقبلية. وتسجّل أنه توفي في السنة العاشرة لحكمه، وأنه في الوقت الذي كُتبت فيه هذه الوقائع كان لا زال مبجلاً من شعبه الذي يعترف به كرسول الله ونبيه. في وقائع المستعربين صوّر محمد كقائد عسكري ونبيّ، لكنها تسجّل أنه حرض على التمرد بالخداع بدلاً عن الفضيلة، كصيغة لمكر محمد الذي سيصبح مباشرة في هذه الوقائع وسماً في سيرته، ومن الجدير بالاهتمام أن وقائع المستعربين تضع شخصية محمد وتعهداته العسكرية في سياق آخروي، ويظهر ذلك من خلال التركيز على الرقم 666 سنه وفاة محمد، وهو ذاته الرقم الذي يرتبط باسم المسيح الدجّال. ـمترجم

(2) Roderici Ximenii de Rada Opera omnia pars III - Historiae Minores Dialogus Libri Vite, cura et studio Juan Fernández Valverde, Juan Antonio Estévez Sola, Turnhout –Brepols Publishers 1999, p. 91. M. Maser, op. cit., p.267.

Cronica Mozarabe de 7541 وقائع المستعربين 754 [1]	Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum IV رودريغو خيمينيث دي رادا، تاريخ العرب
Sarraceni in Era DCLVI, anno imperii Eraclii VII, Siriam, Arabiam e t Mesopotamiam furtim magis Quam uirtute Mammet forum ducatore rebellia adorante sibi uindicant atque non tantum public is irruptionibus quantum clanculis incursationibus perseverando uicinas prouinc ias uastant. Sicque quoquo modo arte fraude non uirtute cunctas adyacentes imperii ciuitates s timulant et postmodum iugum a ceruice axcutientes aperte rebellant. (Cap. 8) المسلمون، في الحقبة 656 (618) في السنة السابعة من حكم هرقل بتشجيع على التمرد من قبل محمد رئيسهم، بالمكر وليس بالقوة استولوا على سوريا والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين، واقتطعوا الأقاليم المجاورة، لم تجرِ غزوات مألوفة، بل غارات عابرة. من ثم بالمكر والاحتيال، وليس بالفضيلة، وأثاروا جميع المدن المجاورة للإمبراطورية. أنه بعد أن ينفضوا عنهم النير، يتمردون علانية. (الفصل الثامن)	Et sic assumptis uiribus interdum furtim interdum publice, prout negoc ium exigebat, Siriam, Arabiam et Mesopotamiam fraude pocius quam uirtute suo proposito inclinauit; et adeo ciuitates et oppida stimulauit, ut iugo seruitutis abiecto iam aperte inciperent rebellare. وهكذا، بعد أن زاد من قوته خلسة في بعض الأحيان وعلانية في بعضها الآخر، وفقاً لما تتطلب(ـه) الأحـوال، واضعاً نصب عينيه سوريا والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين بالغش لا بالفضيلة؛ إلى أن حرض مدناً وحصوناً أنه بعد أن تنفض عن نفسها نير العبودية سيندفعون إلى التمرد علانية.

(1) Crónica Mozárabe de 754, Edición crítica y traducción por José Eduardo López Pereira, Zaragoza 1980.

Tunc in sompnis de re huiuscemodi multa ei uenire ferunt ex monito et ut a muribus heremi inmisericorditer uastaretur; (Cap. 5) Sicque multis pre liis dimicante contra eos The odoro Eraclii Augus ti germano, monitu fratris presagationem murium reminiscentes, ad multiplicandas et colligendas in bello gentes discessit a prelio. (Cap. 9) ثم تأتيه في المنام تلك التحذيرات العديدة والجرذان الصحراوية التي لاترحم. (الفصل الخامس) تيودورو الذي حاربهم في العديد من المعارك، شقيق الإمبراطور هرقل الذي ذكّره بنبوءة الجرذان، تولّى أمر الجيش، وذهب بعيداً ليزيد ويجمع الحشود من أجل الحرب (الفصل التاسع)	Eisdem diebus Eraclius sompniauit quod mures e terra nascentes sibi extrema uestium corrodebant; et tunc misit ampliorem exercitum cum Theodoro fratre suo, set uicti ab exercitu Mahometi ad Eraclium redierunt ampliore m exercitum collecturi. Tunc Eraclius fratri suo The odoro uis ione m murium re ue lauit, e t res taurata multitudine be llatorum, Romanorum e xe rcitus cum Theodoro iuit contra exercitum Machometi. في تلك الأيام حلم هرقل أن جرذاناً خرجت من الأرض وقضمت أطراف ثوبه، فأرسل جيشاً كبيراً يقوده شقيقه تيودورو، ولكن بعد أن هزمه جيش محمد عاد إلى هرقل ليجمع المزيد من القوات. ثم كشف هرقل لأخيه تيودورو عن رؤيا الجرذان، وإثر تجهيز حشود من المحاربين، توجه الجيش الروماني على رأسه تيودورو لملاقاة جيش محمد
Sed cotidie eorum incrassante iugulo ita in Romanis legionibus irruit timor, ut apud Gabatam opidum commisso belligerio exercitus funditus lesus et Theodorus necatus migraret a seculo. (Cap. 9) ولكن إذ تزداد حظوظ أولئك كل يوم، وبالتالي استولى الخوف على جحافل الرومان التي حاربت في معركة بالقرب من مدينة البلاط، فدُمّر الجيش بالكامل وقتل تيودورو.	Set adeo inualuerat rebellium multitudo quod Romane legiones uerentes a facie Mahometi ad Gabatam opidum secesserunt rebellium exercitu subsequente, ubi pugne periculo crebescente subcubuit exercitus Romanorum et, Theodoro interfecto, ceteri strage et gladio perierunt preter paucissimos qui fuga et latebris euaserunt ولكن في لحظة تغلب فيها حشد المتمردين على جحافل الروم الذين كانوا يخشون مواجهة محمد فلجؤوا إلى قلعة جبانا "البلاط"، في حين تبعهم جيش المتمردين حيث، مع ازدياد شدة القتال، أُحبط الجيش الروماني ومات تيودورو، وقضى الآخرون ذبحاً وتقتيلاً، عدا بضعةٍ تمكنوا من الفرار والاختباء.

يمكننا أن نجد وصفاً لمعركة البلاط Gabata [1] أيضاً في أعمال لوكاس دي توي Lucas de Tuy:

Quod cum nunciatum fuisset Theodoro, fratri Eraclei, qui tunc preerat partibus orientis mox apud Gabatam cum magno exercitu obuiam illi preliaturus occurrit; ubi, dum inter se acrius dimicarent, Theodorus interfectus est, et exercitus Christianorum maxima pars occubuit diro gladio et ceteri fuga lapsi sunt[2].

وقيل إنه كان تيودورو، شقيق هرقل، والذي كان عندئذ آمراً على النواحي الشرقية وجاء إلى غاباثا مع جيش عظيم لملاقاة محاربيهم؛ حيث نشبت بينهم معركة كبيرة، فقُتل تيودورو، والجزء الأعظم من الجيش المسيحي تعرض للذبح بحد السيف ومن تبقى قام بالفرار.

قد يكون لوصف الحلم النبوي حول الجرذان مصدره في التقليد العربي، حيث كان هرقل Heraklios معتبراً في بعض المصادر العربية كأول من اعترف بالنبي وبدينه[3].

على امتداد الفصل الرابع، حيث يعرض التقدم العسكري للعرب، لا يمكننا إدراك القصد من الاستصغار. فلم يقدم محمداً Machometus باعتباره أمير اللصوص Princeps Latronum، الذي هو القضيّة المميزة في أدب المواجهة[4]. يعود هذا النهج إلى طبيعة المصدر الذي يستخدمه

---

(1) حول تحديد مكان البلاط Gābiya في مرتفعات الجولان انظر: Maser, op. cit., p. 270, ibídem n.216.

(2) Chronicon mundi, III, 6 [en:) Lucae Tudensis Chronicon mundi, opera omnia tomus I, cura et studio Emma Falque, Corpus Christianorum Continuatio Mediaeualis LXXIV, Turnhout, Brepols Publishers 2003, p. 168.

(3) صحيح البخاري ج1، الكتاب 1، رقم 6.

(4) انظر N. Daniel, op. cit., p. 92 et passim

المؤلف أيضاً. وقائع المستعربين لا تعرض تاريخ السرسنيين كنقيض للنماذج والمعايير المسيحية. بالمقابل، فالصور التي يصفها هذا المصدر متركّزة في مجال الجمعيات السياسية وليس الدينية. يُعرض خلق المسلمين وتفشيهم كتمرد عنيف ضد العالم البيزنطي. وبالإضافة إلى ذلك، تغيب التلميحات حول السلوك في المجال الأيديولوجي أو السياسي للعدو كذلك لا يمكن العثور على أي نوع من التشجيع على قتال الموروس moros[1]، على الرغم من أن فهم ذلك يبقى غامضاً بما فيه الكفاية[2].

ب. 2. 6. حول ارتقاء محمد كمَلك والرؤى الكاذبة

De sublimatione Machometi in regem, et de uisionibus mendaciter excogitatis

منذ بداية هذا الفصل يستمر المؤلف بالاستفادة من وقائع المستعربين Crónica Mozárabe كمصدر:

(1) Ron Barkai, El enemigo en el espejo, Cristianos y musulmanes en la España medieval, Madrid 2007, p. 28

(2) Ferrero Hernández, Cándida, Quis (queat) dinumerare tam inportuna naufragia, passim.

Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum V رودريغو خيمينيث دي رادا، تاريخ العرب	Cronica Mozarabe de 754[2] وقائع المستعربين 754
Et continuo superba uictoria eleuati Damascum adeunt, nobilissimam et regiam Syrie ciuitatem, in qua, attendentes quam per eum adepti fuerant libertatem, eum in regem et principem elegerunt et regni solium concesserunt. وتابعوا، مغرورين بنصرهم العظيم طريقهم نحو دمشق، المدينة الأكثر نبلاً وملوكيةً في سوريا، والتي فيها، إذ رأوا أنه بفضله نالوا حريتهم، اختاروه ملكاً وأميراً عليهم وتخلوا (له) عن عرش المملكة	Tunc Sarraceni de tanta nobilium strage firmiter certi metu excusso apud Damascum splendidissimam Sirie urbem conscendunt in regno. (Cap. IX) ثم إن السرسنيين بعد أن ذبحوا الكثير من النبلاء، تخلوا عن خوفهم وتوجّهوا بحزم راسخ نحو دمشق المدينة السورية الرائعة حيث تولوا فيها المُلك

إن ارتقاء محمد لسدة الملك لم يحدث قط في تاريخ الإسلام، ومع ذلك، تخدم هذه المعلومة مؤلف تاريخ العرب Historia Arabum بشكل جيد، وذلك لإظهار أن بطل الرواية استخدم مذهبه بالفعل في خدمة السياسة. لقد خشي محمد من أن الناس الخاضعين، والذين كانوا في السابق يخضعون للحبر الأعظم الروماني، سيتوافقون للانضمام إلى البلدان المسيحية. وكي لا يحدث هذا قرر اختلاق عقيدة تربط هؤلاء[2]. وفي هذا المقطع يكتب رودريغو

(1) Crónica Mozárabe de 754, op. cit.

(2) Quo adepto, uerens Mahomat ne de populis sibi subiectis, qui Christianis legibus subiacebant, Romano Pontifici obedirent et reconciliati imperio adhererent, legem statuit inuenire, qua quasi funiculis peccatorum dampnandas animas colligaret, cepitque fabulis detestandis seducendas animas demulcere.

بعد أن حقق ذلك، خشي محمد من أن الناس الخاضعين، والتابعين لقوانين المسيحية، سيطيعون الحبر الأعظم الروماني وسيتوافقون للانضمام إلى الإمبراطورية (الرومانية)، فقرر اختلاق قانون، وكأنه حبل لربط نفوس الخطأة التي ستكون مدانة، وبدأ يداعب النفوس التي ستكون مفتونة بخرافات تستحق أن تُبغض. (الفصل الخامس).

خيمينيث دي رادا تصريحاً قوياً ضد العقيدة الإسلامية، ليتيح النظر إلى الانقسام بين تصور محمد باعتباره شخصاً سياسياً وزعيماً روحياً، كما تمت الإشارة إليه من قبل.

ب. 2. 6. 1. سار محمد إلى أورشليم – وصف الرحلة الليلية "الإسراء"

Mahomat Iherusalem est profectus

من أبرز سمات الفصول الستة الأولى من تاريخ العرب Historia Arabum لرودريغو خيمينيث دي رادا هي سهولة إقحام المصادر العربية مع المصادر المسيحية. فبعد شرح الانتصارات العسكرية للنبي، يقوم المؤلف برواية تجاربه الصوفية الكاذبة. ويترك الكلام في هذا المقطع مرة أخرى للمصادر العربية. ويبدو واضحاً تطابق هذا المقطع مع سيرة ابن إسحاق:

Ibn 'Isḥâq, La Vie du Prophète Muḥammad L'Envoyé d'Allâh(...) ابن إسحاق [1]، سيرة النبي محمد	**Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum, V** رودريغو خيمينيث دي رادا، تاريخ العرب
On a apporté à l'Envoyé d'Allâh la Burâq qui était la bête qui avait porté les prophètes avanti lui- et elle mit son sabot à la fin de sa jambe, et Muhammad fut monté dessus. أُتي رسول الله بالبراق – وهي الدابة التي كانت تحْمل عليها الأنبياء قبله، تضع حافرها في منتهى طرفها – فحُمل عليها	repperitur inscriptum quod Mahomat insidebat uni bestie, que dicitur Alborac et preponebat pedem posteriorem super pedem anteriorem, et talibus bestiis Prophete consueuerant insidere. دُوِّن به أن محمداً كان يمتطي دابة اسمها البُراق تطال رجلُه الخلفية رجلَه الأمامية، وكانت عادة الأنبياء أن يركبوا مثل هذه الدابّة

(1) ابن إسحاق،المرجع المذكور سابقاً، vol. I, p. 315.

Et in tali bestia Mahomat Iherusalem est profectus et (...) inuenit ibi Abraham, Moysen et Ihesum et Prophetas alios ex antiquis, qui ibi conuenerant ad adorandum, et optulerunt Mahometo tria uasa: unum lacte, aliud uino, aliud plenum aqua. Et audiuit uocem celitus hoc dicentem: "Si uas aque acceperis, cum tuo populo submergeris. Si uas uini, cum gente tua peribis. Si uas lactis, tu cum tuo populo dirigeris". Et ipse accipiens scifum lactis bibit ex eo. Tunc Gabriel angelus inquit ei: "Nunc es directus tu et omnes qui crediderint legitue".

وعلى ظهر هذه الدابة سار محمد إلى أورشليم، (...) التقى هناك مع إبراهيم وموسى ويسوع وغيرهم من الأنبياء الأقدمين، الذين اجتمعوا هناك للصلاة وأتي إلى محمد بثلاث أوانٍ: واحد فيه لبن، وآخر فيه نبيذ وآخرٍ فيه ماء. وسمع منادياً من السماء يقول: "لو قَبِلت كوب الماء لغرقت مع أمتك. لو قَبِلت كوب النبيذ لغويت مع أمتك. لو قَبِلت كوب اللبن (ـ) ستسير وأمتك على الصراط المستقيم" وأنه هو بنفسه، قَبِل كوب اللبن، وشرب منه. فقال له الملاك جبرائيل: "الآن ستهتدي إلى الصراط المستقيم أنت وكل الذين يؤمنون بشرعك".

et Muhammad voyait les prodiges entre le ciel et a terre, jusqu'à ce qu'il arrivât a Jérusalem. Là, il a vu Ibrâhîm l'ami (de Dieu) Moïse, et Jésus parmi un nombre de prophètes qui étaient réunis pour recevoir. Muhammad fit la prière avec eux comme imâm. Alors on apporta trois vases: un vase où il y a du lait, un vase où il y a du vin, et un vase où il y a de l'eau. L'Envoyé d'A llâh dit: (Quand on me les présenta, j'ai entendu quelqu'un dire: (s'il prend l'eau, il sera rayé lui et sa nation, s'il prend le vin il sera séduit lui et sa nation, et s'il prend le la it, il sera bien guidé, lui et sa nation) Muhammad poursuit: (J'ai pris le vase de lait et j'en bus.) Alors Gabriel m'a dit: (Tu es bien guidé toi et ta nation, ô Muhammad)[1].

ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتي بثلاث أوانٍ: إناء فيه لبن وإناء فيه خمر، وإناء فيه ماء. قال: فقال رسول الله عليه السلام: (فسمعت قائلاً يقول حين عرضت عليَّ إن أخذ الماء فغرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر فغوي وغوت أمته، وإن أخذ اللبن فهدي وهديت أمته. قال فأخذت إناء اللبن فشربت فقال له جبريل: هديت وهديت أمتك يا محمد).

(1) المرجع السابق.

D'après ce qu'on m'a rapporté, l'Envoyé d'A llâh a dit: (Mes deux yeux dorment tandis que mon cœur est éveillé)[1] وكان رسول الله يقول: تنام عيني، وقلبي يقظان.	Et oratione facta cum a Iherosolimis recessisset, quod uiderat discipulis reuelauit et addidit que secuntur: "Cum uidi", inquit, "Abraham, Moysen et Ihesum, occuli corporis dormiebant, set cordis occuli uigilabant; وبعد أن أدّى الصلاة، ولدى عودته من أورشليم، روى لتلامذته ما رآه، وأردف ما يلي: "عندما رأيت" قال: "إبراهيم وموسى ويسوع، كانت تنام عينا جسدي، وعينا قلبي يقظى".

(1) ابن إسحاق، المرجع المذكور سابقاً، vol. I, p. 318

l'Envoyé d'Allâh a décrit, à ses compagnons, 'Abraham, Moïse et Jésus quand il les vit cette nuit-là, en disant: ((Quant à 'Abraham, je n'ai jamais vu un homme plus semblable à lui que moi, et personne n'est plus semblable à moi que lui, - quant à Moïse, c'est un homme brun, grand de taille, peu charnu crépu, le nez aquilin (...), quant à Jésus, fils de Marie, c'est un homme de couleur rougeâtre, ni petit ni grand de taille, ses cheveux ne sont pas crépus, il a beaucoup de grains de beauté dans le visage, comme s'il sortit d'un bain, comme si sa tête fait tomber de l'eau goutte à goutte mais en fa it il n'y a pas d'eau, (...))) [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة، فقال: أما إبراهيم، فلم أرَ رجلا أشبه (قط) بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه، وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة، وأما عيسى ابن مريم، فرجل أحمر، بين القصير والطويل، سبط الشعر، كثير خيلان الوجه، كأنه خرج من ديماس، تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ماء.	et uidi quod Abraham similis erat michi, Moyses autem erat rubeus atque crispus, Ihesus autem, Marie filius , flauus capillis nec longus nec paruus, set dispos itione et statura media coaptatus, et uidebatur aqua ab eius capite prosilire, uerumtamen aqua non erat ibi". ورأيت أن إبراهيم كان يشبهني، ولكن كان موسى أحمر ومجعد، وكذلك يسوع ابن مريم، وشعره أشقر (،) لا هو طويل ولا قصير بل مربوع القامة، تحسب كما لو أن رأسه يقطر ماء، ولكن ليس به ماء .

(1) المرجع السابق.

نظراً للتشابه الواضح بين النصين العربي واللاتيني، وبالأخذ بعين الاعتبار أن المؤلف قد ذكر مرتين «كتابه»[1]، مما يحمل على الاعتقاد أن المؤلف كان يتعامل مع بعض المواد (المترجمة والمجمّعة) مطابقة جداً للأصل عند ابن إسحاق. ومن الممكن الافتراض أن هذا المصدر، الذي يستخدمه المؤلف في الفصل الخامس، فيه من المؤشرات ما يخلق اعتقاداً أن كاتبه هو النبي ذاته[2]. (ملاحظة المترجم[3]). كذلك، جعل محمد هو مؤلف عمل الإسراء

---

(1) In eius secundo libro repperitur inscriptum (...) y Addidit eciam in hoc (...) libro

في كتابه الثاني دُوّن به (...) وأضاف أيضاً في هذا الكتاب (...) (الفصل الخامس).

(2) النسخة اللاتينية عن روايات الإسراء والمعراج انتهى بها الأمر إلى وصف كل الأحداث في كتاب:

prout ego Machometus, dei propheta et nuncius, dixi uobis, maior pars illorum de korayxis crediderunt uerbis, que locutus sum eis, propter ueritatem, cum ipsis dixi de carauana eorum. (...) rogantes me ut sibi hec omnia scribi facerem, ad hoc ut ea possent certe asserere, cunctisque gentibus, prout michi successerant, nunciare. Cap. LXXXV

صعود محمد، La Escala de Mahoma، أمر بترجمته من اللغة العربية إلى اللغة القشتالية واللاتينية والفرنسية، ألفونسو الخامس الحكيم Alfonso X El Sabio، طبعة ومقدمة وملاحظات من قبل José Muñoz Sendino، ص. 487. لمزيد من المعلومات حول الهوية المحتملة لهذا المصدر انظر M. Maser، المرجع السابق، ص. 279_280.

(3) كتاب المعراج هو كتاب إسلامي يُعنى برحلة المعراج، وهو صعود نبي الإسلام محمد إلى السماء والتي تلت قصة إسرائه من مكة إلى الأقصى في القدس. الكتاب مقسم إلى 7 فصول، وقد كتب بالعربية بخط النسخ. يُعتقد أن كاتبه هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري (من 367 إلى 465هـ). تُرجم الكتاب في النصف الثاني من القرن الـ13 إلى اللاتينية والإسبانية، ومن ثم إلى الفرنسية القديمة. يعتقد بعض الباحثين، ومن ضمنهم أسين بلاثيوس وإنريكو سِرولي، أن المنظور الإسلامي للنار كان له أثر على كتاب دانتي (الكوميديا الإلهية) الذي كتبه في القرن14. _ مترجم

والصعود إلى السماء لأنه يخدم هدف مواصلة الاستهزاء بمؤسس الإسلام[1].

ب. 2. 6. 2. أصعدني جبرائيل إلى السماء – وصف المعراج

duxit me Gabriel ad celum - la descripción de al- mi‘rādj

يمكننا أن نرى كيف أن المؤلف لا يزال يستند إلى المصدر ذاته، قصة رؤى محمد[2]:

(1) N. Daniel, op. cit, p. 361.

(2) حول أسطورة المعراج، يوضح أنه اعتمد على صحيح البخاري ومسلم: الحياة الأخرى الإسلامية في الملهاة (الكوميديا) الإلهية.
La escatología musulmana en la Divina Comedia, 2a ed., Madrid – Granda 1943, p. 377, (También en:) Roderici Ximenii de Rada Opera omnia pars III - Historiae Minores Dialogus Libri Vite, cura et studio Juan Fernández Valverde, Juan Antonio Estévez Sola, Turnhout – Brepols Publishers 1999,

Ibn 'Isḥâq, La Vie du Prophète Muḥammad L'Envoyé d'Allâh (...) **ابن إسحاق، سيرة النبي محمد**	**Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum, V** **رودريغو خيمينيث دي رادا، تاريخ العرب**
Un savant m'a rapporté, sur l'autorité de celui qui a transmis ce récit d'après l'Envoyé d'Allâh que celui-ci a dit: (Lorsque je suis entré dans le cie l inférieur, les anges m'ont accueilli. Aucun d'eux ne m'a accueilli que souriant et se réjouissant d'une heureuse nouvelle, disant: (Tu es le bienvenu, je te souhaite le bien.) Puis un autre ange m'a reçu, a dit ce que les autres avaient dit, et a prié pour moi comme ils avaient prié, ma is il n'a pas sour i, et il n'a pas montré de la joie comme eux. J'ai dit à Gabriel: (Qui est cet ange qui m'a dit ce que les autres anges avaient dit ma is qui ne m'a pas souri, et je n'ai pas vu de la joie de sa part comme ce que j'avais vu des autres ?) Gabriel répondit: (S'il avait souri à quelqu'un avant toi ou s'il sourit à quelqu'un après toi, il aurait souri à toi, mais lui il ne sourit pas: C'est Mâlik, le gardien de l'Enfer.) J'ai dit à Gabriel: (Qui a auprès de Dieu le rang qui est décrit pour vous, à savoir : (obéi là-haut et fidèle) (...) -: Veux-tu l'ordonneer de nous monter l'Enfer ?) Gabriel répondit: (Si, certes, ô Mâlik, montre l'Enfer à Muhammad.) Mâ lik a lors écarta la couverture de l'Enfer. Celui-ci bouillonna et monta, de sorte que j'avais cru qu'il allait envahir tout ce que je voyais. J'ai dit à Gabriel: (Ô Gabriel! Ordonne-le de le retourner à sa place.) Gabrie l lui donna l'or dre. (...) Il retourna à sa place d'où il jaillit. J'ai comparé son retour à la tombée de l'ombre. Dès que l'Enfer fut entré d'où il était sorti, Mâlik t ira sur l'Enfer sa couverture.)[1]	Addidit eciam in hoc libro: "Ad primum celum Gabriel me perduxit, et me in isto celo benigne angeli receperunt et cum r isu et gaudio respexerunt dicentes comuniter 'bene, bene', orantes michi prospera et iocunda. Vnus solus angelus inter angelos consistebat qui nec michi orauit prospera neque risit. Cumque quesissem ab angelo quisnam esset, respondit: 'Nunquam risit hic angelus nec ridebit. Hic est angelus custos ignis'. Et dixi angelo: 'Est hic angelus qui a Deo dicitur nimis dilectus?' Et respondit angelus: 'Hic est ille'. Tunc dixi ei: 'Precipite ut ostendat michi ignem'. Iubente itaque Gabriele remouit tegimen olle ignis, et ignis ascendens timui ne omnia quecumque uideram concremaret; et rogaui Gabrielem ut ignis iterum tegeretur, et ignis rediit in locum suum et uidebatur ut sol cum occidit in occasu, et tristis angelus, ut prius fuerat, texit ignem.

(1) ابن إسحاق، المرجع المذكور vol. I, p. 322

وأضاف أيضاً في هذا الكتاب:" أخذني جبرائيل إلى السماء الأولى والملائكة استقبلتني بمحبة وبابتسام وسعادة نظروا إليّ، جميعهم يقولون "خير، خير" ويطلبون لي اليسر والنعمة، وكان هناك أحد الملائكة لم يدعُ لي ولم يضحك إليّ، ولما سألت الملاك من يكون، أجاب: "هذا الملاك لم يبتسم قط ولن يبتسم. هذا الملاك خازن النار". وقلت للملاك: "أهو الذي يقال إنه الملاك الأحبّ إلى الله؟" فقال الملاك: "هو ذا" ثم قلت له: "مُره أن يريني النار". وهكذا، لمّا أمره جبرائيل أن يكشف عن آنيتها، فلمّا فارت حرارتها، حتى خشيت أن تحيل رماداً كل ما أرى، فسألت جبرائيل أن يردّ النار، فرجعت النار إلى مكانها وبدت الشمس عند وقوع الشفق، والملاك العبوس، كما كان من قبل، ردّ على النار غطاءها.

وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا، فلم يلقني ملك إلا ضاحكاً مستبشراً، يقول خيراً ويدعو به حتى لقيني ملك من الملائكة. فقال مثل ما قالوا، ودعا بمثل ما دعوا به، إلا أنه لم يضحك ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره. فقلت لجبريل: يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك (إليّ)، ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منه؟ قال: فقال لي جبريل: أما إنه لو ضحك إلى أحد كان قبلك، أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك، لضحك إليك، ولكنه لا يضحك هذا مالك خازن النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقلت لجبريل: وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم مطاع ثم أمين: ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال: بلى، يا مالك، أرِ محمداً النار. قال: فكشف عنها غطاءها ففارت وارتفعت. حتى ظننت لتأخذن ما أرى. قال: فقلت لجبريل: يا جبريل مره فليردها إلى مكانها. قال: فأمره، فقال لها: اخبي. فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه. فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل حتى إذا دخلت من حيث خرجت، رد عليها غطاءها .

Similiter cum intraui celum inueni hominem uenerandum in sede sedentem, et ostendebantur ei anime omnium mortuorum, et cum uidebat que sibi anime non placebant, ab e is intuitum auertebat improperans eis: 'Peccatrix anima, ab infelici corpore exiuisti'. Et cum ostendebatur ei anima que placebat, applaudens anime inquiebat: 'O felix anima, a bono corpore exiuisti'. Et interrogaui angelum de uiro tante reuerencie quisnam esset, et angelus dixit michi Adam esse, qui bonis sui generis congaudebat et a malis faciem auertebat et penas peccancium ostendebat.

وكذلك عندما دخلت السماء الدنيا(،) وجدت رجلاً وقوراً جالساً فيها، تُعرض عليه أرواح كل الموتى، وعندما كان يرى الأرواح لا يسرّ بها، أبعد ناظريه عنها وقال ناهراً: "روح خطّاءة، خرجت من جسد تعيس." وعندما كان يرى الأرواح التي يسرّ بها، يقول: «روح طيّبة، خرجت من جسد طيب» وسألت الملاك من هو هذا الرجل ذو الوقار؟ قال الملاك: إنه آدم يهنّئ أخيار ذريته ويشيح ببصره عن الأشرار ويُبدي حزنه على الخطأة.

(Lorsque je suis entré dans le ciel inférieur , j'ai vu un homme assis, devant lequel se présentaient les âmes des hommes. Il disait à l'une quand elle se présentait devant lui: (bien), et il s'en réjouit et il dit: une bonne âme sortie d'un bon corps. A une autre il dit quand elle se présente à lui:(ouf!) et il se renfrogne en sa face et dit:(Une âme vile sortie d'un corps vil.) J'ai demandé à Gabriel: (Qui est-ce Gabriel?) Gabriel répondit:(C'est ton grand-père Adam, les âmes de sa postérité lui sont présentée, quand l'âme d'un croyant se présente, il s'en réjouit et dit: Une bonne âme sortie d'un bon corps, si c'est l'âme d'un mécréant, il éprouve de l'aversion à son égard et dit: Une âme vile sortie d'un corps vil.)[1]

لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه أرواح بني آدم، فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيراً ويسرّ به، ويقول: روح طيبة خرجت من جسد طيب. ويقول لبعضها إذا عرضت عليه: أفّ،ويعبس بوجهه ويقول: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك آدم، تعرض عليه أرواح ذريته، فإذا مرت به روح المؤمن منهم سرّ بها. وقال: روح طيبة خرجت من جسد طيب. وإذا مرت به روح الكافر منهم أفف منها وكرهها، وساءه ذلك، وقال: روح خبيثة خرجت من جسد خبيث

(1) ابن إسحاق، المرجع المذكور vol. I, p. 321-322

Puis j'ai vu des hommes qui avaient entre leurs mains une bonne chair grasse, à côte de laquelle il y avait une mauvaise chaire puante. Ils mangeaient de la chair mauvaise et puante et déla issent la bonne chaire grasse. J'ai demandé à Gabriel: (Qui sont ces gens?) Il répondit: (Ce sont les gens qui dé la issent les femmes qui leur étaient licites par Dieu, et qui s'attachaient à celles que Dieu leur interdit.)(1)	Vidi eciam in eodem celo qui carnes pingues et optimas manducabant et alios qui postpositis pinguibus de fetidis comedebant. Cumque quesissem isti homines quinam essent, respondit angelus: 'Primi sunt qui uxoribus legitimis adheserunt, alii qui legitimas non curantes fedis comerciis uetitis mulieribus se dederunt'.
ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيب، إلى جنبه لحم غث منتن، يأكلون من الغث المنتن، ويتركون السمين الطيب. قال: قلت: من هـؤلاء يا جبريل ؟ قـال: هـؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء، ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن.	ورأيت في السماء نفسها الذين يأكلون اللحم الثمين الجيد، وآخرون يلتهمون اللحوم التي صارت منتنة. ولما سألته من هؤلاء الناس، أجاب الملاك: «أما الأوائل فهم من اجتمعوا إلى ما أحلّ لهم من الزوجات، والآخرون هم من يتركون ما أحل لهم من زوجات ويذهبون إلى الفجور الخبيث وما حرم عليهم من النساء».

(١) ا . إسحاق، المرجع المذكور vol. I, p. 321-322

(Puis Gabriel me fit monter au second ciel. Là, se trouvaient les deux fils des deux sœurs: Jésus fils de Marie, et Jean, fils de Zacharie.) Puis il me fit monter au troisième ciel, là il y avait un homme qui ava it l'aspect de la pleine lune. J'ai demandé à Gabiel: (Qui est-ce) Il repondit: (C'est ton frère Joseph, fils de Jacob.)) Puis il me f it monter au quatrième cie l, là il y avait un homme. J'ai demandé à Gabriel: (Qui est-ce?) Il répondit: (C'est Idriss (Enoch). (Dieu dit de lui :) (Nous l'avons élevé à une haute place) (...) Puis il me fit monter au cinquième c iel, là il y ava it un homme mûr, dont la tête et la barbe abondante étaient blanches, je n'ai jamais vu un homme mûr plus beau que lui. J'ai demandé à Gabiel: (Qui est-ce?) Il répondit: (C'est l'homme aimé de son peuple: Hârûn, (Aaron) fils de 'Imrân.) Puis il me fit monter au sixième ciel, là il y avait un homme brun, grand (...). J'ai demandé à Gabriel: (Qui est-ce?) Il répondit: (C'est ton frère Moïse, fils de 'Imrân.) Puis, il me fit monter au septième ciel; là il y avait un homme mûr assis sur une chaise à côte de la porte la Maison Fréquentée (...), où entraient chaque jour soixante-dix mille anges et n'y revenaient qu'au jour de la résurrection; (...) J'ai demandé à Gabriel: (Qui est-ce?) Il répondit: (C'est ton (grand-) père 'Ibrâhîm (Abraham). Puis, il me fit enter dans le Et interrogabant cum gaudio: 'Est iam missus?' Et

Postea duxit me Gabriel ad secundum celum, et inueni ibi Ihesum filium Marie et Hyahya", quem nos Iohanem dicimus, "filium Zacharie qui erant consobrini. Postea Gabriel in celum tertium me induxit, et inueni hominem cuius forma erat ut plene lune, et Gabriel dixit michi: 'Hic est Ioseph filius Iacob Patriarche'. Postea duxit me in celum quartum ubi inueni hominem uenerandum, et Gabriel dixit michi: 'Hic est Aaroho'; et erat ibi cum eo Idriz qui celum ascendit. Post hec duxit me Gabriel in quintum celum, et inueni ibi hominem senem et pulchrum, et dixit michi: 'Hic est Aaron filius Habrahe'. Postea duxit me in sextum celum, et inueni ibi hominem rubeum et procerum, et dixit: 'Hic est Moyses'. Postea fecit me ascendere in VIIm celum, et inueni ibi hominem canum sedentem in sede aperte domus que a pluribus Angelis habitabatur, et intrant in ea LXXa milia Angelorum et non redeunt usque ad diem iudicii, et Angelus dixit michi: 'Hic est Abraham pater uester'.

Paradis. Là j'ai vu une fille (...) dont les lèvres sont rouges noirâtres. Quand je l'ai vue, elle me plut. Alors je dis à cette fille: (A qui es- tu destinée?) Elle repondit: (A Zayd b. Hårithah.) L'Envoyé d' Allâh announça cette bonne nouvelle a Zaid b. Hårithah. (…) Gabriel, chaque fois qu'il fit monter l'Envoyé d'Allâh à un cie l, et qu' il demanda la permission d'y entrer, on lui demanda: (Qui est-ce, ô Gabriel?) Gabriel répondit: ('est Muhammad.) Alors on demandait: (Est-ce qu'il est ressuscité? Gabriel répondait (oui)! On disait alors: que Dieu le salue! C'est un frère et un compagnon. Jusqu'à ce qu'il le fit monter au septième ciel. Puis Gabriel le fit monter auprès de son Seigneur.[1]	Post hec introduxit me in paradisum, et inueni ibi puellam formosam que multum placuit in occulis meis et interrogaui eam cuia esset, que respondit: 'Hic seruor Zayt, filio Hyarith'; et cum descendissem de paradiso nunciaui hec Zayt, filio Hyarith, qui de meis consortibus unus erat. Et in omnibus celis ad quos ascenderam, interrogabant Ange li Gabrielem, et ipse dicebat eis: 'Hic est Mahomat'. Et interrogabant cum gaudio: 'Est iam missus?' Et pse inquit: 'Iam est missus'. Et ipsi omnes orabant ut Deus adderet michi uitam tanquam fratri suo et amico. Postquam autem transieram septem celos, Gabriel me preposuit ante Deum.

(1) ابن إسحاق، المرجع المذكور vol. I, p. 323-324

ثـم أصعدني جبرائيل إلـى السماء الثانية ووجـدت هناك يسوع ابـن مريم، ويحيى، "الذي ندعوه نحن يوحنا"، بن زكريا، اللذين كانا أقرباء. ثم أصعدني جبرائيل إلى السماء الثالثة ووجدت هناك رجلاً صورته كصورة القمر البدر، وقال جبرائيل: "هذا يوسف بن البطريرك يعقوب". ثم أصعدني إلى السماء الرابعة حيث وجدت رجلاً يستحق التبجيل وقال جبرائيل: "هذا هو Aaroho" ؛ وكان معه، إدريـس الـذي صعد إلى السماء. بعد ذلك، أصعدني جبريل إلى السماء الخامسة، ووجـدت هناك رجلاً كهلاً وجميلاً، وقال: "هذا هارون بن إبراهيم". ثم أصعدني إلى السماء السادسة، ووجدت هناك رجلاً أحمر وقوياً، وقال: "هذا هو موسى". ثم أصعدني إلى السماء السابعة، ووجـدت هناك رجلاً أشيب جالساً على كرسي إلى بـاب البيت الواسع والمعمور بآلاف الملائكة، يدخله سبعون ألـف مـلاك ولا يرجعون فيه إلى يـوم القيامة، وقـال لي الملاك: "هذا أبوك إبراهيم". ثم أدخلني إلى الجنة، ووجدت فيها فتاة جميلة أحبتها عيناي وسألتها لمن تكونين، أجابت:"محفوظة لزيد بن حارثة". وبعد أن نزلت من السماء بشرت بها زيداً أحد صحابتي. وفي كل السماوات التي صعدت إليها، كانت الملائكة تسأل جبرائيل وهو يقول لهم: "هذا محمد". ويسألونه مسرورين: "أوَقد بُعث؟" فيقول: "نعم قد بُعث". فيبتهلون إلى الله أن يهب لي الحياة كأخ وصاحب، عند الوصول إلى السماء السابعة، أخذني جبرائيل إلى الله.

ثم أصعدني إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة: عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، قال: ثم أصعدني إلى السماء الثالثة، فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر؟ قال: قلت: من هذا يا جبريل؟ قـال: هذا أخوك يوسف بن يعقوب. قـال: ثم أصعدني إلى السماء الرابعة، فإذا فيها رجل فسألته: من هو؟ قـال: هذا إدريـس - يقول رسـول الله: ورفعناه مكاناً علياً - (...) ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية، عظيم العثنون لم أرَ كهلاً أجمل منه (...) قلت: من هذا يا جبريل؟ قال هذا المحبب: في قومه هارون بن عمران. قال: ثم أصعدني إلى السماء السادسة فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى كأنه من رجال شنوءة، فقلت له من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران. ثم أصعدني إلى السماء السابعة، فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه إلى يوم القيامة. لم أر رجلاً أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه. (...) قلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم. (...) ثم دخل بي الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألتها: لمن أنت؟ وقد أعجبتني حين رأيتها؟ فقالت: لزيد بن حارثة، فبشر بها رسول الله زيد بن حارثة. (...) جبريل لم يصعد به إلى سماء من السموات إلا قالوا له حين يستأذن في دخولها: من هذا يا جبريل؟ فيقول: محمد؟ فيقولون: أوَقد بعث؟ فيقول: نعم؟ فيقولون: حياه الله من أخ وصاحب. حتى انتهى به إلى السماء السابعة، ثم انتهى به إلى ربه.

L'Envoyé d'Allâh dit: (Je commençai à retourner lorsque je passai par Moïse fils de 'Imrân – et quel bon ami pour vous était-il! – Il m'a demandé: (Combien de prières sont ordonnées pour toi ?) Je répondis: (Cinquante prières chaque jour.) Il dit: (La prière est lourde, et ta nation est faible. Retourne donc à ton Seigneur et prie-le de la rendre plus légère aussi bien pour toi que pour ta nation. Je suis retouné à mon Seigneur et je le prie de la rendre plus légère (...). Mon seigneur en a diminué le nombre de dix. Je partis et je passai par Moïse;; il m'a dit ce qu'il m'avait dit auparavant. Je suis retourné à mon seigneur, je fis la même demande, il a diminué le nombre d'un autre dix ;; je suis parti, je passai par Moïse, il m'a dit la même chose. Je retournai à mon seigneur, qui diminua le nombre d'un autre dix. Moïse continua à me dire la même chose, et moi je continuai de retourner à mon seigneur, qui en diminua le nombre d'un autre dix- jusq'à ce que le nombre fût réduit à cinq prières par jour et nuit. (...) Celui qui fait (ces cinq prières) animé de la fin en elles, et en vue d'elles-mêmes, aura la récompense de cinquante prières (qui avaient été ordonnées).[1]

Et mandauit michi ut quolibet die dicerem La orationes. Ego autem conuersus ad Moysen, amicum meum optimum, dixi ei qualiter Deus michi mandauerat ut quolibet die dicerem La orationes, set tot orationes graues essent ad dicendum, cum gens conuersa nouiter non posset tantum honus cot idie tolerare. Et Moyses conuersus ad Deum optinuit ut X orationes relaxarentur; et iterum a me rogatus optinuit alias X, et sic paulatim descendens omnes abstulit preter quinque: ita quod quicumque quolibet die Ve orationes fecerit, remunerabitur quasi pro quinquaginta".

ففرض عليّ في كل يوم تلاوة خمسين صلاة. فرجعت إلى موسى، أفضل صاحب لي، وأخبرته ما فرض الله عليّ من تلاوة خمسين صلاة في اليوم، صلوات كثيرة لأمة حديثة العهد بالإيمان ستكون ثقيلة. لن تقدر على هذا العبء الثقيل. فرجع موسى لعند الله فأدرك أن ينقصها عشراً. ثم سألته مثل ذلك، فأدرك عشراً أخرى، وهكذا أنقصها كلها إلّا خمساً ؛ فمن أدّى خمس صلوات، تحتسب (له) خمسين.

قال رسول الله فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم الصاحب كان لكم، سألني كم فُرض عليك من الصلاة فقلت: خمسين صلاة كل يوم؛ فقال: إن الصلاة ثقيلة، وإن أمتك ضعيفة، فارجع إلى ربك، فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك. فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني عشراً. ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك؛ فرجعت فسألت ربي، فوضع عني عشراً. ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك، كلما رجعت إليه، قال: فارجع فاسأل ربك، حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عني، إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة. ثم رجعت إلى موسى، فقال لي مثل ذلك، فقلت: قد راجعت ربي وسألته، حتى استحييت منه، فما أنا بفاعل. فمن أدّاهنّ منكم إيماناً بهن، واحتساباً لهن، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة	

رحلة النبيّ الليلية (الإسراء) وصعوده إلى السماء هما جزء مهم جداً من التقليد العربي[1]. لكن نهج رودريغو خيمينيث دي رادا كان مع ذلك مخالفاً له. فما هو مفهوم في التقليد كتأكيد على دور محمد

(1) لمزيد من المعلومات عن هذا التقليد في الثقافة العربية، انظر:
Cisneros, Fernando, El libro del viaje nocturno y la ascensión del Profeta Kitâb al-isrâ' wa-l-mi'râj li-l-Imâm Ibn 'Abbâs / estudio introductorio y traducción, El Colegio de México, Centro de Estudios de Asia y África, México, D. F., 1998, en el contexto cultural de la península ibérica: La Escala de Mahoma, traducción del árabe al castellano, latín y francés, ordenada por Alfonso X El Sabio, edición, introducción y notas por José Muñoz Sendino, ed. el Ministerio de Asuntos Exteriores (Dirección General de Relaciones Culturales), Madrid 1949.

كنبي ومرسل من الله، إنما هو مخالف له تماماً في السياق المسيحي. وكان على القارئ المسيحي في القرون الوسطى أن يفسّر أسماء الشخصيات البيبلية (الكتابية) الواردة في الرواية، إضافة لرجال الكنيسة، والمجدفين. ولم يدع خيمينيث دي رادا أي شك في إمكانية تصديق مثل هذه الروايات، التي لم تكن غير حقيقية فقط، بل لها نوايا خبيثة، وتُروى لأجل التلاعب بالناس وربطهم بأكاذيب عقيدة مزيفة[1].

من ناحية أخرى، يمكننا أن نلاحظ، كونه كان وفياً للمصدر العربي، أنّ رودريغو خيمينيث دي رادا يضيع فرصة رائعة ليُظهر بطل الرواية باعتباره شهوانياً ولا يكبح شهواته. ويذكر الكاتب في الفصل الخامس اسم زيد Zayt، صاحب النبي[2]، كذلك أيضاً اهتم كتّاب أدب المواجهة المسيحيون في السياق - المرتبط بتلك الفتاة

(1) Mahomat autem anno etatis sue XLo apud Mecham frecuencius morabatur, et ibidem predi cta omnia et multa alia ridicula et nefanda sibi dicta a Gabriele Angelo menciebatur ut populos, quos ad rebellionem concitauerat, secte sue mortis funiculis colligaret; et ut uirus .sue malicie occultaret, predicabat omnibus unum Deum

ولمّا بلغ محمد الأربعين من عمره كان يمكث في مكة لفترات طويلة، وهناك كان يكذب بأن ما يبشر به وكثيراً من الأمور (الأخرى) السخيفة والمشينة قد قيلت له من الملاك جبرائيل، ليصفّد الشعوب، التي دفعها إلى التمرد، برباط طائفته المميت. وليخفي سمّ شروره، بشّر الجميع أن لا إله إلّا إله واحد (الفصل الخامس).

(2) Post hec introduxit me in paradisum, et inueni ibi puellam formosam que multum placuit in occulis meis et interrogaui eam cuia esset, que respondit: 'Hic seruor Zayt, filio Hyarith'; et cum descendissem de paradiso nunciaui hec Zayt, filio Hyarith, qui de meis consortibus unus erat.

ثم أدخلني إلى الجنة، ووجدت فيها فتاة جميلة أحبتها عيناي وسألتها لمن تكونين، أجابت: "محفوظة لزيد بن حارثة". وبعد أن نزلت من السماء بشرت بها زيداً أحد صحابتي. (الفصل الخامس).

الجميلة. زيد بن حارثة عبد شاب، أهدته له زوجته خديجة، والذي قرر النبي عتقه وتبنيه[1] ثم أصبح زيد صاحباً للنبي وواحداً من المسلمين الأوائل[2]. طلب النبي لزيد يد زينب بنت جحش Zaïnab bint Djahch، وهي امرأة، لم يرها محمد حتى يوم زفافهما. إلا أنه عندما رآها مرّة عن طريق الصدفة ومن دون حجاب، وقع في غرامها. وعندما علم زيد بمشاعر محمد أراد أن يطلق زوجته ليتمكن النبي من تزوّجها. مع ذلك، فإن محمداً لم يشأ الإقدام على ذلك حتى يشهد نبوءة تجيز له أن يتزوج امرأة ابنه بالتبني[3]. وإثر ذلك نزلت عليه الآيات التالية:

Cuando Dios y su Enviado han decretado un asunto, ni hombre ni mujer creyentes tienen elección en su asunto. Quien desobedece a Dios y a su Enviado se extravía de modo manifiesto.

Recuerda cuando decías a quien Dios ha colmado de bienes y tú le has favorecido: [¡Retén a tu esposa y teme a Dios!)) Ocultabas en tu interior lo que Dios iba a mostrar; temías a los hombres, mientras que Dios era más digno de que le temieses. Cuando Zayd hubo decidido el asunto y se divorció, te casamos con ella, para que los musulmanes, al casarse con las esposas de sus hijos adoptivos, no cometan pecado, si éstos han decidido divorciarse de ellas.[4]

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ

---

(1) . Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, p. 68.

(2) المرجع السابق ص. 79_78.

(3) المرجع السابق ص 226_225.

(4) سورة الأحزاب 36، 37

وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾

كانت هذه القصة مفضلة عند الكتّاب المسيحيين في العصور الوسطى. وكانت الخصائص التي استُخلصت منها هي زنى المحارم، عدم القدرة على مقاومة الإغـراء الجسدي، استخدام دوره كنبيّ لفرض العقاب الجرمي إلـخ...[1] لكننا في قصص التاريخ العربي Historia Arabum لم نجد أدنى صدى لهذا التقليد التفنيدي. ويلقي المؤلف الضوء على شهوانية محمد في الفصل الثاني[2]، إلاّ أنه وعلى امتداد الفصل الخامس لم يهاجم سوى إرادة بطل الرواية التلاعب بمن آمن به من خلال الرؤى الكاذبة والمجدّفة.

بعد قصة المعراج يمكن ملاحظة النية على توكيد الغرض الحقيقي من تلاعب محمد في وصف جداله مع القرشيين Coraxi. فالنبي الكذاب يوشك على التبشير أنه لا يوجد سوى إله واحد، وهو ما يعارض ظرف تعددية الآلهة في مكة. ويحاول بطل الرواية ربط مواطنيه بتبشيره الكاذب، إلا أنهم يريدون الحفاظ على شعائر آبائهم. ويخلص الكاتب في الفصل الخامس إلى طرح موضوع الجدال مع القرشيين في سياق الصراع بين الأديان[3].

---

(1) N. Daniel, op. cit., p. 97-99.

(2) انظر الجزء ب. 2.3.2.

(3) Mecha autem tenebatur cultu plurium ydolorum. Cognatio autem Coraxi conuenerunt in domum Abutalib, qui erat patruus Mahometi, conquerentes de eo quod eorum legem et deos patrios aboleret, set quod ipse et ipsi in suis ritibus remanerent. Et iam Mahomat habebat aliquos de suis consanguineis conniuentes.

ذلك الحين كانت مكة خاضعة لعبادة أوثان عدّة. ثم اجتمعت قبيلة قريش في بيت أبي =

من الصحيح تاريخياً أن فترة صعود النبي هي ذاتها الفترة التي تعاظمت فيها عدائية قريش ضد تعاليم محمد[1]. ويمكننا العثور على ما يطابق ذلك في مقطع من سيرة ابن إسحاق، يتزامن حدوثه مع قصة المعراج[2].

إن المصطلح conniuentes هو اسم الفاعل 'الحاضر' للفعل conivueo أي nixi / niui الذي يعني (التظاهر، غض النظر)؛ مما يجعلنا نفهم كيف تمت ترجمة المصطلح القرآني: المنافقون

On traduit d'ordinaire Hypocrites, et c'est parfois exact; mais Hésitants, Politiques, serait plus vrai. Ce sont les Médinois qui derrière 'Abdallâh b. Ubayy pratiquent, mais n'ont ni la foi, ni une confiance solide en le succès final de l'Islam. On va les retrouver souvent dans la société médinoise.[3]

وعادة ما تترجم 'منافقين'، وهذا صحيح في بعض الأحيان؛ فعلى سبيل الحصر، سياسياً، من شأنه أن يكون صحيحاً. إنهم المدنيون الذين هم خلف عبد الله بن أبيّ، والذين يمارسون الشعائر لكن ليس لديهم إيمان أو ثقة بالنجاح النهائي للإسلام. وسوف نجد كثيراً منهم غالباً في مجتمع المدينة.

لدعم هذا الاقتراح يمكن الاقتباس من خوان فرنانديز فالفيردي Juan Fernández Valverde، الذي يزعم أن بعض المقاطع في تاريخ العرب Historia Arabum لا تترك أي شك حول سوء فهم بعض المصطلحات، وأن الضبابية أو عدم دقة المعنى في بعض الفقرات لا يمكن تفسيره إلا بسوء ترجمة المصدر العربي[4].

= طالب، الذي كان عمّ محمد، تشكو من أنه يحرّم شرائعها وآلهة آباءـ(ها)، إلّا أنه ومن معه ظلوا على طقوسهم. ولكن كان لمحمد بعض من أقاربه المستترين، يغضون الطرف.

(1) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, p. 97.

(2) ابن إسحاق، المرجع المذكور سابقاً vol. I, p. 332

(3) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, p. 113.

(4) Roderici Ximenii de Rada Opera omnia pars III - Historiae Minores Dialogus

ب. 2. 7. حول النقاش مع القرشيين عن الشريعة وعن مماته

De disceptatione legis cum Coraxinis et morte eius

يمكن ملاحظة أن حلقة نزاع محمد[1] مؤسسة على شهادة ابن إسحاق:

(...) accompangnés d'autres notables de leur tribu, et ils dirent :O Abu Talib! Ton rang parmi vous est ce que tu connais. Il t'arrive ce que tu vois. Nous craignons pour toi. Tu sais ce qu'il y a entre nous et ton neveu. Appelle-le, dresse un compromis entre nous et lui ainsi conçu: qu'il nous laisse tranquilles et que nous le laissons tranquille, qu'il nous laisse avec notre religion, et que nous le laissions avec sa religion.

Libri Vite, cura et studio Juan Fernández Valverde, Juan Antonio Estévez Sola, Turnhout –Brepols Publishers 1999, p. 27.

(1) Predictus autem Abutalib conuocauit Mahomat et alios Coraxinos super lege et ydolis querelantes, et dixit ei Abutalib: "Ecce isti habent aliqua aduersum te". Mahomat autem respondit ei: "Sustine me modicum perorare". Tunc ille: "Non est, inquit, Deus alius preter unum, et recedite ab ydolis que hactenus coluistis". Tunc illi manus manibus collidentes indignati animis responderunt: "Cur deos nostros uis a patria extirpare?". Et dixerunt: "Iste homo a proposito non cessabit. Set maneat in sua lege et nos ritus patrios obseruemus". Et tunc ab inuicem recesserunt. Abutalib autem dixit Mahomat: "Bona uidetur oratio quam dixisti,» Tunc Mahomat: "Dic, inquit, uerbum quod predicaui et conuertere ad legem meam". Abutalib autem respondit ei: "Libenter facerem, set diceret genus nostrum quod metu tui et timore mortis talia proferebam, ."nec uolo perdere gratiam propinquorum

ثم دعا أبو طالب المذكور محمداً وقرشيين آخرين ليتحاجّوا حول الشريعة و (نبذ) الأوثان، وقال له أبو طالب، "إنّ هؤلاء لديهم بعض الأمور ضدك". فأجابه محمد: "دعني أبيّن أمراً" ثم أردف: "لا إله إلا الله وحده، وانبذوا الأصنام التي لا زلتم تعبدونها" فصفق هؤلاء ضاربين كفاً بكف، وأجابوا ونفوسهم تستشيط غضباً: " لما تريد أن تنتزع آلهة أوطاننا؟" وقالوا: "هذا الرجل لن يرتدع. فليبق على شريعته ونحافظ نحن على دين آبائنا (). ثم عادوا جميعاً. ثم قال أبو طالب لمحمد: «لقد قلتَ كلاماً حسناً". ثم قال محمد: "لقد قلت ما أبشر به وآمنْ بشريعتي". ثم أجاب أبو طالب: "لوددت أن أفعل (ـه)، لكن قومنا سيقولون إنني استسلمت لذلك خوفاً منك ومن الموت، كما لا أريد أن أفقد نعمة الأقارب".

Abu Talib appela l'envoyé d'Allah qui vint chez lui. Abu Talib lui dit: (mon neveu! Voici les nobles de notre people ils se sont réunis pour toi afin de te donner et de prendre de toi.)L' Envoyé d'Allâh dit: Bien! Vous me donnerez un seul mot, (...) (...) L'Envoyé d'Allâh dit: Vous direz: il n'y a de Dieu qu'Allâh, et vous renoncerez à ce

vous adorez en dehors de lui. Ils battirent des mains et dirent: (Ô Muhammad!Tu veux faire de tous des dieux un seul Dieu! Ton affaire est tout à fait étrange!) Puis ils se dirent: (Cet homme ne vous donnera rien de ce que vous voulez. Partez donc, et continuez à suivre la religion de vos pères, jusqu'à ce que Dieu tranche entre vous et lui.) Puis ils se dispersèrent.

Abu Talib dit alors à l'envoyé d'Allah: (O mon neveu! Par Dieu, je cois que tu ne leur as pas demandé quelque chose d'enorme.) Cette parole d'Abu Talib incita l'Envoyé d'Allâh à chercher à le convertir à l'Islam. Il se mit à lui dire: (O mon ancle, dis-le toi-meme, cela me permettra d'implorer pour toi le pardon, au jour de la résurrection.) Abu Talib, voyant la sollicitation de l'Envoyé d'Allâh, lui répondit: (Ô mon neveu! je jure par Dieu que si ce n'était pas la crainte que toi et les fils de ton père seraient insultés après ma mort, et que Quraysh croirait que je ne l'avais pas prononcé que par peur de la mort, je l'aurais prononcé. Je ne le dirai que pour te faire plaisir.)[1]

مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب، فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت، وقد حضرك ما ترى، وتخوفنا عليك، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك، فادعه فخذ له منا، وخذ لنا منه ليكفّ عنا، ونكفّ عنه وليدعنا وديننا، وندعه ودينه.

فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال: يا بن أخي: هؤلاء أشراف قومك، قد اجتمعوا لك، ليعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله صلى

(1) ابن إسحاق،المرجع المذكور سابقاً، vol. I p. 332_333

الله عليه وسلم: نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم... قال: فصفقوا بأيديهم ثم قالوا: أتريد يا محمد أن تجعل الإلهة إلهاً واحداً. إن أمرك لعجب. ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون فانطلقوا، وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال ثم تفرقوا.

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: والله يا بن أخي، ما رأيتك سألتهم شططاً. فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في إسلامه فجعل يقول له: أي عم فأنت فقلها، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة. قال: فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا بن أخي، والله لولا مخافة السبة عليك، وعلى بني أبيك من بعدي، وأن تظن قريش أني قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها.

ومن المؤكد أنه لا يمكن الجزم بأن المقطع قيد البحث كان اقتباساً مباشراً عن ابن إسحاق، لكن نعم اعتمد على مصدر وسيط استند إلى السيرة المذكورة أعلاه. إن هيكلية المقطعين متطابقة: طرح الصراع، دور أبي طالب كوسيط، محاولة محمد جعل عمه يعتنق الإسلام والردّ السلبي لهذا الأخير. ومع أن رفض الإسلام كان متمايزاً في كلا النصين. (في النص العربي نقرأ أن أبا طالب يعتذر مدّعياً قلقه على ابن أخيه، بينما نقرأ في النص اللاتيني بأن العذر مردّه الخوف من فقدان تعاطف بقية أفراد القبيلة). فهذا التفصيل يمكن أن يعزى إما إلى سوء في الترجمة أو محاولة لتبسيط الأصل.

مشكلة جعل أبي طالب يعتنق الإسلام كانت واضحة في التقليد العربي. فقد مات بعد عشر سنوات من بدء الوحي إلى النبيّ، في سنة 619، ولم يشأ أن يعتنقه، والتقليد المؤيّد لم يقدر تقبّل نهاية بهذا الشكل

المحزن لوليّ أمر النبي[1]. لذلك فمن المحتمل أن يكون هناك تفسيرات أخرى للأصل العربي تشرح لماذا لم يستطع عمّ النبي أن يصبح مؤمناً.

ومع ذلك، فإن كاتب سيرة محمد المدرجة في الفصول الأولى من تاريخ العرب Historia Arabum، لا يركّز على شخصية عمه، بل يستخدم الحلقة حول الجدال الفقهي ليعرض تقييمه للعقيدة ولتبشير محمد[2]. ويفضل رودريغو خيمينيث دي رادا إسكات المحتوى المشين للقرآن ليخبرنا فقط عن تقسيم الكتاب إلى سوَر.

---

(1) Maurice Gaudefroy-Demombynes, Mahomet, p. 65.

(2) Extunc Mahomat cepit sectam suam publice predicare et ad rebellionem populos concitare. Et aliquos seducebat quia unum Deum tantummodo predicabat; et menciens Gabrielem angelum ad se missum, que deceptis populis predicabat, dicta sibi ab angelo asserebat. Et frequenter in contemplationem inuisibi lium se rapi simulans quasi destitutus sensibus se in terram ut exanimem prosternebat, et stulti populi loqui cum angelo extimabant. Demum autem quasi restituto spiritu precepta aliqua proferebat que sub uno compacta capitulo Zoharas appellabat; et per tales Zoharas distinguitur liber eius qui dicitur Alcoranus, in quo tot ignominiosas Zoharas predicauit, quod puderet dicere, nedum sequi. Quas tamen uiru diabolico debriati et libidine dulcorati infelices populi receperunt, et adhuc in sua perfidia permanent obstinati nec legem uite et discipline desinunt infestare. Mahomat itaque fraudibus et incursibus et infami doctrina corda gencium in sua pertinacia solidauit.

ومنذ ذلك الحين، بدأ محمد التبشير بطائفته علانية واستثار الناس على التمرد. أغوى البعض، لأنه إذ بشّر بإله واحد؛ كاذباً أن الملاك جبرائيل قد بُعث إليه، معلناً أن ما كان يبشر به الناس المخدوعين، قد قاله الملاك. وكان (محمد) يتظاهر في بعض الأحيان أنه مكره على التأمّل في أمور باطنية كما (لو أنها) بعيدة عن المحسوس، كان يلقي بنفسه كالميت، فيظن الناس الأغبياء أنه يتحدث إلى الملاك. وأخيراً، بُعيد أن يستعيد الروح، يتلفظ ببعض التعاليم التي تُجمع الواحدة تلو الأخرى لتصبح سوراً؛ بهذه السور يُعرف كتابه الذي يدعى القرآن، والذي على مداه بشّر بسور مخزية جداً، فيها ما يُخجل بما لا يُحصى، لذا لا يمكن اتّباعها. مع ذلك، فقد اتبعها الناس التعساء السكارى بالسّم الشيطاني المحلّى بالشهوة، ولا يزالون متشبثين بغدره (كفره) ولا يتخلون عن اتّباع سنن حياته وإطاعته.

أما بالنسبة لتأريخ وملابسات ممات محمد، فيستخدم رودريغو خيمينيث دي رادا وقائع المستعربين Cronica Mozarabe وكتاب دفاع الشهداء Liber Apologeticus Martyrum ليولوجيوس القرطبي[1] Eulogius[2].

(1) انظر:
n. 32/33 (en:) Roderici Ximenii de Rada Opera omnia pars III - Historiae Minores Dialogus Libri Vite, cura et studio Juan Fernández Valverde, Juan Antonio Estévez Sola, Turnhout –Brepols Publishers 1999, p.96.

(2) القديس يولوجيوس القرطبي (توفي في 11 مارس 859) كان كاهناً إسبانياً قام بتشجيع بعض من شهداء قرطبة على أن يشهدوا بإيمانهم علانية، وكتب سير القديسين. أعدمه المسلمون لتستره على فتاة كانت قد ارتدت عن الإسلام وهي القديسة St. Leocritia التي قطعوا رأسها بعد أربعة أيام من إعدامه، وقاموا بإلقاء جسدها في البحر. عاش في عهد خلفاء قرطبة: عبد الرحمن الثاني ومحمد بن عبد الرحمن في منتصف القرن التاسع. -مترجم

Cronica Mozarabe de 754[1] وقائع المستعربين 754	Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum VI رودريغو خيمينيث دي رادا، تاريخ العرب
(...) regnumque apud Damascum, prorheta forum Mammet innitente, excusso iam Romani nominis metu, publice collocant. Post cuius Mammet decem regni expletis annis in era DCLXVI, anno imperii Eraclii XVII, iam dictum Abubaccar de tribu ipsa in loco prioris subrogant (...) (...) بعد أن مَلَكَ دمشق، وتداولت نوايا النبيّ محمد، وزالت الهيبة عن الاسم الروماني في الأماكن العامة، وبعد عشر سنوات من مُلكه في دمشق، في الحقبة 666 والعام السابع عشر لإمبراطورية هرقل، وضعوا مكانه، كما سبقت الإشارة إليه، أبا بكر، وهو من القبيلة نفسها	Annis aute m X exple tis ex quo apud Damas cum regni susceperat principatum, moritur et sepultus est in inferno, era DCLX sexta, anno Eraclii XVIIo et Suyntille regis Gothorum VIIo وهكذا بعد مضيّ عشر سنوات لاعتلائه إمارة مملكة دمشق، مات وقُبر في الجحيم، في الحقبة الستين XVII° DC السادسة، وفي العام السابع عشر لهرقل، والسابع لسونتيلا ملك القوط.

عبارة مماثلة تقريباً لـ مات وقُبر في الجحيم moritur et sepultus est in inferno نجدها في سيرة محمد المتضمَّنة في عمل ليولوجيوس:

Obtinuitque praedictus Mahomat nefandus propheta principatum annis X, quibus expletis mortuus est et sepultus in inferno.[2]

بعد مضي عشر سنوات فإنّ النبيّ الأثيم محمداً السالف الذكر مات في النهاية وقُبر في الجحيم.

(1) وقائع المستعربين، المرجع المذكور سابقاً Crónica Mozárabe de 754

(2) Eulogi Liber Apologeticus Martyrum 16, 7-8 (en:) Corpus Scriptorum Muzarabicorum II, ed. Ioannes Gil, Madrid, Instituto (Antonio de Nebrija), 1973, p. 484.

ج. مقارنة موضوعاتية بين ماركوس دي توليدو،المقدمة القرآنية، وخيمينيث دي رادا،تاريخ العرب1-5

ج. 1. التداخل الموضوعاتي:

Jiménez de Rada, Historia Arabum خيمينيث دي رادا، تاريخ العرب	Marcos de Toledo, Prologus Alcorani ماركوس دي توليدو، المقدمة القرآنية
Et cum Arabia et Affrica inter fidem Catholicam et heresim Arrianam et perfidiam Iudaycam et ydolatr iam diuers is studiis traheretur , Arabs predictus Aly (...) inter fidem Catholicam et Iudeorum perfidiam fluctuabat. (Cap. I) ومنذ أن كانت الجزيرة العربية وأفريقيا تتنازعهما عدة قوى بين الإيمان الكاثوليكي، والهرطقة الآريوسية، والغدر اليهودي والوثنية، كان ذلك العربي المذكور، علي ... ومتقلباً بين الإيمان الكاثوليكي والغدر اليهودي.	Cum igitur Mafometus ex Arabia demonum insordidata culturis extitisset oriundus et ex parentibus ydola colentibus, tamen ex stirpe regia descendit. (26-27) على الرغم من أن محمداً قد ولد في الجزيرة العربية، الموبوءة بالعبادات الشيطانية و (ولد) لوالدين يعبدان الأصنام، ومع ذلك، فقد انحدر من السلالة المالكة.

Qui, cum (1) fuisset expertus quod tam Iudei quam Chris tiani dis pari cum profess ione Deum colerent et in Veteri et Nouo Testamento fuisset instructus, quamtocius in Arabiam remeauit. (40-43) sed ut ex utraque legem terciam conderet, (2)legem que in quibusdam articulis cum Veteri et Nouo Testamento participium haberet in quibusdam autem obseruantiis ab utroque discreparet. (63-65) عندما علِم أن كلّاً من المسيحيين واليهود يعبدون الإله ذاته لكن بتعاليم متمايزة، وما إن تلقى تعاليم العهدين القديم والجديد، سرعان ما هرع عائداً إلى الجزيرة العربية. استنبط من الشريعتين شريعة ثالثة، تكون مادتها جزءاً من العهدين القديم والجديد. ومع ذلك، في أحوال أخرى كان يعارض أحدهما أو الآخر.	et iste tradidit eum predicto geneatico instruendum, qui (1) instruxit in naturalibus scientiis (1) e t lege Catholica e t Iudayce pe rfidie docume ntis , (2) unde et ipse postmodum aliqua de fide Catholica, aliqua de lege ue te ri in s ue secte s ubs idium usurpauit. (Cap. II) الذي وضعه في رعاية ذلك العرّاف المذكور ليتولّى تعليمه (؟!) والذي درّسه علوم الطبيعة والقانون الكاثوليكي و (كتب) الكفر اليهودي، حيث استلّ هو ذاته بعض الأمور من الإيمان الكاثوليكي، والبعض الآخر من الشريعة القديمة لصالح طائفته.
homines sicut iam in aliis regionibus experiencia didiscerat ad colendum unum Deum inuitaret. (122- 124) دعوة الناس إلى عبادة إله (واحد) كما تعلّم من التجربة في أقاليم أخرى.	frequentius concertabat unum Deum tantummodo predicans adorandum; (Cap. II) كان يبشر تكراراً بأن هناك إلهاً واحداً يجب عبادته،

Et ibi mentitur sibi (2) datum ab angelo librum qui dicitur (1) Alcoranus. (Cap. III)

وهو يكذب بأنه قد تلقى من الملاك كتاباً اسمه القرآن.

opus redegit et duplic i quidem appellacione ipsum censuit appellandum, scilicet (1) Alchoranum qui interpretatur «leccionarius» et Alforcanum qui «distinctus» in lingua sonat arabica, (...) Composuit itaque hunc in secreto (67-71) dicebat populo suo quod (2) angelus Gabrie l adeo mictebatur ad ipsum, qui prosternebat eum in terra et in corpore ipsum uexabat et in anima. Et angariabat eum in extasi positum ut uerba Dei, sicut asserebat, que (2) de celo ad ipsum destinabantur, gentibus uanos deos colentibus exponeret et ab ydolatria reuocatos ad cultum Dei uiui studiosius traheret. (82-87)

فصنع عملاً آخر. وفكّر أن يطلق اسماً مزدوجاً عليه، أي Alchoranum التي تترجم إلى "leccionarius" القرآن alforcanum الفرقان، وله (معنى) "مختلف" في اللغة العربية ... وهكذا قام بكتابته في السر.
ولكنه بعد مضيّ ردح من الوقت، كان يوقف حركة أعضائه طوعاً ويغمض عينيه بطريقة حتى لَيُظن أنه ليس مصاباً بالسكتة فقط دون شعور أو حركة، بل إنه ميت أيضاً. وعندما يفتح عينيه وكأنه يحملق بشكل كما لو أنه يُظهر قوة الشيطان، وكان يقول للناس إن الملاك جبرائيل في لحظة قد أعطاه إشارة أنه سيرمى به على الأرض ويحرك جسده وروحه. وأجبره، وهو في حال من النشوة، بأن كلام الله، وفقاً له، قد أوحي من السماء، وشرح للناس أنهم يعبدون آلهة لا قيمة لها، وأن تركهم لعبادة الأصنام سيزيد من الرغبة في عبادة الله الحي.

Quoniam quidem in locis ubi suffraganei pontifices sacrificia santa Ihesu Christo quondam offerebant, nunc pseudoprophete nomine extollitur, et in turribus ecclesiarum in quibus olim tintinabula releuabant, nunc quedam prophana preconia fidelium a ures insurdant (164-168) إنه بالتأكيد في الأماكن التي قدّم الأساقفة (الشرعيون) القرابين المقدسة ليسوع المسيح، الآن (يُصلى) بسم النبي الكاذب، وعلى أبراج الكنائس حيث دقت الأجراس في السابق، الآن نداءات دنسة تصمّ آذان المؤمنين (المسيحيين) بالتأكيد.	Tunc precepit ut in turribus ubi consueuerant campane pulsari, Sarracenus quis piam proclamaret sicut et adhuc hodie proclamatur a cultoribus secte sue. (Cap. III) ثم أمر بأن ينادي أحد السرسنيين من على الأبراج التي كانت تقرع من عليها الأجراس، (كما) هو الحال حتى اليوم إذ يُنادى لأتباع طائفته.
Indixitque Machometus ieiunium triginta dierum certo tempore et qui non ieiunasset, illo prefixo tempore ob aliquam occasionem, illius ieiunii debitum, si diues esset, elemosinis redimeret, si uero pauper alio tempore ieiunando.(105-108) وأعلن محمد صيام ثلاثين يوماً في وقت محدّد ومن لم يصم في هذا الوقت المحدد سلفاً لعلة ما، فإن عليه صيامه، فإن كان غنياً، فله أن يبرأ بالصدقة، ولكن إن (كان) فقيراً -عليه الصوم في وقت آخر.	Precepit eciam ut in mense Ramadam ieiunarent XXX diebus et aliis XXX diebus in mense qui dicitur Almoharram; كما أمرهم بالصيام ثلاثين يوماً في شهر رمضان وثلاثين يوماً أخرى في الشهر الذي يُدعى المحرّم.

Quociens autem populis illarum regionum uerbum predicacionis proponebat, (...) et in presencia omnium (1) ficte quasi morbum paciens caducum in terra (2) prostrabat se uiolenter et, (...) post spatium uero temporis non modicum ex industria motum membrorum suorum sic compescebat et occulos claudebat, ut non solum apopleticus crederetur (3) in quo nullus sensus et motus habetur uerum (4) exanimis estimaretur. (...) dicebat populo suo quod angelus Gabriel adeo mictebatur ad ipsum, qui (2) prosternebat eum in terra et in corpore ipsum uexabat et in anima.(...) Constitutus ergo in medio eorum (5) proponebat eis non quidem uerba angeli, (...) sed uerba que confingebat et quasi ab angelo sibi indicta (6) rudi populo et inculto predicabat. (74-90) كلما أراد أن يعرض على أناس تلك البقاع كلمات مواعظه... وبحضور الجميع، متظاهراً بنوع ما من مرض مختلق، الصرع، كان يرتمي على الأرض بعنف ... ولكنه بعد مضيّ ردح من الوقت، كان يوقف حركة أعضائه طوعاً ويغمض عينيه بطريقة حتى لَيُظن أنه ليس مصاباً بالسكتة فقط دون شعور أو حركة، بل إنه ميت أيضاً... وكان يقول للناس إن الملاك جبرائيل في لحظة قد أعطاه إشارة أنه سيرمى به على الأرض ويحرك جسده وروحه... كذلك، فقد سرى في وسطهم طرح بأنها، في الواقع، ليست كلمات الملاك... كما لو أنها قد قرئت من قبل الملاك، كان يبشّر بها الجهّال من الناس وغير المتعلمين.	Et aliquos seducebat quia unum Deum tantummodo predicabat; et (5) me nciens Gabrie le m angelum ad se miss um, que deceptis populis predicabat, dicta sibi ab angelo asserebat. Et frequenter in contemplat ionem inuisibilium se rapi (1) simulans quasi (3) destitutus sens ibus se in terram ut (4) exanimem (2) prosternebat, et (6) stulti populi loqui cum angelo extimabant. Demum autem quasi restituto spiritu precepta aliqua proferebat (Cap. VI) أغوى البعض، لأنه إذ بشّر بإله واحد؛ كاذباً أن الملاك جبرائيل قد بُعث إليه، معلناً أن ما كان يبشر به الناس المخدوعين، قد قاله الملاك. وكان (محمد) يتظاهر في بعض الأحيان أنه مكره على التأمّل في أمور باطنية كما (لو أنها) بعيدة عن المحسوس، كان يلقي بنفسه كالميت، فيظن الناس الأغبياء أنه يتحدث إلى الملاك. وأخيراً، بُعيد أن يستعيد الروح، يتلفظ ببعض التعاليم.

precepta aliqua proferebat que sub uno compacta capitulo Zoharas appellabat; et per tales Zoharas distinguitur liber eius qui dicitur Alcoranus, (Cap. VI) يتلفظ ببعض التعاليم التي تُجمع الواحدة تلو الأخرى لتصبح سوراً Zoharas؛ بهذه السور يُعرف كتابه الذي يدعى القرآن Alcoranus	opus redegit (...) Alchoranum (...) Composuit itaque hunc in secreto eumque in centum duodecim tractatus siue capitula diuidens, ipsos sub sexuaginta distinccionibus artauit. (67-73) أحكام أخرى... القرآن Alchoranum ... قام بكتابته في السر، وقسمه إلى مئة واثني عشرة قسماً (سورة) أو فصلاً، مجمعة في ستين جزءاً.

على الرغم من هذه التداخلات، لا يمكننا أن نرى في التفاصيل تطابقات معجمية كافية تشير إلى وجود صلة مباشرة بين النصين.

ج. 2. تمايز العملين في النسب

حسب ماركوس دي توليدو:



حسب رودريغو خيمينيث دي رادا:

ج. 3. مقارنة العملين مع مصادر أخرى

دون حصر

El prólogo al Corán de Marcos de Toledo, 1210-1211 المقدمة إلى القرآن، لماركوس دي توليدو، 1211-1210	Anastasii Bibliothecarii summae ac apostolicae sedis Chronographia Tripertita[1] أنستاسيوس المكتبي السامي والكرونوغرفيا الثلاثية للكرسي الرسولي
uenit in Siriam et ibi per aliquos annos moram faciens in lingua Sir iorum Pe nthathe ucon didicit ad unguem, (...), in lingua greca legem audiuit Christianorum et articulos fidei non perfunctorie. (36-39) sed ut ex utraque legem terciam conderet, legem que in quibusdam articulis cum Veteri et Nouo Testamento participium haberet, (63- 65) وصل إلي سوريا وبقي هناك لبضع سنوات حيث تعلّم، بعناية كبيرة، أسفار موسى بلغة السوريين ... استمع لقانون المسيحيين في اللغة الإغريقية ولأجـزاء من الإيمان (المسيحي) ليس دونما عمق. بل إنه استنبط من الشريعتين شريعة ثالثة، تكون مادتها جـزءاً مـن العهدين القديم والجديد.	Cumque veniret in Palestinam, conversabatur cum Iudaeis et Chistianis. Capiebat autem ab eis quasdam scripturas. (13-14, p. 209) وعندما جاء إلى فلسطين، تحدّث إلى اليهود والمسيحيين. أخذ منهم بعض الكتب.

(1) [en] Theophanis Chronographia, recensiuit Carlos de Boor, vol. II Theophanis vitas Anastasii Bibliothecarii Historiam Tripertitam dissertationemde codicibus operis Theophanei indices continens, B.G. Teubner 1963.

in presencia omnium f icte quasi morbum paciens caducum in terra prostrabat se uiolenter et, ut in e pile ncticis fieri solet, (75-77) dicebat populo suo quod angelus Gabriel adeo mictebatur ad ipsum, qui prosternebat eum in terra et in corpore ipsum uexabat et in anima. (82-84) Cogit me angelus ut dicam uobis huiusmodi uerba: (92) كان يرتمي على الأرض بعنف ويرتجف كما في (نوبات) الصرع، وكـان يقول للناس إن الملاك جبرائيل في لحظة قد أعطاه إشـارة أنـه سيرمى به على الأرض ويحرك جسده وروحه. لقد اختارني الملاك لأقـول لكم على هذا النحو تلك الكلمات:	Porro habebat pass ionem e pile ps iae. Quo comperto huius coniux oppido tristabatur, (...). Procurat vero ipse placare illam taliter dicens, quia «visionem quandam angeli Gabrihelis dicti contemplor et haud ferens huius aspectum mente deficio et cado». (14-19, p. 209) وتملكه الصرع، وعندما رأت زوجته ذلك تملّكها الحزن (...) لكنهم تمكنوا من تهدئته، وقال إنه عند الرؤية يقول له الملاك جبرائيل بأنه سيأتي له بها وسيرمي به وسوف يقع.
et in futuro dabit uobis Paradisos sub quibus deffluent flumina scilicet aque, uini, lactis et mellis et cibos prosperos (...) et vinum suaue (...) uxores et uestimenta serica. (99-101) سيهبكم جنات تجري فيها الأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل وطعام كثير... ونبيذ رقيق ... ونساء وأرائك من حرير.	Paradis um vero carnalis cibi ac potus et commixtionis mulierum perhibebat fluviumque vini ac me lis e t lactis et fe minarum non praesentium sed aliarum et mixturam multorum annorum futuram et affluentem voluptatem nec non et alia quaedam luxuria et stultitia plena, (30, p. 209-1, p. 210) في الجنة هناك طعام وشراب ومجامعة النساء وأنهار من النبيذ واللبن، ولا مكان للخوف، بل مزيج من أشياء أخرى ومتعة كثيرة لسنين عديدة والكثير من المتعة والبذخ واللهو.

El prólogo al Corán de Marcos de Toledo, 1210-1211 المقدمة إلى القرآن، لماركوس دي توليدو، 1211–1210	La Vita Mahometi del códice de Uncastillo, primer tercio del s. XIII[(1)] سيرة محمد في مخطوطة أونكاستيو، الثلث الأول من القرن13
Hic nimirum prodiens quasi ex adipe iniquitatis in Mecha, id est adultera, que est in Arabia, natus extit it ex parentibus tamen secundum gradus seculi nobilibus, (18-20) آتٍ من دهـن الإثـم في مكة، والتي تعني، الفاحشة، والموجودة في الجزيرة العربية. مع ذلك وُلد لأبوين نبيلَين وفقاً لطبقات ذلك الزمان.	Ipse natus fuit in Mecha et pater suus mortuus fuit ibidem, (3-4) كـان مـولـده فـي مكة، وكـان مـوت أبيه في المكان ذاته.
accepto itaque uiatico sub pretextu mercatoris, (35-36) بدأ رحلة بحجة التجارة	Et habitatores in Mecha in eum ze lum et invidiam deportarunt nolentes quod inter ipsos fieret mercator. (12-13) وخيّمت الغيرة والحسد على سكان مكة عندما أصبح تاجراً.

(1) V. Valcárcel, La Vita Mahometi» del códice 10 de Uncastillo (s. XIII): estudio y edición.

sed ut ex utraque legem terciam conderet, legem que in quibusdam articulis cum Veteri et Nouo Testamento participium haberet in quibusdam autem obseruantiis ab utroque discreparet. (63- 65) استنبط من الشريعتين شريعة ثالثة، تكون مادتها جزءاً من العهدين القديم والجديد. ومع ذلك، في أحوال أخرى كان يعارض أحدهما أو الآخر.	Modo autem volumes narrare numerum virorum in eum credencium qui fuerunt decem arabum eiusdem parentum et duo christiani et aliqui iudeorum. Et isti instruxerunt eum semper... الآن تروي لنا الكتب بأنه فقط عشرة من العرب آمنوا به من أقربائه أنفسهم. اثنان من المسيحيين وبضعة يهود. كانوا يرشدونه دائماً.
adorate Deum uiuum qui celos creauit et terram, (92-93) اعبدوا الله الحيّ الذي خلق السموات والأرض.	unum Deum esse creatorem celi et terre, (41) إله واحد هو خالق السماء والأرض.
Nouerit is quod Christus filius fuit Marie Virginis, legatus Dei et uerbum Dei quod destinauit De us ad e am et Spiritus eius. (102-103) اعلموا أن المسيح هو ابن مريم رسول الله وكلمة الله التي بعثه الله لها وهو روح الله.	ipse dixit de Chris to, dicens ipsum esse Spiritum Dei et eiusdem Verbum. Et dixit de beata Maria quod Deus misit ad eam angelum suum Gabrielem, et concepit de Spiritu Sancto (...) Virgo permanens (116-119) قال هذا عن المسيح، يقول إنه روح الله وكلمته، والقول إن مريم المباركة عندما أرسل لها الله ملاكه جبرائيل حملت من الروح القدس ... وبقيت عذراء.
Nolite ergo dicere tres esse, sed unus est Deus; (103- 104) فلا تقولوا إن هناك ثلاثة، ولكن الله واحد.	christiani tres Deos adorando confidentes. Et harabes respondentes dixerunt: «verum est unicum Deum esse». (42-43) يعبد المسيحيون ثلاثة آلهة. ويقول من يرد على العرب: "الحق أنه إله وحيد"

ieiunium triginta dierum certo tempore (106) Monuit orare in templo siue in domo quinquies in die, (108-109) صيام ثلاثين يوماً في وقت محدّد. وحثّ على الصلاة في المعبد أو في المنزل خمس مرات في اليوم.	Die rum triginta spacio ie iunare et faciant oracionem in die quinquies (77-78) الصيام خلال ثلاثين يوماً، وإقامة خمس صلوات في اليوم.
et in futuro dabit uobis Paradisos sub quibus deffluent flumina scilicet aque, uini, lactis et me llis et cibos prosperos (...) uxores et uestimenta serica. (99-101) سيهبكم جنات تجري فيها الأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل وطعام كثير... ونبيذ رقيق ... ونساء وأرائك من حرير.	Dabo eis paradisum lacte et melle et preclaris fluentem inundacionibus; et cuique eorumdem singulariter mille virgines incorruptas (...) et dabo eis cuius libet generis cibariorum habundanciam; (79-82) يعطون في الجنة أنهاراً تفيض لبناً وعسلاً ولكل منهم ألف من العذارى الأبكار... يعطون من مختلف الطعام الوفير.
1) Dimissum est enim uideo ut uxorem suam (2) repudiet (...) si eam tercio (3) obiuret in hunc modum: (...) (4) non licet eam amplius (5) re uocare (...) (6) nis i prius ab alio cognoscatur. (134-140) بأنه مغفور رفض الامرأة... إذا طلقها ثلاثاً... فلا يمكن له حينها أن يستعيدها... بعد هذا الشكل من الحِلفان ... ما لم تقترن بآخر.	Et quando aliquam de istis quattuor (1) legitime ductis voluerint a se (2) separare (3) iuret per hoc nomen (...), et poterit eam dimitere et cum eam reliquerit (4) non poterit eamdem (5) recuperare (6) nisi fecerit quod alte ream primitus cognoverit semel». (84-87) عند واحد من هذه الأربع: أن تنقاد شرعاً إليه ... الانفصال... القدرة على رفضها ونبذها... ألا تكون ذاتها... الاسترداد... لا يفعل ذلك إلى أن يقترن بها أحد آخر.

El prólogo al Corán de Marcos de Toledo, 1210-1211 المقدمة إلى القرآن، لماركوس دي توليدو، 1211-1210	Liber Nycholay[1], fines del s. XIII كتاب نيقولاوس، نهاية القرن 13
Tempore autem puericie sue et adolescencie, studio litterarum animum applicuit in remotis regionibus operam impendens quantum poterat ut in mathematicis artibus peritus extitisset. (28- 30) uenit in Siriam et ibi per aliquos annos moram faciens in lingua Siriorum Penthatheucon didicit ad unguem, de inde in Greciam postmodum profectus ibique residenciam et moram faciens non modicam, in lingua greca legem audiuit Christianorum et articulos fidei non perfunctorie. (36-39) منذ طفولته ومراهقته كرّس روحه لدراسة الأدب في مناطق بعيدة، منكبّاً على مهمة بحيث يمهر في التنجيم حيث إنه درس الفنون خفية... وصل إلى سوريا وبقي هناك لبضع سنوات حيث تعلّم، بعناية كبيرة، أسفار موسى بلغة السوريين. ثم ذهب فيما بعد إلى اليونان حيث، بقي هناك لفترة ليست قصيرة، استمع لقانون المسيحيين في اللغة الإغريقية ولأجزاء من الإيمان (المسيحي) ليس دونما عمق.	Hic (sc. Machometus) cum esset in gramatica, dyalet ica et astronomia doctus ac in factis secularibus eruditus et omnes diuersas linguas loqui sciret, (4-6) كما كان (محمد) ضليعاً في النحو والجدلية وعلم الفلك، وعارفاً في الشؤون الدنيوية، وكان يتكلم كل اللغات المختلفة.

(1) Edidit Fernando González Muñoz, [en:] Liber Nycholay. La leyenda de Mahoma y el Cardenal Nicolás, Al-Qantara, Revista de Estudios Árabes, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Instituto de Filología, XXV, 1 (2004), págs. 5-43.

Adulterium prohibuit; uerum si uir coniugatus, mulierem siue solutam siue coniugatam precio emerit, licite poterit ei copulari tanquam ancille nec adulterium comictit, quia precium quod pro ipsa soluitur crimen de let adulter ii; filias seruorum assumere permisit uxores habentes sine contagione adulterii, (111-115) نهى عن الفاحشة؛ لكن لو اشترى رجل متزوج بالمال امرأةً أو بكراً أو متزوجةً، كما يمكن أن يحوز على الإماء فحسب الشريعة لا يُعدّ مرتكباً للفاحشة لأن الثمن المدفوع يمحو جريمة الزنا؛ سمح (محمد) أيضاً لأولئك الذين لديهم زوجات أن يأتوا الأقنان ولا يُعدّون زناة.	Docuit etiam quod mulier esset subdita homini et quod homo apprehenderet tot mulieres quod posset nutrire, (55-56) أمر أيضاً أن تخضع المرأة للرجل وأن يتخذ الرجل عدة نساء طالما يقدر على إطعامهنّ.
Mandauit ut Deo peccata et termina confiterentur non homini. (121) وأمرهم الاعتراف بالذنوب لله، وليس للإنسان.	Igitur sacerdotibus inhibuit confiteri de licta, (61) وحظر الاعتراف بالخطايا أمام الكهنة.
Noueritis quod Christus filius fuit Marie Virginis, Legatus Dei et uerbum Dei, quod destinauit Deus ad eam, et Spiritus eius. (102-103) اعلموا أن المسيح ابن مريم هو رسول الله وكلمة الله التي بعثه الله لها وهو روح الله.	Docuit eciam sarraceni(s) firmiter credens quod uerbum omnipotentis dei, Christus, de Maria uirgine natus fuit et ipse inter nos homines factus est homo. (112-114) كما علّم السرسنيين بإيمان راسخ بأن المسيح، كلمة الله الكليّ القدرة، وُلد من مريم العذراء وصار إنساناً بيننا نحن البشر.

priusquam ad templum ingrederentur mandauit ut aqua abluerentur. (109) وأمر أيضاً بالتطهّر بالماء قبل دخول المعبد.	Constituit et docuit ut unusquisque sarracenus antequam intraret ecclesiam mixitam abluere debeat de aqua manus et faciem (71-72) أمر وأشار أنه على كل السرسنيين، قبل الدخول إلى الكنيسة المسجد، عليهم أن يغسلوا أيديهم ووجوههم بالماء.
Reddite decimas et primicias Deo, regi, quoniam fungitur apud eos loco pontificis et uicario eius, (94-95) أعيدوا العشور والثمر إلى الله، لأنه يمثل (دور) الملك بينهم بدلاً من أحبارهم وممثليهم.	Sacerdotibus suis, id est, santa conseruantibus, de omnibus que possident certum, quasi bis deo debitum, certis temporibus offerant, (84-85) وللكهنة، أولئك الذين يحافظون على الأماكن المقدسة أن يقدموا لهم في وقت محدد مقداراً معيناً من كل ما يملكون، كدين على الله يعيده مضاعفاً.
Indixitque Machometus ieiunium triginta dierum certo tempore (105-106) وأعلن محمد صيام ثلاثين يوماً في وقت محدّد.	Triginta diebus continue ie iunare sarracenis instituit, (86) أمر السرسنيين أن يصوموا ثلاثين يوماً دونما انقطاع.
Circumcisionem eis indixit in pueris a bymatu fieri, adultis autem quandocumque ad legem accederent. (110-111) وأمرهم بختان الأولاد من سنّ عامين والكبار منذ أن يدخلوا في الشريعة (الدين).	Docuit et precepit ut omnis homo circoncidatur (110) وأخبر وأمر أنه يجب على كل رجل أن يختن.
Quociens itaque predicabat eis dicebat:«Ego sum Legatus Dei, (90) وفي كل مرة كان يبشّر قائلاً: "أنا رسول الله".	Omnes uerum dei nuncium ipsum esse credebant. (145) كان بالنسبة لهم رسول الله الحق.

Et persuasit eis et monuit ut ad templum Meche causa oracionis accederent. (119-120) وأقنعهم وعلّمهم أن يستقبلوا المعبد في مكة لأداء الصلاة.	Omnes sarraceni peregrinacionem faciunt ad Mecham (161) جميع السرسنيين يحجون إلى مكة.

El prólogo al Corán de Marcos de Toledo, 1210-1211 **المقدمة إلى القرآن، لماركوس دي توليدو، 1211-1210**	**Contra perfidiam Mahometi de Dionisio Cartujano, posterior a 1451**[1] **ضد الكفر المحمدي، ديونيسيو كارتوخانو**[2]
proponebat eis non quidem uerba ange li, quoniam non erat tanti meriti quod angelus Gabrie l ad eum mitteretur, sed uerba que confingebat et quasi ab angelo sibi indicta rudi populo et inculto predicabat. (87-89) في الواقع، ليست كلمات الملاك، لأنه لم يكن ذا ميزة كبيرة ليُرسل له الملاك جبرائيل، لكنه هو واضعها وكما لو أنها قد قرئت من قبل الملاك، كان يبشّر بها الجهّال من الناس وغير المتعلمين.	Quem librum, ut infra dicetur, Mahomet finxit sibi a Deo per Gabrielem angelum missum, datum ac revelatum. (lib.I, art.I, 239 A) الكتاب، كما سيُشرح عنه لاحقاً، افتعل محمد نفسه مرسلاً من الله وأوحي له عن طريق الملاك جبرائيل.

(1) Dionisius Cartusianus, Contra perfidiam Mahometi, (en:) Opera omnia, vol. IV, Turnholt, 1908, (ex editione Colonensi Petri Quentel, 1533) انظر أيضا: Salvador Sandoval Martínez, La figura de Mahoma en «Contra perfidiam Mahometi», de Dionisio Cartujano, Espacio y tiempo en la percepción de la Antigüedad Tardía, Antig. Crist. (Murcia) XXIII, 2006, págs. 627-645.

(2) ديونيسيوس أو باخوس الكرتوزي. - مترجم

Nolite ergo dicere tres esse, sed unus est Deus; (103- 104) فلا تقولوا إن هناك ثلاثة، ولكن الله واحد.	Amplius, Mahometus sic unum verum Deum docuit adorandum, quod illum esse trinum in personis prorsus negauit. (lib.I, art.II, 244 A) بالإضافة إلى أن محمداً يعلمنا عبادة إله واحد حقيقي، بينما ينفي وجود ثلاثة أقانيم.
«Ego sum legatus Dei, uerba que posuit angelus in ore meo uobis expono. Non noui licteras maternus enim sum. (91-92) "أنا رسول الله، والكلمات التي وضعها الملاك في فمي أعرضها عليكم. لا أعرف الكتابة، لأنني أميّ".	Imo, capitulo Alcorani septimodecimo scribitur: Imitatores nuntii atque prophetae legendi scribendi nescii. Quod de Mmahomet dictum videtur. (lib. II, art.IV, 277 C-D) بالفعل، مكتوب في الفصل السابع عشر من القرآن: إن أتباع الرسل والأنبياء يجهلون القراءة والكتابة. قال إن محمداً يبدو كذلك.
et in futuro dabit uobis Paradisos sub quibus deffluent flumina scilicet aque, uini, lactis et mellis et cibos prosperos (...) et vinum suaue (...) uxores et uestimenta serica. (99-101) سيهبكم جنات تجري فيها الأنهار من الماء والخمر واللبن والعسل وطعام كثير... ونبيذ رقيق... ونساء وأرائك من حرير.	O Sarraceni, tam delectabilis ac desiderabilis vobis videtur amplexus pulcherrimarum (quas vobis pr omis it carnalis et infe lic issimus Mahomet) mulie rum, esus pomorum, corporaliumque ciborum et potus vinorum: (lib.II, art.VII, 284 B) أيها السرسنيون، هل تعتقدون أن هناك مكاناً أجمل، نساء (وعدهم بأنه سيكون بالجسد، محمداً البائس) جميلات، وتتناولون الفاكهة والطعام وتشربون النبيذ.

ut illuminaret homines in te ne bris noctis laborantes, sed ut in te ne bris ignorancie deperditis, multis retro seculis elapsis, pocius tenebras accumularet tenebris, quam luceret. (9-12) ad eum usque peruenit quod Christiani fidem iam colerent Sancte Trinitatis, et quod ipsi unum in deitate, trinum in personis esse Deum crederent, (33-34) ليس لمنح النور للناس الذين يعملون في ظلام الليل فحسب، بل ليطغى على أولئك (الناس) الذين تاهوا بالفعل في ظلام الجهل، وأولئك الذين انزلقوا لقرون عديدة، في ملء الظلام بظلام بدل إنارته. حتى إنه ذهب إلى أن المسيحيين قد اعتنقوا إيمان الثالوث المقدس، وأنهم هم ذاتهم يؤمنون أن الله كان أحداً في الألوهية والثليث.	Mahomet, qui primo in idolatriae tenebris versebatur, quum ex haeretici Sergii informatione a liqua lem unius Dei notitiam fuisset adeptus, (lib.II, art.V, 279 C) محمد، الذي انقلب على الوثنية المظلمة، لأنه حصل على معلومات ومعارف من سيرجيو المهرطق



per (1) fantasticas delusiones ut magicus (2) populos rudes seduceret et interdum legatum Dei, interdum autem prophetam Dei se uocaret, et lecciones quas (1) confingebat eis exponeret, contingit peccatis exigentibus quod tum per (1) predicacionemeius fallacem,(148-152) وبالأوهام الجميلة، مثل ساحر، أغوى شعباً جاهلاً، ففي مرات يسمي نفسه رسول الله، ومرات أخرى، يسمي نفسه نبيّ الله، وحيث عرض عليهم القراءات التي ألّفها، تمكّن من الحصول، بعد أن طرد الذنوب بعظاته الخادعة.	Tota ergo illa historia et similes recitationes de Mahomet, sunt (1) mendosa figmenta, quibus (2) s implices miserabiliter damnabiliter falluntur: (lib.III, art.XXI, 405 C) وبالتالي كل تاريخ وقـراءات محمد هي تخيلات زائفة، وهي خدع بسيطة بائسة ملعونة.

بهذه الأمثلة نحاول أن نبين أنّ ماركوس دي توليدو كان كاتباً على دراية بمواضيع العقيدة الإسلامية، لا سيما كمشارك نشط في المنازعة المسيحية ضد الإسـلام. إن الموضوعات التي اختارها لغرض التفنيد، تتوافق مع كتّاب مسيحيين آخرين، عالمين في اللاهوت، كذلك، دون أدنى شك، تجعله بـارزاً داخـل تيار أدب النقض.

تطابقات تاريخ العرب Historia Arabum مع عمل ابن إسحاق

Ibn Ishâq, La Vie du Prophète Muhammad L'Envoyé d'Allâh (que Dieu répande sur lui Ses bénédictions et qu'Il lui accorde Son salut!), ابن إسحاق، سيرة النبي محمد رسول الله (ص)	Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum I-VI رودريغو خيمينيث دي رادا، تاريخ العرب
((Par Dieu j'étais un fort garçon, âgé de sept o huit ans, (...) Aujourd'hui est née l'étoile de ` Ahòmad qui veille sur sa naissance.)) (pp.122- 123) والله إنـي لغلام يفعة، ابـن سبع سنين أو ثمانٍ... طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به.	Iudeus ille (...) et lege mirabiliter exaltandum. (Cap. II) ذلك اليهودي... وتنبأ له بشأن عظيم.
Pendant que j'étais avec un frère (de lait) (...) ((Laisse-le donc! Car par Dieu, si tu le pèses par tout le poids de sa nation, il la dépassera.)) (pp. 126-127) فبينا أنا مع أخ لي (بالرضاعة)... (دعه عنك، فوالله لو وزنته بأمته لوزنها).	Cum autem esset infans annorum IIIIor, (...) "Si cum omnibus Arabibus in trut ina poneretur, omnibus preualeret". (Cap. I) ولمّا بلغ أربع سنين..."لو وُضع في ميزان مع كل العرب، لفاقهم جميعاً"
Quand l' Envoyé d'Allâh atteignit l'âge de six ans, sa mère 'Âminah bint Wahb mourut. (p. 128) فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين، توفيت أمة آمنة بنت وهب	Anno septimo (...) mortua fuit Emina mater eius , (Cap. II) ولما بلغ السابعة من عمره... وما لبث أن ماتت أمه آمنة
Quant l'Envoyé d'Allâh atteignit l'âge de huit ans, 'Abd al-Muttalib mourut (p. 129) Après la mort de 'Abd al-Muttalib, l'Envoyé d'Allâh fut confié à son oncle paternel Abû Tâlib (p. 136) فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبد المطلب. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب.	Octauo anno mortuus est Abdelmutalib auus eius, et recepit eum Abutalib patruus eius in curam, (Cap. II) وفي عامه الثامن مات عبد المطلب، جدّه، فتولّاه أبو طالب، عمّه.

Lorsque l'Envoyé d'Allâh atteignit l'âge de vingt-c inq ans, il épousa Khadîjah bint Khuwaylid (p. 142) فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة، تزوج خديجة بنت خويلد.	Cum autem esset annorum uiginti Ve, duxit uxorem que Hadiga dicitur. (Cap. II) ثم عند بلوغه الخامسة والعشرين اتخذ خديجة زوجة له.
Jibrîl (Gabriel) vint à lui pour lui intimer l'ordre de Dieu. L'Envoyé d'A llâh, a dit: ((Pendant que je dormais, Jibrîl vint à moi, tenant une couverture de brocart à l'intér ieur de laque lle il y avait un écrit. Il m'a dit: ((Lis!))(p. 182) فجاءني جبريل، وأنا نائم، بنمط من ديباج فيه كتاب، فقال: اقرأ؛	Et ibi mentitur sibi datum ab angelo librum qui dicitur Alcoranus. (Cap. III) وهو يكذب بأنه قد تلقى من الملاك كتاباً اسمه القرآن.
Puis il dit: ((Ô gens de Quraysh! Que pensez- vous de ce que je verrai de vous ?)) Ils répondirent: ((Du bien, tu es un noble frère et le fils d'un noble frère.)) Alors il leur dit: ((Allez-vous-en car vous êtes mis en liberté.)) (p. 349) ثم قال : يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا : خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء .	Et postea resumptis uiribus intrauit Mecham et eos, qui erant de genere Corexi et ei restiterant, ui et potencia captiuauit et quasi improperans dixit eis: "Quid de uobis faciam?". At illi dixerunt: "Bene, quia estis largus et curialis". Et ipse continuo dimisit eos et deinceps humiliter subfuerunt. (Cap.III) وبعد أن استرد قوته، دخل مكة، وقاومه أولئك الذين كانوا من قبيلة قريش، فقبض عليهم بالقوة والسلطة وقال لهم مؤنباً: "ما أنا فاعل فيكم؟ "فقالوا له: "خيراً (ستفعل) فأنت كريم وصالح".

On a apporté à l'Envoyé d'A llâh la Burâq (...) et Muhammad fut monté dessus (p.315) أُتِي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق... فحُمل عليها.	repperitur inscriptum quod Mahomat insidebat uni bestie, que dicitur Alborac (...) Prophete consueuerant insidere. (Cap. V) دُوِّن به أن محمداً كان يمتطي دابة اسمها البُراق تطال رجلُه الخلفية رجلَه الأمامية، وكانت عادة الأنبياء أن يركبوا مثل هذه الدابّة.
et Muhammad voyait les prodiges entre le ciel et a terre, jusqu'à ce qu'il arrivât a Jérusalem. (...) Tu es bien guidé toi et ta nation, ô Muhammad) (p.315). يرى الآيات فيما بين السماء والأرض حتى انتهى إلى بيت المقدس... (هُديت وهديت أمتك يا محمد).	Et in ta li bestia Mahomat Iherusalem est profectus et (...)"Nunc es directus tu et omnes qui crediderint legitue ". (Cap. V) وعلى ظهر هذه الدابة سار محمد إلى أورشليم،(...) "الآن ستهتدي إلى الصراط المستقيم أنت وكل الذين يؤمنون بشرعك".
D'après ce qu'on m'a rapporté, l'Envoyé d'Allâh a dit: (Mes deux yeux dorment tandis que mon cœur est éveillé.) (p.318) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : تنام عيناي وقلبي يقظان.	"Cum uidi", inquit, "Abraham, Moysen et Ihesum, occuli corporis dormiebant, set cordis occuli uigilabant; (Cap. V) "عندما رأيت"، قال: "إبراهيم وموسى ويسوع، كانت تنام عينا جسدي، وعينا قلبي يقظى".
(Quant à 'Abraham, je n'ai jamais vu un homme plus semblable à lui que moi, (...) mais en fait il n'y a pas d'eau,) (p.318) أما إبراهيم، فلم أرَ رجلاً أشبه قط بصاحبكم،... تخال رأسه يقطر ماء، وليس به ماء.	et uidi quod Abraham similis erat michi, (...) uerumtamen aqua non erat ibi". ورأيت أن إبراهيم كان يشبهني... تحسب كما لو أن رأسه يقطر ماء، ولكن ليس به ماء.

Un savant m'a rapporté, sur l'autorité de celui qui a transmis ce récit d'après l'Envoyé d'Allâh que celui-ci a dit: (Lorsque je suis entré dans le ciel inférieur, (...) Mâlik tira sur l'Enfer sa couverture.) (p.321) وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا... فردّ (مالك) عليها (جهنم) غطاءها.	Addidit eciam in hoc libro: "Ad primum celum Gabriel me perduxit, (...) et tristis angelus, ut prius fuerat, texit ignem. (Cap. V) وأضاف أيضاً في هذا الكتاب: أخذني جبرائيل إلى السماء الأولى... والملاك العبوس، كما كان من قبل، ردّ على النار غطاءها.
(Lorsque je suis entré dans le ciel inférieur , (...) Une âme vile sortie d'un corps vil.) (pp. 321-322) لما دخلت السماء الدنيا... روح خبيثة خرجت من جسد خبيث.	Similiter cum intraui celum (...) penas peccancium ostendebat. (Cap. V) وكذلك عندما دخلت السماء الدنيا... ويُبدي حزنه على الخطأة.
Puis j'ai vu des hommes qui avaient entre leurs mains une bonne chair grasse, (...) et qui s'attachaient à celles que Dieu leur interdit.) (p. 322) ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم ثمين طيب،... هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم.	Vidi eciam in eodem celo qui carnes pingues et opt imas manducabant (...) mulieribus se dederunt'. (Cap. V) ورأيت في السماء نفسها الذين يأكلون اللحم الثمين الجيد... ما حرم عليهم من النساء.
(Puis Gabriel me fit monter au second ciel. (...) Puis Gabriel le fit monter auprès de son Seigneur. (pp. 323-324) ثم أصعدني إلى السماء الثانية... ثم انتهى به إلى ربه.	Postea duxit me Gabriel ad secundum celum, (...) Gabrie l me preposuit ante Deum. (Cap. V) ثم أصعدني جبرائيل إلى السماء الثانية... أخذني جبرائيل إلى الله.

L'Envoyé d'Allâh dit:(Je commençai à retourner lorsque je passai par Moïse fils d'Imrân – et quel bon ami pour vous était-il! – Il m'a demandé: (Combien de prières sont ordonnées pour toi?) (...) aura la récompense de cinquante prières (qui avaient été ordonnées). (p. 324) فلما مررت بموسى بن عمران، ونعم الصاحب كان لكم، سألني كم فُرض عليك من الصلاة؟ فقلت: خمسين صلاة كل يوم؛ فمن أدَّاهنّ منكم إيماناً بهن، واحتساباً لهن، كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة.	Et mandauit michi ut quolibet die dicerem La orationes. (...) remunerabitur quasi pro quinquaginta". (Cap. V) ففرض عليّ في كل يوم تلاوة خمسين صلاة... فمن أدّى خمس صلوات، تحتسب (له) خمسين.
(O Abu Talib! Ton rang parmi vous est ce que tu connais (...). Je ne le dirai que pour te faire plaisir.) (pp. 332-333) فقالوا: يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت... لا أقولها إلا لأسرك بها.	Predictus autem Abutalib conuocauit Mahomat et alios Coraxinos (...), nec uolo perdere gratiam propinquorum". (Cap. VI) ثم دعا أبو طالب المذكور محمداً وقرشيين آخرين... كما لا أريد أن أفقد نعمة الأقارب.

سادساً: استنتاجات نهائية

عند المقارنة بين نصي ماركوس دي توليدو وخيمينيث دي رادا، نتفاجأ برؤية كمّ التمايز بينهما على الرغم من أنهما قد كُتبا في الحقبة نفسها وفي المنطقة نفسها، ناهيك عن الرباط بين المؤلفَين. الفارق الرئيس هو النهج: يركز ماركوس دي توليدو بشكل رئيس على «اللاهوت»، الإسلامي، مختاراً أمثلته بحيث يمكن أن تخدم غرضاً جدلياً. وتبدو الفكرة الأساسية هي البرهان أنه من خلال استخدام "قليل من كثير" pauca de multis أن الإسلام ليس فرعاً من المسيحية، بل هرطقة منفصلة. أما فيما يتعلق بالسيرة النبوية، فالكاهن يركز فقط على دوره كصانع لعقيدة جديدة. من جانبه، فإنّ رودريغو خيمينيث دي رادا يعرض حياة محمد كاملة، منذ ولادته إلى مماته. في السيرة التي يقدمها الأسقف يمكننا أن نقدّر الدور المزدوج لبطل الرواية، فلا يبدو محمد فيها بوصفه مهرطقاً فقط، بل زعيم لمجتمع جديد أيضاً، بمعنى، سلف الخلفاء.

من جهة أخرى، فالنصان يشتركان بالمبدأ ذاته الذي انطلق منه الكاتبان - الحديث عن العرب ونبيّهم ودينهم وتاريخهم، مستخدمين على الخصوص المصادر الأولية، الخاصة بأولئك الناس موضع الدراسة. أما بالنسبة لأنواع المصادر التي تعامل معها الكاتبَان، فقد كان ماركوس دي توليدو مهتماً، في المرتبة الأولى، بالنقاط الأساسية

للدين الإسلامي، التي في الجزء الأعظم منها كانت مستوحاة من المحتوى القرآني. وتجدر الإشارة، مع ذلك، أنه قد لا يكون مصدره المباشر. وامتاز رودريغو خيمينيث دي رادا بعرضه المصادر العربية، بشكل ملخص، لشرح السيرة النبوية. في كلتا الحالتين نجد ملامح لمصادر ذات شهرة أقل، كمثل الظِّهار في المقدمة إلى القرآن، أو ذكر أم أيمن، مرضعة النبي في تاريخ العرب Historia Arabum.

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن المؤلفين كتبا بأسلوب مختلف. أعطى ماركوس دي توليدو عيّنة من أسلوب متكلف، غنيّ بالاستعارات والمقارنات. أما أسلوب الأسقف، فيبدو، خلافاً لذلك، مغايراً، جرّاء المصادر التي يعالجها في كل مناسبة، وبهذا المعنى يمكننا الملاحظة أنه عندما يستخدم المصادر العربية، يتجه نحو لاتينية بسيطة، وجُمل قصيرة واقتباسات مباشرة بدلاً من استخدام الاستشهادات والمراجع.

من الممكن الاستشفاف أن رودريغو خيمينيث دي رادا لا يوفر المعلومات لأجل الجدل الديني، أو على الأقل لا يسخّر قوة روايته لأجل تشويه الدين الآخر. ويبدو أن رئيس الأساقفة كان مهتماً بحق في تقديم الأخبار الأصيلة عن نبي الإسلام. مع ذلك، فإن الكاتبين، سواء رودريغو خيمينيث دي رادا أم ماركوس دي توليدو، أوضحا أنه على القارئ ألّا يقع في اللغط. فلا يؤمن تحت أي ظرف من الظروف بنبوءات النبي الكذاب، كما أن عليه الامتناع عن هذا النوع من القَصص لأنها قد تضر بنفوس المسيحيين الجيّدين؛ بمعنى أننا أمام نصين من الجدل الديني يلتزمان بشكل واضح بالشرائع الجنسانية.



قائمة المراجع

المصادر الأولية

1 - Liber Alchorani quem Marcus canonicus Toletanus transtulit, edidit Nadia Petrus Pons, tesisdoctoral dirigida por el Doctor José Martínez Gázquez, presentada en Octubre 2008.

2 - Roderici Ximenii de Rada Opera omnia pars III - Historiae Minores Dialogus Libri Vite, cura et studio Juan Fernández Valverde, Juan Antonio Estévez Sola, Turnhout – Brepols Publishers 1999.

3 - Rodrigo Jiménez de Rada, Historia Arabum, introducción, Edición crítica, Notas e Índices de José Lozano Sanchez, Sevilla 1974.

مصادر أخرى

1 - Anastasii Bibliothecarii summae ac apostolicae sedis Chronographia Tripertita (en:) Theophanis Chronographia, recensiuit Carlos de Boor, vol. II Theophanis vitas Anastasii Bibliothecarii Historiam Tripertitam dissertationem de codicibus operis Theophanei indices continens, B.G. Teubner 1963.

2 - Biblia Sacra iuxta uulgatam uersionem, vol. I-II, adiuuantibus Bonifatio Fischer Osb, Iohanne Gribomont Osb, H. F. D. Sparks, W. Thiele, recesuit et breui apparatu instruxit Robertus Weber Osb, Württembergische Bibelanstalt, Stuttgart 1969.

3 - Cisneros, Fernando, El libro del viaje nocturno y la ascensión del Profeta = Kitâb al- isrâ' wa-l-mi'râj li-l-Imâm Ibn 'Abbâs / estudio introductorio y traducción, El Colegio de México, Centro de Estudios de Asia y África, México, D. F., 1998.

4 - Chronica Byzantia-Arabica, (en:) Corpus Scriptorum Muzarabicorum I, ed. Ioannes Gil, Madrid, Instituto (Antonio de Nebrija), 1973.

5 - Crónica Mozárabe de 754, Edición crítica y traducción por José Eduardo López Pereira, Zaragoza 1980.

6 - Crónica Mozárabe de 754, (en:) Corpus Scriptorum Muzarabicorum I, ed. Ioannes Gil, Madrid, Instituto ((Antonio de Nebrija)), 1973.

7 - Dionisius Cartusianus, Contra perfidiam Mahometi, (en:) Opera omnia, vol. IV , Turnholt, 1908, (ex editione Colonensi Petri Quentel, 1533).

8 - El Corán, Introducción, traducción y notas de Juan Vernet, Editorial Planeta 1998.

9 - Eulogi Liber Apologeticus Martyrum (en:) Corpus Scriptorum Muzarabicorum II, ed.

10 - Ioannes Gil, Madrid, Instituto ((Antonio de Nebrija)), 1973.

11 - Ibn Ishâq, La Vie du Prophète Muhammad L'Envoyé d'Allâh (que Dieu répande sur lui Ses bénédictions et qu'Il lui accorde Son salut!), traduction française avec introduction et notes par 'Abdurrahmân BADAWÎ, Les Éditions Albouraq Beyrouth-Liban 2001, vol. I, II.

12 - La Escala de Mahoma, traducción del árabe al castellano, latin y francés, ordenada por Alfonso X El Sabio, edición, introducción y notas por José Muñoz Sendino, ed. el Ministerio de Asuntos Exteriores (Dirección General de Relaciones Culturales), Madrid 1949.

13 - Lucae Tudensis Chronicon mundi, opera omnia tomus I, cura et studio Emma Falque, Corpus Christianorum Continuatio Mediaeualis LXXIV, Turnhout, Brepols Publishers 2003.

14 - Novum Testamentum Graece et Latine, Textum Graecum post Eberhard Nestle et Erwin Nestle communiter ediderunt Kurt Aland, Matthew Black, Carlo M. Martini, Bruce M. Metzger, Allen Wikgren; Textus Latinus Novae Vulgatae Bibliorum Sacrorum Editioni debetur, Gesamtherstellung Biblia-Druck Stuttgart 1979.

15 - Rodrigo Jiménez de Rada, Historia de los hechos de España, Introducción, traducción, notas e índices de Juan Fernández Valverde, Alianza Editorial, S. A. Madrid, 1989.

16 - 15.V. Valcárcel, «La Vita Mahometi del códice 10 de Uncastillo (s. XIII): estudio y edición» (en:) Actas: III Congreso Hispánico de Latín Medieval (León, 26-29 de Septiembre de 2002), vol. I, coordinador: Maurilo Pérez González. León: Universidad, Secretario de Publicaciones y Medios Audiovisuales, (2002), págs. 211-245.

دراسات

1 - D'Alverny M.-Th. & Vajda, G., «Marc de Tolède, traducteur d'Ibn Tumart» (en:) Al- Andalus 16 (1951); Al-Andalus 17 (1952), págs. 99-140, 259-307.

2 - Armstrong, Karen, Muhammad. A Biography of the Prophet, trad. Victoria Ordóñez, Maho ma: B io gra fia de l P ro fet a, Ba rce lo na, T usq uets, 2005 .

3 - Ballesteros Gaibrois, Manuel, Don Rodrigo Jiménez de Rada, Barcelona, 1936.

4 - Barceló, Miguel; Martínez Gázquez, José (edd.), Musulmanes y cristianos en Hispania.

5 - durante las conquistas de los siglos XII y XIII.

6 - Barkai, Ron, El enemigo en el espejo, Cristianos y musulmanes en la España medieval, Madrid 2007.

7 - Bell, R. / Watt, W. M., Introducción al Corán, trad. M.a Mercedes Lucini, Madrid 1987.

8- Burkert, Walter, The orientalizing revolution: Near Eastern influence on Greek culture in the early archaic age, trad. Margaret E. Pinder / Walter Burkert, tit. org. Die orientalisierende Epoche in der griechischen Religion und Literatur, Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts / London, England, 1995.

9- Burman E., Thomas, Tafsīr and Translation: Traditional Arabic Qur'ān Exegesis and the Latin Qur'āns of Robert of Ketton and Mark of Toledo, (en:) Speculum, A Journal of Medieval Studies, 73, published by The Medieval Academy of America, Cambridge, Massachusetts, 1998.

10- Burman E., Thomas, Exclusion or Concealment: Approaches to Traditional Arabic Exegesis in Medieval-Latin Translations of the Qur'ān, (en:) Scripta Mediterranea, Vols XIX-XX 1998-1999, 181.

11- Burman E., Thomas, Cambridge University Library MS Mm. V. 26 and the History of the Study of the Qur'ān in Medieval and Early Modern Europe, (en:) Religion, Text, and Society in Medieval Spain and Northern Europe. Essays in honor of J. N. Hillgarth, Edited by Thomas E. Burman, Mark D. Meyerson, and Leah Shopkow, Toronto, 2002.

12- Burman E., Thomas, The Latin-Arabic Qur'ān Edition of Egidio da Viterbo and the Latin Qur'āns of Robert of Ketton and Mark of Toledo, (en:) M. Barceló-J. Martínez Gázquez (eds.), Musulmanes y cristianos en Hispania durante las conquistas de los siglos XII-XIII, UAB-Bellaterra, 2005, págs. 103-117.

13- Burman E., Thomas, Reading the Qur'ān in Latin Christendom, 1140-1560, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, Pennsylvania, 2007.

14- O'Callaghan, Joseph F., Reconquest and Crusade in Medieval Spain, 2003 University of Pennsylvania Press.

15 - Castells Criballés, Margarida, Alguns aspects formals de la traducció llatina de l'Alcorà de Robert de Ketton (ca. 1141-1143) i la seva relació amb el text original àrab, (en:) Faventia 29/2, 2007, págs. 79-106.

16 - Castro, Américo, España en su historia. Cristianos, Moros y Judios, 1984, Barcelona.

17 - Cisneros, Fernando, El libro del viaje nocturno y la ascensión del Profeta = Kitâb al- isrâ' wa-l-mi'râj li-l-Imâm Ibn 'Abbâs / estudio introductorio y traducción, El Colegio de México, Centro de Estudios de Asia y África, México, D. F., 1998.

18 - de la Cruz Palma, Óscar, «La información sobre Mahoma en la Doctrina pueril de Ramon Llull», (en:) Taula, quaderns de pensament, núm. 37, 2002, pág. 37-49.

19 - de la Cruz Palma, Óscar, «La Vita Magumethi de Voragine – Iacobus a Voragine (Iacopo da Varazze) c. 1226 – 1298», http://www.hottopos.com/, Mirandum 19, CEMOrOc Feusp – IJI Univ. do Porto – 2008.

20 - Daniel, Norman Islam and the West The Making of an Image, Edinburgh, 1960.

21 - Díaz y Díaz, Manuel C., Los textos antimahometanos más antiguos en códices españoles, (en:) Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge 37, 1970, págs. 149-168.

22 - Ferrero Hernández, Cándida, Quis (queat) dinumerare tam inportuna naufragia?, SEEC, Valencia, 2007 (en prensa).

23 - Ferrero Hernández, Cándida, Cristianos y musulmanes en la Historia Arabum de Rodrigo Jiménez de Rada, (en:) The Journal of Medieval Latin, A Publication of the North American Association of Medieval Latin, Brepols, Toronto, 2009, págs. 356-373.

24 - Maurice Gudefroy – Demombynes, Mahomet, Paris, 1969.

25 - Gaudefroy-Demombynes, Maurice Mahomet, trad. Hanna Olędzka, Narodziny islamu,
26 - Varsovia, 1988.
27 - González Muñoz, Fernando, «La leyenda de Mahoma en Lucas de Tuy», (en:) Actas: III Congreso Hispánico de Latín Medieval (León, 26-29 de Septiembre de 2002), vol. I, coordinador: Maurilo Pérez González. León: Universidad, Secretario de Publicaciones y Medios Audiovisuales, (2002), págs. 347-358.
28 - González Muñoz, Fernando, «Liber Nycholay. La leyenda de Mahoma y el Cardenal Nicolás», (en:) Revista de Estudios Árabes Al-Qantara, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, Instituto de Filología, XXV, 1 (2004), págs. 5-43.
29 - Khoury, Adel-Th., Einführung in die Grundlagen des Islams, trad. Claudio Gancho, Los fundamentos del Islam, Barcelona 1981.
30 - bajo la dirección de Lenzenweger, Josef;; Stockmeier, Peter;; Amon, Karl;; Zinnhobler, Rudolf, Historia de la Iglesia Católica, Barcelona 1989.
31 - Carlos Martin, José, Chronica Byzantia-Arabica: contribucion a la discusion sobre su autoria y datacion, y traduccion anotada. E-Spania 1 (Junio 2006), págs. 1-22, revista virtual consultable en http://e-spania.revues.org/.
32 - Martínez Gázquez, José, La ignorancia y negligencia de los latinos ante de la riqueza de los estudios árabes, UAB-Bellaterra, 2005.
33 - Maser, Matthias, Die Historia Arabum des Rodrigo Jiménez de Rada. Arabische Traditionem und die Identität der Hispania im 13. Jahrhundert, Studie – Übersetzung – Kommentar, Berlin, 2006.
34 - Montero Cartelle, Enrique, «El tópico de Christus Medicus en la poesía latina medieval», (en:) Poesía Latina Medieval (siglos V-XV), Actas del IV Congreso del ((Internationales Mittellateinerk omitee)) Santia go de Co mpo ste la, 12-15

de septiembre de 2002, al cuidado de Manuel C. Díaz y Díaz y José M. Díaz de Bustamante, Firenze 2005, págs. 321-334.

35 - Petrus Pons, Nàdia, Liber Alchorani quem Marcus Canonicus Toletanus trastulit (Edición crítica de los capítulos I—IV), trabajo de investigación dirigido por Dr. José Mart íne z Gá zq ue z, U A B 2004.

36 - Ruiz, Gonzálvez, Hombres y libros de Toledo, Fundación Ramón Areces, Madrid 1997.

37 - Sandoval Martínez, Salvador, «La figura de Mahoma en Contra perfidiam Mahometi, de Dionisio Cartujano», (en:) Espacio y tiempo en la percepción de la Antigüedad Tardía, Antig. crist. (Murcia) XXIII, 2006, págs. 627-645.

38 - Tescaroli, Livio, El Corán y el Islam, trad. Juanjo Armendáriz, Javier Sotil, Barcelona, 1980.

39 - Tolan, J., Antihagiography, Embrico of Mainz's Vita Mahumeti, Journal of Medieval History, vol. 22, 1o (1996) 25-41.

40 - Valcárcel, V., «La Vita Mahometi del códice 10 de Uncastillo (s. XIII): Estudio y edición» (en:) Actas: III Congreso Hispánico de Latín Medieval (León, 26-29 de Septiembre de 2002), vol. I, coordinador: Maurilo Pérez González. León: Universidad, Secretario de Publicaciones y Medios Audiovisuales, (2002), págs. 211-245.

41 - Vernet, Juan, Mahoma, Madrid, 1987.

42 - Watt, W. Montgomery, Muhammad at Mecca, Oxford University Press 1968.

43 - Watt, W. Montgomery, Mahoma, profeta y hombre de estado, Buenos Aires 1973.

44 - Wissen über Grenzen Arabische Wissen und Lateinisches Mittelalter, (en:) Miscellanea Mediaevallia, Band 33, 2006.

المعاجم والقواميس

1 - Brill, E. J., Gibb, H. A. R., Kramers, J. H., Lévi-Provençal, E., Schacht, J., et al., The Encyclopaedia of Islam, vol. I-, 1986-

2 - Forstner Osb, Dorothea, Die Welt der christlichen Symbole, trad. Świat Symboliki Chrześcijańskiej, W. Zakrzewska, P. Pachciarek, R. Turzyński, Varsovia, 1990.

3 - Jurewicz, Oktawiusz, (ed.) Słownik grecko-polski, basado en el diccionario de Zygmunt Węclewski, Varsovia 2000.

4 - Kopaliński, Władysław, Słownik mitów i tradycji kultury, Varsovia 1985.

5 - Kopaliński, Władysław, Słownik symboli, Varsovia, 1991.

6 - Plezia, Marian, (ed.) Słownik łacińsko-polski, Varsovia, 1998.

7 - Reda, Yussof M, Dr., Al-Muín, Diccionario Español-Árabe, Librairie du Liban Pub lis her s, Líba no 2001.

المصادر الالكترونية

1 - 1. Islamolatina – La percepción del Islam en la Europa Latina ht tp :// hipat ia. uab.ca t/ is la mo la t ina /p ub/co nt ingut.asp?c_ep igra f=1& me nuid io ma=ca (consultada el 18 de mayo de 2009)

2 - Comparative Index to Islam – from the Qur'an, Hadiths, Taurat, Injil and other sources http://www.answering- islam. org/Index/index.html

3 - (consultada el 18 de mayo de 2009)

4 - Μικρός Απόπλους - Αρχαία Ελληνικά Κείμενα http://www.mikrosapoplous.gr/texts1.htm

5 - (consultada el 18 de mayo de 2009)

6 - CRCC: Center For Muslim-Jewish Engagement: Resources: Religious Texts

7 - http://www.usc.edu/schools/college/crcc/engagement/resources/texts/muslim/hadith/

كتاب نيقولاوس

LIBER NYCHOLAY

أسطورة محمد والكاردينال نيقولاوس

دراسة لفرناندو غونساليس مونيوس
FERNANDO GONZÁLEZ MUÑOZ

هذا الكتيب الذي أحققه يقدم نظرة نادرة حول سيرة وتعاليم محمد، تبدو فيها ملاحظات دقيقة تتعلق ببعض التعاليم والشعائر الإسلامية التي تتخللها خيالات غريبة ومفارقات، والتباسات ذات طبيعة مختلفة. كل ذلك بلهجة تبدو محايدة وتوافقية، خالية من النقد ذي الملاحظات المشينة الذي كان شائعاً جداً عند الكتّاب المسيحيين في العصور الوسطى.

لا يتعلق الأمر بنص مجهول بالنسبة للمهتمين بالعلاقة بين الإسلام والغرب على مدى العصور الوسطى. فقد أشار إليه أليساندرو دانكونا Alessandro D'Ancona بشكل مفصّل في دراسته الشهيرة: أسطورة محمد في الغرب La leggenda di Maometto in Occidente. كما علّق نورمان دانيال Norman Daniel بشكل وجيز

على بعض خصوصياته في دراسته النموذجية: الإسلام والغرب Islam and the West. The Making of an Image. كذلك فإن الدارسة اللامعة للتبادلات الثقافية بين العرب والأوروبيين، ماري تيريز دالفيمي Marie Thérèse D'Alvemy، كانت قد نشرته في عدة مناسبات، لكن نظراً لظروف أجهلها، لم تقم بإنهائه[1].

وحيث إن هذه هي النسخة الأولى من كتاب نيقولاوس Liber Nycholay، وجدت من المناسب أن أركّز جهدي على إنشاء نص نقدي صافٍ ما أمكن. ومع ذلك، اعتقدت أنه لا غنى عن إرفاق النسخة بدراسة موجزة أعلّق من خلالها على بعض محتواها، لأعزز مكانتها في إطار التقاليد حول محمد والإسلام التي ظهرت في أوروبا القرون الوسطى.

المخطوطات

وصل إلينا كتاب نيقولاوس ضمن مخطوطتين Parisinus BN (P lat. 14503, ff. 352r.-354r) و Vaticanus Reginensis Latinus (V 627, ff. 17v.-18v) مع أنّ المخطوطة الأولى تنقل النص كاملاً، تتوقف المخطوطة الفاتيكانية عند السطر 58:

appréhendent VIImulieres uirum unum in die illa dicent

المخطوطة الباريسية، التي وصفتها دي الفيمي D'Alvemy بشكل مفصل[2] تحوي ملفاً غنياً من النصوص المتعلقة بالإسلام، من

(1) D'Alvemy, M. Th., «Pierre le Vénérable», 166, n. 2; «La connaissance de l'Islam», 597, n. 34.
Al-Qantara XXV , 1 (2004) 5-43.

(2) D'Alvemy, M. Th., «Marc de Tolède», 52-56.

بينها ترجمة ماركوس دي توليدو اللاتينية للقرآن (ff. 155r._217v.) وجميع نصوص ما يُدعى المجموعة الطليطليّة[1] Collectio Toletana. ويبدو أنه قد تم تجميعها في أفينيون Avignon في النصف الثاني من القرن الرابع عشر. وتعود إلى مكتبة دير سانت فيكتور في باريس، حسب ما يظهر في قسم ex libris من الورقة: fol. 1. كذلك في السجل التالي في القرن الخامس عشر على الورقة 355r.

Hunc librum acquisiuit monasterio Sancti Victoris prope Parisius frater Johannes Lamasse dum esset prior eiusdem ecclesia.

اقتنى هذا الكتاب دير القديس فيكتور بالقرب من باريس عندما كان لا يزال كنيسة عن طريق الأخ جوهانز لاماس.

أي بين العامين 1442 و 1448 .

أما المخطوطة الفاتيكانية Vaticanus Reginensis Latinus 627 والتي تعود للقرن الثالث عشر أو بدايات القرن الرابع عشر، فتحتوي إضافة لكتاب نيقولاوس، كتاب الحكايا القديمة والحديثة للأباطرة والباباوات الرومان Liber de istoriis ueteribus et modernis imperatorum et pontificum romanorum لجوهانز روفيس Johannes Ruffiís[2]. وهو يفتتح عمله بالكلام التالي:

يبدأ الكتاب الذي ألّفه الأخ جوهانز روفيس، الحكايا القديمة والحديثة للأباطرة والباباوات الرومان، فيه وقائع أسلافنا وتاريخنا المعاصر مضمّنة في كتابات الأخ جوهانز روفيس، التي تحمل حكمته وخبرته وحكمه وحصافته. (fol Ir).

---

(1) انظر D'Alvemy, M. Th., Deux traductions latines

(2) انظر دراسة Sommerlechner, A., «Eine Stadtromische Kai- ser-Papst- Geschichte فيما يتعلق بوصف المخطوطة وتحليل محتواها

تنقسم مخطوطة الوقائع عملياً إلى قسمين، يبدأ كل منهما بالعنوان التالي:

Crónica de summis pontificibus romanorum (ff. 9r.-17r.) Incipit: Dominus Ihesus Christus qui fuit primus et summus pontifex... Explicit: Urbanus, qui fuit patriarcha Ierosolimitanus, uixit in hoc seculo annis.

فيها خلاصة أخبار الباباوات وصولاً للبابا أوربان الرابع (1261–1264) دون أن تشير إلى عدد سني ولايته. وتتحدث عن الباباوات خلال القرن الثاني عشر منذ أوربان الثاني (1088–99) حتى كليمينت (1187–91) وتشملهما أيضاً.

من المفروض أن يكون هذا العمل قد أُلّف في 1261–2. وبمعزل عن الاسم فإن ما يعرف عن الكاتب قليل جداً، كذلك الأمر بالنسبة لهوية من آلت إليه والمشار له في العنوان الرئيس. من المفترض أن يوهانز روفيس أنجز عمله في روما على ضوء العديد من الأخبار والأساطير المحكية ذات النكهة المحلية، لكن من المحتمل أن يكون قد تواجد في جنوب إيطاليا، إذ إنه أظهر اهتماماً بشكل خاص في المسائل المتعلقة بمملكة صقلية تحت حكم هوهنشتاوفن Hohenstaufen، كذلك سوف نناقش العلاقة بين هذا العمل وكتاب نيقولاوس.

لم تصلنا المخطوطة الفاتيكانية كاملة، ليس لفقدان جزء منها، بل بسبب التخلي عن عملية إنتاجها في لحظة ما. وكما قلنا سابقاً، فإن نص كتاب نيقولاوس يتوقف فجأة في منتصف ورقة مزخرفة. كذلك يفتقد للأحرف الكبيرة في بداية كل فقرة.

فيما يتعلق بتحريري الحالي للنص، فقد فضّلت الأخذ بالمخطوطة الباريسيّة، التي تتضمن النص كاملاً، كذلك أخذت بخصائصها الإملائية، مع ذلك ففي بعض النقاط قررت الاستعانة بالمخطوطة الفاتيكانية. التوجه النقدي يطال كل التمايزات بما فيها المجرّدات الإملائية، وتوجه مصادري آخر يتناول النصوص الكتابية (البيبلية) التي استطعت الوصول إليها.

النص

Incipit liber Nycholay, qui dicitur Machumetus, quomodo chrístianam legem subuertit et credulitatem sarracenorum fecit.

Legimus in hystoríis romanorum quod Nycholaus, qui Machometus dicitur, unusfuit de septem dyaconibus cardinalibus ecclesie romane. Hic cum esset in gramática, dyaletica et astronomía doctus ac in factis secularibus eruditus et omnes diuersas linguas loqui sciret, et neccesse esset utpost Constan- tini imperatoris baptismum uniuersis mundi nacionibus euangelium manifes- tumfieret, Agabitus summus pontifex, qui tenebatur senectute decrepita, cum omnium cardinalium uoluntate, Nycholaum in suum successorem elegit. Erat enim consuetudo antiquitus obseruata quod, sicut Petrus apostolus fuit a Ihesu Christo electus, et Petrus elegit Clementem, ita unusquisque papa, dum credebat morí, unum de cardinalibus eligebat successorem sibi. Et sic factus fuit Nycholaus in Hyspaniam et Barbariam apostolice sedis generalis legatus.

Qui cum uniuersas regiones ad quas missus fuerat adfidem catholicam con- uertisset et fere totus mundus baptizatus fuisset, uniuersalis ecclesia, que post passionem Ihesu Christi in persecucione fuerat apostolorum et aliorum christianorum usque ad témpora Constantini per trecentos annos et amplius, postquam Constantinus baptizatus et mundatus fuit a lepra, iterum in pros- peritate maxima per alios trecentos annos fuit usque ad témpora Machometi.

Sed cum adhuc Nycholaus esset in legacione sua, Agabitus

papa obiit et fuit cum debitis exequiis tumulatus. Vnde quia corpus pape defuncti, sicut moris est, in túmulo claudi non debet nisi alius papa succédât etfaciat absolucio- nem defuncto, lohannem, tytulo sancti Laurencii in Damasso presbiterum cardinalem, in summum pontificem elegerunt, et hocfecerunt quia erat in se- nectam et senium et pocius de morte quam de uita sperabant ipsius.

Miserant enim sollempnes nuncios ut Nycholaus Romam rediret; grandis enim erat uia, magis equidem quam unius anni in eundo et redeundo iter ha- bebat. Estimabant tunc cardinales utpapa senior interim moreretur. Sed qui

fuerat in cardinalatu debilis et macilentus, confortatus et inpinguatus est in papatu.

Adueniente igitur Nycholao, omnes cardinales ei obuiam exiuerunt, et licet de papa ab ipsis facto ualde indignatus fuisset, tamen indignacionem eius multum mitigaueruntpretendentes sibi excusacionem initam curfecerunt. Ad hec insuper unanimiter promiserunt quod absque cogniuentia ipsius et sine uoluntate eius nichil penitus faceré uel ordinare debebant.

Et accedens cum cardinabus ad ipsum papam nullam ei reuerenciam fecit. Sed in corde et corde loquebatur contra ipsum uerba dolosa et quod in eius preiudicium (in) apostolatum assumpsisset. Cum hec et faliis similia) hiis si- milia increpando eum iugiter non cessaret loqui, summus pontifex dixit ei quod ad curiam non accederet nisi uocatus, quia ipsum in senectute sua ni- mium infestabat. Quare Nicholaus accensus ira, cum nimio furore respondit: «Ego ostendam tibi, Johannes, qui diceris papa romanus, quis inter me et te maior erit in uniuerso circulo orbis terre». Et audientibus cardinalibus ira- tus (respexit) recessit et ad domum suam se reduxit.

Vndepost modum cogitauit quomodo christianam religionem subuerteret et nouam sectam inueniret, premeditatus

fuit in corde suo contra romanam ec- clesiam maximam controuersiam tali modo. Fecit sibi maximum pergame- num inueniri et optime preparatum et magnis litteris deauratis ipsum scrip- sit, incipiens: «In principio creauit deus celum et terram». Item quomodo fecit hominem Adam de limo terre et qualiter propter preuaricacionem et inobedienciam de paradyso uite ad mortem seculi expulsus fuit. Item quod dixit homini deus: «Terra es et in terram reuertereris et postquam morieris reuerteris ad paradisum et uita uiues et ultra non morieris».

Docuit etiam quod mulier esset subdita homini et quod homo apprehenderet tot mulieres quot posset nutriré, et quot apprehenderet mulieres in uxores tot reciperet inparadyso mérita, tribuens auctoritatis doctrinam, sicut scriptum est: «appréhendent VII mulieres uirum unum in die illa dicentes: panem nos- trum comedemus et uestimentis nostris operiemus, tantummodo inuocetur nomen tuum super nos, aufer opprobrium nostrum».

Igitur sacerdotibus inhibuit confiteri delicia, docens quod ex confessione multa mala orta et perpetrata fuissent. Et scripsit dicens quod omnipotenti deo omnia sunt manifesta. Affirmauit eciam quod uerbum dei natus homo ex Maria uirgine, qui deus est Ihesus Christus, dixit peccatoribus et leprosis: «Ite, ostendite uos sacerdotibus», et dum irent non ad confitendum sed ad os- tendendum mundati sunt. Quare creator omnipotens uult et precipit ut in corde peniteamini, quia scriptum est: «Et tu remisisti peccatum meum». Scripsit et docuit Psalterium dauiticum de uerbo ad uerbum, sicut iudei et christiani habent. Ipse enim bene nouerat tanquam qui cardinalis et omnibus facultatibus eruditus erat.

Constituit et docuit ut unusquisque sarracenus antequam intraret ecclesiam mixitam abluere debeat de aqua manus et faciem et dicat: «miserere mei, deus, secundum magnam misericordiam tuam, laua me, domine, ab iniquita- te mea et a peccato meo munda me». Et iniunxit nudis pedibus intrent

sarra- ceni mixitam. Nec debent in ipsam spuere propter aliquam neccesitatem, et si iniret neccesitas, exire debet ab ecclesia. Talis consuetudo data est sarra- cenis.

In pergameno scriptum erat quod deus omnipotens Mahumet de nuncio suo mandauit ut multas gentes aquireret et ipsas sarracenos nominaret, id est, fi- lios Sarre satos. Etponens eis quod Sara fuit uxor Abrahe et quod deus cons- tituit Abraham patrem multarum gencium, et ita sunt sarraceni filii Abrahe nominati.

Docuit quod omnes sarraceni mixita(m) cum cera et oleo honorarent et illuminarent et sacerdotibus suis, id est, sancta conseruantibus, de omnibus que possident certum, quasi bis deo debitum, certis temporibus offerant, et triginta diebus continue ieiunare sarracenis instituit, et in rotacione lune de mense Martii celebrare Pascha, in quo quilibet sarracenus, si possibilitatem habet, unum arietem occidat, sicut Abraham arietem de mandato dei occidit et immolauit Voluit et ibi dixit ut omnes pelles arietum sarraceni portent ad mixitam et dent sacerdotibus suis, et carnes comedant et pauperibus partem faciant iuxta possibilitatem suam.

Omne ieiunium et quando ieiunant per totum diem obseruare ieiunando mandauit, dicens non est uerum illud quod dicitur *** Ieiunant tantum die, non ieiunant si in ipso die comedunt. Transacto uero die, postquam sero ue- nerit, de omnibus que deus eis dederit et habere potuerit comedant.

Vinum autem non bibunt quia, sicut scriptum est: «uinum apostatare facit sapientem», unde maledixit omnibus qui bibunt uinum in die. Si uero bibant uinum in noctem propter dormicionem non incurrant malediccionem. Sicut ipse Mahumetus aquam pigmentis et speciebus confectam (bibat) bibebat, ita sarraceni diuites et potentes aquam quasi xerubium confectam bibunt. Multe prouincie sunt in occidentalibus et aquilonis partibus in quibus homi- nes ceruisiam de frumento, pomeratam de pomis et medonem de melle, diuerso modo

aquam conficiunt et ipsam pro uino bibunt. Et ideo Machometus exinde sumpsit materiam ut aquam sarraceni bibant, quam eciam in reg- nis et prouinciis meredie non sine difficultate potest haberi.

Scripsit insuper et precepit ut corpora defunctorum sepeliantur in locis in quibus haberetur aqua et ibidem cinericia eorum fiant, docens quod sicut aqua surgit de terra, ita (anime surgent de corpore) anima surget de corpo- re et reuertitur adpatriam paradisi, de qua Adam primus homo expulsus fuit. Docuit et precepit ut omnis homo circon(ci)datur et postquam fuerit cir- concisus debeat statuto tempore ieiunare.

Docuit eciam sarraceni(s) firmiter credens quod uerbum omnipotentis dei, Christus, de Maria uirgine natus fuit et ipse inter nos homines factus est homo. Ipse debet de quadraginta annos mundum iudicare et omnes homines sub sua potestate ***. Deinde, sicut Adam mortuus fuit, morietur et ipse. Adiunxit quod quicumque nascitur morietur, adhuc: «omnis caro fenum». Postquam omnia ordinando scripsit, iter arripuit et ad illos quos ab ydolo- rum cultura ad christianam fidem reuocauerat fuit reuersus. Conuocans ad se omnes maiores natu congregauit per eos gentes et concilium celebrauit apud Marrocos, ubi uenire fecit uniuersos pontifices et prelatos quos ipse constituerat Et eleuatis manibus intuens in celum oculis iniunxit om(n)ibus quod diligenter ipsum audirent. Qui locutus est dicens: «Filii uniuerse car- nis, audite et intelligite omnia que deus cell et terre creator fecit michi prop- ter uos. Dum ego uellem Romam redire et appropinquarem ei, audiui uocem dicentem michi: «reuertere adpopulum meum quem seduxisti'. Audiens qui- dem uocem et nichil uidens tremefactus in terram cecidi. «Ego ostendam tibi quid te oporteat faceré \ Et ego dixi: «Qui(s) es, domine, et qui(d) iubes me faceré? ' Et ipse dixit ad me: «Ecce do tibi legem meam scriptam digito meo non in lapide, sicut per Moysen famulum (tuum) meum iudeis dedi, qui lapideum cor habuerunt, sed in (pergamane) pergameno arietis quem sacri- ficauit et obtulit michi Abraham

senex fidelis. Et portes preceptum meum omnibus gentibus et dedicaris omnipotentis dei nuncius'. Statim qui carta cecidit super me et lumen recepi et reuersus sum ad uos in laboribus, ieiuniis et oracionibus multis, unde quod deo placuerit flat, et quod ante factum est destruatur, quia a deo factum est et est mirabile in oculis nostris.»

Etprecepit quod omnes calices, uestimenta sacerdotalia et pannos altarium et euangeli(c)a et alios libros prelati uenderent, et ad ipsum pecuniam re- portarent. Tantam quidem pecuniam congregauit ex uendicione rerum et ue- neracione legis et i(n) stitucionepontificum, qui dicuntur caxisi, que omnes nobiles milites faciebat et populares cotidie uicissim adprandium inuitabat, multis pauperibus porrigebat pecuniam et multas mulleres pauperculas ma- ritabat. Gaudium et leticiam cum omnibus semper habebat, gaudebat cum gaudentibus etflebat cum flentibus, omnia que habebat pauperibus dabat, die et nocte orationibus uacabat et omni die ieiunabat et ita faciebat quod omnes uerum dei nuncium ipsum esse credebant.

Et quiafidem habebant in eum fides operatafiiit quibusdam infirmis. Habent enim sarraceni scriptum quod duos leprosos mundauit, unum cecum illumi- nauit et quatuor paralitiquos sanauit. Et ideo sarraceni post deum omnium uiuificatorem ipsum adorant apud Baldacca. Vbi credunt quod in sextaferia, iam lucis orto sydere, fiiit Machumetus mortuus et assumptus in celum. Affir- mant eciam quod quedam discipula eius nomine Charufa incantauit pedem dextrum ipsius ad deum et ad omnes angelos qui ipsum eleuauerant et fere- bant in celum, misericordiam inuocando quod pes pro reliquiis in manibus eius remis(er)it.

Quarefecerunt arcam deauratam et in ea posuerunt pedem ipsum balseman- do et aromatibus inuoluendo, et ita omnibus sarracenis caput est Baldacca sicut Roma caput est christianis. Et sicut omnes ecclesie romane subiacent dignitati, sic omnes mixité sarracenorum Baldace sunt subdite potestati. Apud

Romam est summus pontifex christianorum et apud Baldaccam sum- mus pontifex sarracenorum et uocatus est califfus.

Omnes sarraceni peregrinacionem faciunt ad Mecham et adorabant ibi pe- dem in archa, pedem Machumeti Archa uero in aere detinetur suspensa et trahitur a tribus magnis lapidibus calamitis in cathenis pendentibus super cam, non est enim ex ilia parte deaurata archa, quam superius calamite tan- gunt. Credunt multi simplices sarraceni quod non artificióse sed potius uir- tuose illud sit factum.

Quemadmodum christiani papam romanum credunt uicarium Ihesu Christi, 168 sic sarraceni credunt califium de Baldacca esse uicarium. Et sicut christiani credunt (Ihesu Christum filium deifuisse, sic sarraceni credunt) Machume- tum fuisse nuncium et prophetam altissimi creatoris et fieri salui per ipsum ante deum.

Machumetus uixit in hoc seculo LX annis et mensibus septem. Ipse fecit in

Maroco imperatorem sarracenorum qui dicitur miramulus maximitus. Coro- 174 nauit in Barbaria et Arabia et Arm(en) nia et Chaulandia et Cinthia triginta et duos reges. Constituit in partibus orientalibus potentes principes qui di- cuntur soldani: soldanum de Caro Babylonie et soldanum Alexandrie, solda- 177 num de tractu Iherusalem, soldanum de Alap et de Tuneo et soldanum de Damasco, et constituit sub pena maledictionis perpétue quod uniuersi obse- ruent legem quam dédit ei(s) deus per Machumetum nuncium suum, et qui legem ipsam dimiserit decapitetur.

De cunctis autem offensionibus quas sarraceni faciunt, sicut distinxit et scripsit, uerberibus corriguntur et recipiunt pro unoquoque delicto sui plus et minus uerbera numerata. Inhibuit et mandauit quod nullus sarracenus ce- cari seu inmutilari debeat, sed sifuerit grauis offensa autprodicio decapite- tur. Et mandauit quod singulifsj sarraceni litteras addiscerent ut precepta legis legant et intelligant.

Dicunt et in lege eorum scriptum est quod Machumetus habuit tres uxores et ex omnibus filios masculos fecit, sed nullus filiorum eius ad duodecimum an- num peruenit, mortui quidem fuerunt nee ad annos discrecionis peruenerunt. Corpora filiorum uero et uxorum apud Baldaccam sepulta sunt, ubi cum reuerencia requiritur omni die.

Postquam uero omnia sicut dictum est ordinauit, placuit ei ut apud Baldac- cam sedem suam poneret, ubi uiamfuit uniuerse carnis ingressus. Sed, sicut asseritur, Carufa, que dicta est Machumeti discipula, nimis erat pulcra et ui- rum nobilem maritum habebat, sed cum maritus eius nomine Marzucus ip- sam suspectam haberet et fingeret se iter arripere, dum nocturno tempore clam rediret et inueniret Machumetum et Carufam pariter commisceri, sta- tim Machumetum occidit et ne ipse Marzucus interficeretur a populo machi- natus est (est) cum Carufa consilium quod ab angelis fuit Machumetus por- tatus inparadisum etpes eius, sicut dictum est, remansit in manibus Charufe discipule eius.

Et ita Marzucus et Charuffa collegerunt a sarracenis maxime quantitatis pe- cuniam et ex ea maximam construxerunt ecclesiam quam uocant sarraceni Machumeti Meccam. Et sicut christiani dicunt quod fundatores ecclesie ha- bent ius patronatus in ea, ita Marzucus et Caruffa et omnes qui de eorum consanguineitate fuerunt semper in ipsa mixita ius patronatus habuerunt et de prouentibus et oblacionibus medietatem percipiunt omni die. Aliam uero medietatem charissi presbiteri et canonici m(i)xite inter se diuidunt.

Et nota quod post mortem Machumeti quidam consobrinus Caruffe Buzacan- nus nomine a sociis Machumeti qui archadi, id est, cardinales erant, fuit electus et factus papa, id est, califfus. Qui statim congregauit omnes (et) principes, id est, soldanos sarracenorum, et precepit eis ex parte dei omni- potentis et sicut Machumetus nuncius eius scripserat, ut contra Leonem ter- cium, romanorum imperatorem, qui apud

Constantinopolim morabatur, per mare exercitum facere(n)t. Sed cum Constantinopolim concesisssent, infra urbem ipsam centum hominumfame et pestilencia perierunt, et sarracenorum maxima multitudo (mirei) in mari periit.

Sed ex alia parte dictus califfus Maximitum in Hyspaniam fecit transferre cum innumerata multitudine saracenorum. Qui contra Karolum Magnum, filium Pipini, cum uxoribus etfiliis paruulis regnum Francie inuaserunt quasi

habitaturi, et ex tune usque nunc humani generis inimicus non cessauit ad Tártara secum animas ducere. Infiniti et innumerabiles ex utraque parte homines interierunt et adhuc interire non cessant, dum sarraceni et christiani,

(sarracenos) ac si non essent humane creature, se ad inuicem destruerunt. Omnes tamen unum deum creatorem celi et terre adorant, christiani, iudei et sarraceni, et omnes saluari indubitanter credunt. Amen.

الترجمة

بداية كتاب نيقولاوس، الذي يُدعى محمداً، حول كيف جحد بالإيمان المسيحي وكوّن إيمان السرسنيين.

نقرأ في حكايا الرومان أنّ نيقولاوس، أحد الكرادلة الخُدّام في الكنيسة الرومانية. وكما كان عليماً في النحو والجدليّة والتنجيم، وعارفاً في الأمور الدنيوية، وعرف التحدّث بلغات عديدة، ولما كان من الضروري بعد معمودية الإمبراطور قسطنطين، أن يكون الإنجيل معروفاً لدى جميع شعوب العالم، اختار الحبر الأعظم أغابيتس، بعد أن طعن في السن، نيقولاوس خلفاً له وبموافقة جميع الكرادلة. كانت بالفعل عادة ملحوظةً منذ القِدم، كما اختير بطرس الرسول من قبل يسوع المسيح، وبطرس اختار كليمنت، وهكذا فكل بابا كان يشعر بدنوّ أجله، كان يختار واحداً من الكرادلة ليخلفه. وهكذا سمّي نيقولاوس وارثاً عاماً للكرسي الرسولي على إسبانيا وبلاد البربر.

بعد أن جعل كلّ الأقاليم التي أُرسل إليها تعتنق الإيمان الكاثوليكي وتعمّد نحو العالم أجمع، تمتّعت الكنيسة الكاثوليكية، بعد أن عانت إثر آلام المسيح من اضطهاد الرسل وبقية المسيحيين حتى زمن قسطنطين على مدى أكثر من ثلاثمئة عام، بالازدهار من جديد لثلاثمئة عام أخرى حتى زمن محمد.

لكن وبينما كان نيقولاوس شاغلاً لمنصب الخلف، توفي البابا أغابيتس ودفن بالتشريفات الواجبة. لذلك، وطالما أن جثمان البابا الراحل، كما هي العادة، لا يمكن أن يُدفن دون أن يمنح البابا الذي يخلفه بـراءة الدفن، اختاروا يوحنا حبراً أعظم، وهو الكاردينال الفخري في "سان لورينزو في دماسو"، ويعود سبب ذلك لأنه كان مسنّاً وكانوا ينتظرون مماته أكثر من حياته.

أرسلوا بعثة رسمية ليطلبوا من نيقولاوس العودة إلى روما. وكانت بالفعل الرحلة طويلة؛ حيث استمرت لأكثر من عام بين الذهاب والإياب. واعتقد الكرادلة أنه في هذه الأثناء سوف يموت البابا المسنّ، إذ إنه كان ضعيفاً ونحيلاً خلال الكردلة، لكنه قويَ وسمن في فترة باباويته.

وهكذا، عندما وصل نيقولاوس، خرج جميع الكرادلة لملاقاته، ومع أن انتخابهم بابا أثار سخطه، إلّا أنهم قد خففوا من انزعاجه بتقديمهم الاعتذار عما فعلوا. كما وعـدوه بالإجماع أنهم دون مشاركته وموافقته لن يقوموا بأي شيء على الإطلاق.

وعندما مثل أمام البابا برفقة الكرادلة لم يقم بتبجيله، بل تلفّظ بحقه وفي الصميم بكلمات سيئة، وادّعى أنه اتخذ الكرسي لأجل أن يؤذيه هو. وبما أنه لم يتوقف عن الكلام، متهماً إياه بهذه الأمور وأخرى مشابهة، قال له الحبر الأعظم ألا يقترب من المجلس إلى أن يُستدعى، ولكونه مسنّاً ما أزعجه بشكل كثير. وبهذا الموقف، أجابه نيقولاوس الساخط بغضب شديد: «أنا سأعلّمك يا يوحنا، يا من يُدعى بابا روما، أنّ الذي ما بيني وبينك سيكون أكبر من كل دائرة

العالم الدنيوي». وإذ سمعه الكرادلة، غادر غاضباً وعاد إلى دياره.

عندما فكّر ببثّ بذور الشقاق في الدين المسيحي وتكوين بدعة جديدة، اعتزم في قلبه أن يتواجه مع الكنيسة الرومانية بالطريقة التالية. طلب أن يزود بلفافة مخطوط ذات حجم كبير، وعندما تم تحضيرها، كتب عليها بحروف ذهبية كبيرة هكذا: في البدء خلق الله السموات والأرض. كذلك كوّن آدم الإنسان من طين الأرض، وبسبب مراوغته ومعصيته طُرد من نعيم الحياة إلى الموت الدنيوي. كذلك بأن الله قال للإنسان: من التراب خُلقت وإلى التراب تعود، وعندما تموت سترجع إلى الجنة وتستمتع بالحياة، ولن تموت بعدها قط.

ونصّ أيضاً أن المرأة تخضع للرجل، وأن للرجل أن يتخذ عدة نساء طالما يستطيع أن يطعمهنّ، وعن كل الزوجات اللاتي يتخذهنّ، سينال مكافآت عديدة في الجنة، وتبيح هذه العقيدة حسب ما هو مكتوب: سبعة نساء سيتخذنَ ذَكراً في ذلك اليوم قائلات:« سنأكل خبزنا ونستتر بأثوابنا طالما اسمك مدعًى علينا، حرّرنا من خِزينا».

وبالنتيجة، حرّم الاعتراف بالخطايا أمام الكهنة، مؤكداً أنه بسبب الاعتراف ظهرت وارتُكبت شرور كثيرة. وكتب أن كل الأمور جليّة لله الكليّ القدرة. وذكر أن كلمة الله، الذي ولد من العذراء مريم، الذي هو الله، يسوع المسيح، قال للخطأة والبرص: «اذهبوا وأظهروا أنفسكم للكهنة» ولأنهم ذهبوا ليظهروا أنفسهم وليس للاعتراف، لذلك تطهّروا. لذلك فالخالق الكليّ القدرة يريد ويفرض أن نتوب في وعينا، لأنه مكتوب: أنت غفرت ذنبي. ونسخ وعلّم مزمور داود كلمة بكلمة، كما هو عند اليهود والمسيحيين. هو، بالفعل، كان يعرفه جيداً كونه كاردينالاً وعالماً بكل المعارف.

كما نصّ وأمر أن على كل سرسنيّ قبل أن يدخل إلى الكنيسة المسجد، أن يغسل يديه ووجهه بالماء، ويقول: «ارحمني يا الله، برحمتك العظيمة؛ اغسلني يا رب من إثمي وطهّرني من ذنبي». وفرض على السرسنيين أن يدخلوا المسجد حفاة. وألا يبصقوا فيه مهما كانت الحاجة. فإن اضطروا عليهم أن يخرجوا من الكنيسة. هذا العرف كان مفروضاً على السرسنيين.

كان مكتوب في اللفافة أن الله كليّ القدرة عهد من خلال رسوله محمد أن يتولى شعوباً كثيرة وأن يدعوهم سرسنيين، أي، أولاد سارة، وأضاف إلى ذلك أن سارة كانت زوجة إبراهيم، وأن الله قد جعل من إبراهيم أباً لكثير من الشعوب، ولذلك يُدعى السرسنيون بأبناء إبراهيم.

نصّ أنه على السرسنيين أن يشرّفوا ويُنيروا المسجد بمصابيح وشموع، وللكهنة، أولئك الذين يحافظون على الأماكن المقدسة، عليهم أن يقدموا لهم في وقت محدد مقداراً معيناً من كل ما يملكون، كدَين على الله يعيده مضاعفاً، وأمر السرسنيين أن يصوموا ثلاثين يوماً دونما انقطاع، وأن يحتفلوا بالعيد عند ظهور القمر في شهر مارس. وعلى كل سرسنيّ في هذا الوقت أن يذبح كبشاً، حسب ما فعل إبراهيم إذ ذبح وتقرّب بالكبش كما أمره الله. وهنا حدّد أن على السرسنيين أن يحملوا كل جلود الخراف إلى المسجد، وأن يعطوها إلى الكهنة، وأن يأكلوا اللحوم ويتشاركوها مع الفقراء، كل حسب مقدرته. أمر بمراقبة الصوم، وأنهم عندما يصومون، عليهم أن يصوموا النهار كاملاً، قائلاً ليس صحيحاً ذلك الـ *** يصومون النهار فقط. لا تأكلوا حين تصومون أثناء النهار. لكن إن قضي النهار عند حلول

المساء، لكم أن تأكلوا ما تشاؤون مما وهبكم الله مما في متناولكم.

بالمقابل، فهم لا يشربون الخمر، لأنه حسب ما هو مكتوب، يجعل الحكيم يرتدّ، لذلك لعن كل الذين يشربون الخمر في النهار، لكن إن تناولوها لأجل النوم، فلن يدانوا باللعنة، كما أن محمداً كان يشرب ماء منكّهاً بالأصباغ والتوابل، كذلك شرب السرسنيون الأغنياء والقادرون الماء المنكّه كشراب. هناك العديد من المناطق في الأقاليم الغربية والشمالية حيث يشرب الرجال جعة الحبوب، ونبيذ التفاح وشراب العسل، حيث ينكّهون الماء بعدة طرائق ويشربونه عوضاً عن الخمر. لهذا السبب اتخذ محمد هذه الفكرة بأن يشرب السرسنيون الماء الذي يصعب الحصول عليه في الممالك والمقاطعات الجنوبية.

كتب وأمر كذلك أن تدفن جثامين الموتى بأمكنة فيها ماء، وتثبّت هناك خزائن الرماد، مبيّناً أنه كما أنّ الماء ينبع من الأرض، كذلك تنبثق الروح من الجسد وتعود إلى الجنة، موطنها، حيث طرد أول البشر، آدم. كما أخبر وأمر أنه يجب على كل رجل أن يختن، وعندما يُختن عليه أن يصوم لفترة معدودة.

كما علّم السرسنيين بإيمان راسخ بأن المسيح، كلمة الله كليّ القدرة، وُلد من مريم العذراء وصار إنساناً بيننا نحن البشر. وهو بشخصه بعد أربعين عاماً سيأتي ليدين العالم وستخضع له البشرية جمعاء. ثم، كمَثل آدم، فهو سيموت أيضاً. وأردف أن كل من يولد يموت، وحتى: الجسد كالقش.

بعد أن رتب هذا كتابةً، باشر رحلاته وعاد نحو أولئك الذين

ساقهم من الوثنية نحو الإيمان المسيحي، داعياً كبارهم للحضور، جامعاً من خلالهم الشعوب ليعقد مجلساً في المغرب، حيث أحضر جميع الكهنة والأساقفة الذين هو (أمرهم) وبيدين مرفوعتين ونظره شاخص نحو السماء، أمر الجميع أن ينصتوا بانتباه، وقال هكذا: «يا أبناء كل الأعـراق، اسمعوا وعوا كل ما فعله لي الله، خالق السماء والأرض، لأجـل دعـواكـم. عندما أردت العودة إلـى رومـا وكنت قريباً منها سمعت منادياً يقول: «عدْ إلى شعبي الذي أغويته». عندما سمعت الصوت ولم أرَ شيئاً سقطت على الأرض مرعوباً: «سأعلّمك ما عليك أن تفعل». وقلت أنا: «من أنت يا سيدي، وبماذا تأمرني أن أفعل؟» فقال لي: «ها أنا أعطيك شريعتي، مكتوبة بيدي، ليست على حجر، كما أعطيتها من خلال موسى، عبدي، لليهود، الذين كانت قلوبهم من حجر، بل على جلد كبش ضحّى به وقدمه لي إبراهيم، العجوز الوفي. وستحمل وصاياي لكل الشعوب وستُدعى رسول الله كليّ القدرة. ولمّا أُنزلت عليّ اللفافة واستعدت بصري، عدتُ إليكم بما أوتيت من جهد، وبالصوم والصلوات العديدة، كي تتحقق إرادة الله ويفنى ما صُنع في السابق، كل ذلك هو من عمل الله والمدهش لعيوننا.

وأمر الأساقفة أن يبيعوا الكؤوس وأثـواب الكهنة، ولوحات المذابح، والأناجيل وغيرها من الكتب، وأن يحملوا إليه الربح، وتراكمت الأمـوال الجمّة من بيع السلع، والتبجيل الديني وتعيين الكهنة، الذين أُطلق عليهم اسم caxisi وجعل كل الجند نبلاء، ودعا الشعب كل يوم لتناول الطعام، وأعطى المال لكثير من الفقراء وزوّج العديد من النساء المعوزات. كان يظهر على الدوام الفرح والسعادة

مع الجميع، كان يسعد مع السعداء ويحزن مع الحزانى، وأعطى كل ما يملك للفقراء، وانكبّ في الغداة والعشي على الصلاة، وصام كل الأيام، وثابر على ذلك الشكل إلى أن أصبح لهم رسولاً حقيقياً من عند الله.

ولأنهم كانوا يؤمنون به، فقد فعل الإيمان تأثيراً على بعض المرضى، وكتب السرسنيون أنه طهّر اثنين من مرضى الجذام، وأعاد البصر لأعمى، وأشفى أربعة مشلولين. لهذا فقد عبده السرسنيون في بغداد، بعد الله، المحيي لكل شيء. هناك حيث يؤمنون أنه في يوم جمعة عندما ظهر نجم مضيء، مات محمد ورُفِع إلى السماء. ويؤكدون كذلك أن تلميذته التي تدعى كاروفا Carufa انتزعت قدمه اليمنى لأجل الله والملائكة الذين رفعوه إلى السماء، داعية رحمته كي يترك لديها القدم كأثر.

لذلك صنعوا تابوتاً ذهبياً، ووضعوا فيه القدم، بعد أن حنّطوها وطيّبوها بالعطر، وهكذا فبغداد هي عاصمة السرسنيين، كما هي روما عاصمة المسيحيين. وكما أن جميع الكنائس تتبع البابا الروماني، وهكذا فجميع مساجد السرسنيين تخضع لسلطة بغداد. في روما يوجد حبر المسيحيين الأعظم وفي بغداد حبر السرسنيين الأعظم، الذي يُدعى خليفة.

جميع السرسنيين يحجون إلى مكة، ويركعون لقدم محفوظة في تابوت، قدم محمد، والتابوت معلق في الهواء بثلاثة أحجار ممغنطة تتدلى عليه بواسطة بعض السلاسل، والتابوت ليس مطلياً بالذهب من الجهة العليا حيث يتصل بالحجارة الممغنطة، والعديد من

السرسنيين السذّج يؤمنون أن هذا يحدث ليس بطريقة مصطنعة، بل بطريقة عجائبية. وكما يؤمن المسيحيون أن البابا الروماني هو خليفة المسيح، فكذلك السرسنيون يؤمنون أن الخليفة في بغداد هو خَلَف. وكما يؤمن المسيحيون «أن المسيح كان ابن الله، كذلك السرسنيون» يؤمنون أن محمداً كان رسول ونبي الخالق العليّ، وبشفاعته عند الله يرجون الخلاص.

عاش محمد في هذا العالم ستين عاماً وسبعة شهور، وهو الذي سمّى في المغرب إمبراطوراً على السرسنيين، الذي كان يدعى أمير المؤمنين الأعظم miramulus Maximitus وتـوّج في بلاد البربر وجزيرة العرب وأرمينيا وتشاولانديا وسينثيا اثنين وثلاثين ملكاً. وفي الأقاليم الشرقية عيّن أمراء أقوياء وأطلق عليهم اسم السلاطين: سلطان القاهرة[1]، سلطان الإسكندرية، سلطان القدس، سلطان حلب[2]، سلطان تونس، وسلطان دمشق. وأقـرّ تحت طائلة اللعنة الأبديّة أن على الجميع مراعاة الشريعة التي منحها الله لهم عبر رسول الله محمد. ومن يدَع هذه الشريعة يقطع رأسه.

جميع الجرائم التي يرتكبها السرسنيون، يعاقبون عليها بالجلد، وفقاً لما هو منصوص عليه بالكتاب. وحسب كل جريمة يتلقون جلدات أكثر أو أقل. ونهى أن تُفقأ عيون أي من السرسنيين أو يمثَل

---

(1) في النص الأصلي: soldanum de caro Babilonie. خذ بعين الاعتبار أن الكتّاب في العصور الوسطى عادة ما يطلقون اسم بابل على القاهرة، بسبب الاسم الأول المركب caro

(2) في النص الأصلي: daalap. ونفترض أنه حلب، مدينة في كيليكيا (آسيا الصغرى) عاصمة الإمارة الحمدانية.

به، لكن إن كانت الجريمة أو الخيانة كبيرة، أمر بأن يُقطع رأسه، وفرض على السرسنيين أن يتعلموا القراءة ليتمكنوا من قراءة وفهم مبادئ الشريعة.

يقولون وكما هو مكتوب في شريعتهم فإن محمداً قد اتخذ ثلاث زوجات وأنجب منهن أولاداً ذكوراً، لكن أيّاً منهم لم يبلغ الثانية عشرة، إذ إنهم ماتوا ولم يصلوا إلى سن الرشد. وجثامين الأبناء والزوجات دُفنت في بغداد حيث يُزارون كل يوم بخشوع.

بعد أن رتّب كل شيء كما ذُكر أراد أن يُنشئ مقراً له في بغداد، حيث دخل في طريق البشرية المشترك (أي مات). لكن حسب ما هو مؤكد، فإن كاروفا تلميذة محمد التي سبق ذكرها، كانت فاتنة الجمال وكان زوجها نبيلاً. ولمّا كان زوجها الذي يُدعى مرزوق Marzoco اشتبه بها، تظاهر بقيامه برحلة، ولمّا عاد في الليل خفية، وجد محمداً وكاروفا يرقدان معاً، فقتل محمداً في ساعته، ولكي لا يُقتل على يد الشعب، لفّق مع كاروفا رواية بأن محمداً قد رفعته الملائكة إلى الجنة، وأن قدمه، كما قيل، بقيت لدى كاروفا، تلميذته.

وهكذا تلقّى مرزوق وكاروفا من السرسنيين الأموال الكثيرة، وبنوا بها كنيسة عظيمة يدعوها السرسنيون مكة محمد. وكما يقول المسيحيون إن مؤسسي الكنيسة لهم الحق في رعايتها، وهكذا فقد تولى مرزوق وكاروفا وكل أقاربهما رعاية هذا المسجد، ويحصلون على نصف الأرباح والأضحيات كل يوم، والنصف المتبقي يعود لـ المشرعين وكهنة المسجد. charissi

ويلاحظ أنه بعد وفاة محمد، انتخب بوزاكانو Bozacano شقيق

كاروفا بابا، أي خليفة، من قبل أصحاب محمد ويدعون archadi أي الكرادلة. فأحضر على الفور جميع الأمراء، أي، سلاطين السرسنيين، وأمرهم باسم الله كليّ القدرة وباسم محمد رسوله، كما هو مكتوب، أن يقوموا بحملة بحرية ضد الإمبراطور الروماني ليون الثالث، الذي يقيم في القسطنطينية، لكن عندما وصلوا إلى القسطنطينية، هلك منهم مئة (ألف) رجل على مشارف المدينة من الجوع والطاعون، كما مات الكثير من السرسنيين في البحر.

من جهة أخرى فالخليفة المذكور جعل واليه يعبر إلى إسبانيا مع حشد عظيم من السرسنيين، هم وزوجاتهم وأبنائهم الصغار، فاتجهوا نحو شارل الكبير «شارلمان» ابن ببين الثالث، كما غزوا مملكة فرنسا بنيّة استيطانها، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن فإن عدو الجنس البشري لم يتوقف عن حمل روح التتار. وقُتل من الرجال من الجانبين ما لا يحصى ولا يُعدّ، وحتى الآن لم يتوقفوا عن الموت، بينما السرسنيون والمسيحيون، كما لو أنهم ليسوا مخلوقات الله، يدمرون بعضهم بعضاً. ومع ذلك فهم يعبدون إلهاً أوحد، خالق السماوات والأرض، والمسيحيون، واليهود والسرسنيون، جميعهم يؤمنون بلا ريب بأنهم سيخلصون. آمين.

كتاب نيقولاوس في إطار الأساطير حول محمد

لقد شاعت فكرة ربط نبي الإسلام بأعضاء إحدى الكنائس المسيحية على مدى تاريخ الأدب الجدلي في القرون الوسطى. وانطلاقاً من الأخبار القليلة في التقليد الإسلامي، وضع كتّاب العصور الوسطى كما أعادوا تشكيل الأسطورة استناداً الى فرضيتين أساسيتين، هما أن محمداً لم يكن نبياً حقيقياً، وأن الإسلام هو اشتقاق منحرف من المسيحية.

تنبّه كتّاب سيرة النبيّ الأوائل أن ناسكاً يدعى بحيرا كان قد تعرّف على علامات مهمة تشير إلى مهمته المستقبلية بينما كان لا يزال طفلاً[1]. وبعد أن بلغ رشده، أكد الأمر ذاته راهب آخر في دعوته، مستنداً إلى بعض مقاطع من النص المقدس التي تعلن عن مجيئه[2]. كما أن التقليد الإسلامي أدرك بدوره علاقة محمد مع زاهد عربي اسمه ورقة بن نوفل الذي تخلّص من عبادة الأوثان وكان قد درس النصوص العبرية والمسيحية، كما ترجم آيات الإنجيل إلى العربية. وعندما مست غيبوبة الوحي الأولى محمداً، كان هو من أقنع زوجته خديجة أن يخضعا لرؤيا جبريل[3].

---

(1) سيرة ابن هشام، 115 – 119. عن الترجمة الإنكليزية: Guillaume, A., The Life of Muhammad, 79-81.

(2) المصدر السابق، 20_199، انظر أيضاً: Griffith, S. H., «Muhammad and the monk Bahîrâ», 154, n. 29

(3) المصدر السابق: 153-4; Guillaume, A., The life, 107

اتخذت أولى الأعمال الاستشراقية جدلية العداء - المحمدي ذاتها، وهذه التقاليد كانت لتأسيس فكرة أن محمداً كان نبياً زائفاً تعلّم ودرس على يد مسيحي مهرطق. وهكذا، ففي النصف الأول من القرن الثامن، يشير يوحنا الدمشقي أن محمداً استمر برفقة راهب آريوسي مجهول[1]. وفي الوقت نفسه، ظهر عملان في موقت مبكر من النصف الأول من القرن التاسع يبدو أنهما يتشبعان بالتقاليد السورية، وهما «الرسالة» المنسوب للكندي وكتاب اسمه إيشوعياب (بالسريانيّة يعني «عطيّة يسوع» أو «عطا يسوع») و"رؤيا سرجيس - بحيرا"، ويتوافقان في إطلاق اسم سركيس على هذه الشخصية، ويذكران أنه تصرف بحسن نية وأن أفضل ما في المذهب المحمدي يدين لتعاليمه. اعتبر الكندي أنه راهب نسطوري، الذي بعد حرمه وطرده من الدير، قال إنه حاول تنصير الوثنين المكيين، ليتصالحوا مع أقرانهم. وبعد أن بدّل اسمه من سيرجيس إلى الاسم النسطوري، كسب صداقة محمد وعلّمه الكتب المقدسة، فجعله في المقام الأول مسيحياً نسطورياً. كما يذكر في هذا العمل، من دون تفاصيل، مدرّس ثانٍ يدعى يوحنا، وله اسم آخر هو بحيرا[2].

من جهته، فكتاب «رؤيا سرجيس - بحيرا» والذي يحفظ منه مخطوطات باللغة السريانية كما بالعربية، إضافة لترجمة لاتينية جزئية[3]، فإنه يروي كيف أن راهباً يدعى سرجيس- بحيرا نفى نفسه

---

(1) Liber de haeresibus, 101, apud Migne, Patrología Graeca, 94, 764B-765A.

(2) الترجمة الفرنسية Tartar, G., Dialogue islamo-chrétien, 180-1 y 231. الترجمة الإيطالية: Bottini, L., Al-Kindl Apologia del cristianesimo, 158 y 213.

(3) بانتظار النسخة التي يحضرها B. Roggema (Univ. de Groningen) es la de Gottheil, R., «A Christian Bahírá legend». نشر النسخة اللاتينية: Bignami-Odier, J. y Levi Delia Vida, G., «Une version latine». كذلك يمكن مراجعة: Griffith, S.H., «Muhammad and the Monk Bahïrà».

إلى صحراء يثرب، التي ستصبح فيما بعد المدينة، بسبب بعض الخلافات مع أقرانه حول الغرض من عبادة (ديانة) الصليب. ولمّا عقد العزم على تنصير العرب الوثنيين، علّم محمداً الشاب النصوص المقدسة والعقائد المسيحية، وألّف كثيراً من آي القرآن وأقنعه أن يعرضها على العرب كوحي من الله أطلع عليها من خلال جبرائيل. لكن محمداً أساء فهم الرسالة ووضع عقيدة جديدة فاسدة، الأمر الذي أدّى بمعلّمه في نهاية المطاف أن يُعلن توبته.

يبدو أن بيزنطة أعارت انتباهاً ضئيلاً لهذا التقليد القادم من سوريا، فالمؤرخون والجدليون، عموماً، امتثلوا لمعلومات يوحنا الدمشقي، على الرغم من جمعها مع رواية إقناع ورقة بن نوفل لخديجة. وهكذا، كان المؤرخ تيوفان المعرّف[1] (765-817) أول من التقط هذا الخبر، لكن دون أن ينسبه للزاهد ورقة، بل لراهب مجهول حمل هرطقته إلى مكة[2]. وقد اتبع تيوفان، مع بعض التمايزات البسيطة، كل من الراهب جورج هامارتولوس[3] George Hamartolos

(1) تيوفان المعرّف (باليونانيّة: Θεοφάνης Ομολογητής) ولد حوالي 760 ميلادي وتوفي حوالي 817 ميلادي. هو أسقف بيزنطيّ جمع كتباً قديمة وكتب على ضوئها تاريخه سنة 813 تقريباً، يسمى اليوم "تاريخ تيوفان" حيث سرد فيه الفترة بين 284 ميلادي و 813 ميلادي.الكتب التي استعملها في الكتابة هي مخطوطات بيزنطية وسريانية وأرمينية وعربية وأخرى. - مترجم

(2) Chronographia a.d. 632, apud Migne, Patrología Graeca 108, 685 B-C. كذلك يعتبر تيوفان أن محمداً قد تواصل في فلسطين مع مجموعات من المسيحيين واليهود حيث تعلم منهم شيئاً عن النصوص المقدسة.

(3) جورج الراهب، أو جورج هامارتولوس (باليونانية Γεώργιος Ἁμαρτωλός) كان راهباً في القسطنطينية زمن حكم ميغيل الثالث، كتب حولية هامة. لم يكن هامارتولوس اسمه الحقيقي بل كان عنوان العمل الذي ألّفه وهو خلاصة حوليات لمؤرخين ومترجمين، جمعها ورتّبها، وكان استخدام الاسم بهذا الشكل تقليداً شائعاً لدى الرهبان البيزنطيين. - مترجم

في النصف الأول من القرن التاسع، وقسطنطين بروفيروغينيتوس (905_959) أو Constantine Porphyrogennetos، والمجهول الاسم «ضد محمد»[1] في القرنين العاشر والحادي عشر، سيدرينو Cedreno المتوفى في 1075، وزونـارا المتوفى في 1130، وإيوثيمو زيغابينو (بدايات القرن الثاني عشر) وغيرهم[2]. من جانب آخر، بشكل أقرب إلى المصادر السورية، يظهر بارثولوميوس الرهاوي الذي يؤكد في عمله «دحض الهاجريين»[3] Confutatio Agareni أن محمداً تعلم أفضل ما في عقيدته من الراهب النسطوري παχνρας الذي التقاه سراً لمرات كثيرة، وكان يتظاهر أمام أهله بأنه في ذلك الوقت كان صائماً ويتحدث إلى الملاك جبرائيل.

عندما ننتقل للتعامل مع النصوص اللاتينية الغربية، نلاحظ في المرتبة الأولى عدم إشارة المستعربين القرطبيين في القرن التاسع إلى راهبنا. هؤلاء، وتماشياً مع معاصريهم من البيزنطيين يقرّون أن أصل العقيدة المحمدية يعود إلى تعاليم يهود ومسيحيين مهرطقين، لكن دون الإشارة إلى معلّم بعينه. ومع ذلك، فقد تداول المستعربون في الفترة اللاحقة دون شك الأعمال الرئيسة الجدلية التي نشأت في

---

(1) pud Mi^Q, Patrologia Graeca, 104,1448B-1457B. في مقطع تمت إضافته في وقت لاحق، من المحتمل عبر Riccoldo da Monte di Croce، وفيه يطلق اسم بحيرا على الراهب، وينسب له أتباعه المذهب اليعقوبي.

(2) حول هذا الأدب أنصح بمراجعة دراسات: Khoury, A.-Th., Les théologiens byzantins, y de D'Ancona, A., La leggenda di Maometto, 43-45.

(3) Apud Mi^e, Patrologia Graeca, 104, 1428A-1429A. هناك خلاف حول التأريخ في هذا العمل. تقليدياً تعتبر معاصرة للكاردينال Foco لكن هناك الكثير من المؤشرات حول تاريخ متأخر contem- poránea de las cruzadas ., كذلك Khoury, Les théologiens, 273, debe. فالتاريخ يعود للنصف الأول من القرن XIII

سوريا التي أشرنا إليها من قبل. وهكذا، ترجم كاهن طليطلي اسمه بيدرو «الرسالة» للكندي إلى اللاتينية في سنة 1142 بأمر من بطرس المكرم. وربما كان هذا العمل نفسه، في نسخته العربية، المصدر الذي استند إليه يهودي اعتنق المسيحية ويدعى بيدرو ألفونسو في كثير من المعلومات التي يقدّمها حول الإسلام في الفصل الخامس من عمله حوارات مضادة للّوديين Dialogus aduersus Ludites

في الفترات السابقة، ربما في النصف الثاني من القرن العاشر، يبدو أنه من الواجب الإشارة إلى اشتقاق لاتيني لكتاب رؤيا سرجيس – بحيرا، وهنا أعني كتاب مقتطفات من ميثوديوس excerptum domini Methodii الذي ورد في مخطوطة رودا códice de Roda[1] حيث يقال إن أحد الكهنة ويدعى المطران أوسيوس Osius episcopus تلقّى من ملاك الربّ عبء تشجيع المرتدين في صحراء العرب desierto de Erribon أي صحراء يثرب، كي يعتنقوا الدين. وكان أوسيوس يعلم أنه سيموت في الطريق، فولّى قيادة المهمة لأحد رهبانه ويدعى أوزيم (ربما هشام، أو عظيم)، حسب كريستيان غروبر – المترجم[2] (Ozim) أو (Ocim) لكن هذا الأخير وقد ظهر له الملاك الرب الذي ظهر لأوسيوس، أمره أن يغير اسمه ليصير

(1) Ediciones de Díaz y Díaz, M.C., «Los textos antimahometanos», 163-4 y Gil Fer- nández, J., Corpus Scriptorum muzarabicorum, 709-10. En el estudio que acompaña a su edición Díaz y Díaz data la copia del códice rotense entre 1030 y 1060 y sitúa la fecha de composición del texto en fecha posterior al siglo IX.

(2) H48 انظر كتاب: The Image of the Prophet between Ideal and Ideology: A Scholarly Investigation لكريستيان غروبر من جامعة ميشيغان Christiane Gruber ص: 18 حيث ترى أن أصل الاسم ربما هو هشام Hisham as Esiam أو أنه من: أصل كلمة عظيم العربية. مترجم

محمداً، وحثّه على التوجه نحو حكام يثرب بصياغة عربية، مع بعض التعديلات، والتي أصبحت فيما بعد الأذان أو الدعوة إلى الصلاة. هناك العديد من الجوانب المظلمة في هذا النص، لا سيما هوية المطران أوسيوس وتلميذه أوزيم، لكنني أرى أن الترابط مع «رؤيا سرجيس - بحيرا» هو احتمال قائم[1].

تعود رواية أوسيوس وأوزيم للظهور مرة أخرى في «فنون القراءة» Artes lectoriae لأيميريك الأنغوليمي[2] Aimerico de Angouleme وSiguinus سيغينو (1086 - 7) على التوالي، على الرغم من وجود اختلافات جوهرية بينهما، فإن فكرة إرسال أوزيم، والذي هنا يقدّم كمطران، إلى هيسبانيا في مهمة رعوية من البابا:

Anno Christi DCVII obiit Ocin diaconus, quem Saraceni Maumitum uocant, qui ab Osio papa ad Hispanias missus legatione officiifungens, sed deceptus de- cepit, anni CCCCLXXVIIL Falluntur enim qui Nicholaum unum de VII primis putant. Inde usque ad nos anno Christi MLXXXVI, anni CCCCLXXIX (Aimerico, éd. Reijnders, 141).

A Christo nato usque ad transitum Ocin, quem Saraceni

---

(1) Díaz y Díaz propone identificar al obispo Osius con Osio de Córdoba, el consejero del emperador Constantino que participó en el concilio de Nicea (a. 325), donde se con- denaron las doctrinas de Arrio, aunque luego hubo de ceder ante la presión de los obispos arrianizantes en el concilio de Sirmio (a. 357). Por su parte. Wolf considera que la lectura Ozim encubre el nombre del clan de Mahoma, Hásim. Véase Díaz y Díaz, M.C., «Los textos antimahometanos», 162, y Wolf, K.B., «Christian Views», 101. Tales conjeturas me parecen inseguras. Una comparación minuciosa del texto latino con el Apocalipsis de Sergio-Bahirá podría aclarar estas cuestiones.

(2) لا نعلم الكثير عن حياة إيميرك الأنغوليمي الذي ولد في مدينة غاستينيا Gastinia! وليس له إلّا عمل واحد Arts Lectoria قدّمه مطران يدعى أديماروس Ademarus مطران أنغونيم في ما بين 1076 و 1101. ـ مترجم

Maumitum dicunt, quem Osius papa ad Hispanias direxit corrigendi gratia, anni sescenti decem. Inde ad nos anni quadringenti septuaginta octo (Siguino, éd. Kneepkens, 124).

في سنة 607 للمسيح توفي الشماس أوسين (أو أدوسين)، الذي يدعوه السرسنيون محمداً، والذي أُرسل إلى هسبانيا من قبل البابا أوسيو باعتبارها إرثاً، ولكن بعد أن غُرّر به، صار مغرّراً (انقضت) 478 سنة. أخطأ العديدون عندما عرّفوه بأنه نيقولاوس، أحد السبعة الأوائل (الشمامسة الرسوليين). وهكذا حتى زماننا هذا، سنة 1086، تكون قد انقضت 479 سنة. (إيميريك، نسخة Reijnders،ص 141).

منذ ميلاد المسيح إلى موت أوسيم، الذي يدعوه السرسنيون محمداً، والذي أُرسل إلى هسبانيا من قبل البابا أوسيو لأجل إصلاحها (انقضت) 610 سنوات. منذ ذلك الحين إلى زماننا هذا (انقضت) 478 سنة. (سيغوينو، نسخة Kneepkens، ص 124).

وكان من الواجب الإشارة إلى نص جدلي ضد - محمدي كتبه مستعرب[1] باللغة العربية بعد إعادة غزو طليطلة. وربما ما بين 1085 و 1132 ويتعلق بكتاب التعرية Liber denudationis أو Contrarietas alfolica الذي ترجمه إلى اللاتينية الكاهن ماركوس دي توليدو في بدايات القرن الثالث عشر، وفيه ذكر اسم الراهب بحيرا، كأول معلم لمحمد وكمن أعلن عن قَدَره، فقد قتله هذا[2].

(1) تشير النصوص اللاتينية إلى أن الكاتب مجهول الاسم وكان يقيم في طليطلة بعد أن ترك الإسلام واعتنق المسيحية. - مترجم

(2) انظر Burman, Th. E., Religious Polemic, 49-52 para la datación; idem, 270-1 para el pasaje relativo a Bahira

بعيداً عن هسبانيا، انتشرت في أوروبا العصور الوسطى منذ نهايات القرن الحادي عشر روايات مختلفة حول هذه الشخصية، وغالبيتها ذات طابع روائي. كان الكاتب الأكثر اطّلاعاً هو بطرس المكرّم Pierre le Vénérable الذي يتبع في عمله مجموعة نقاشات ضد هرطقة وفرقة السرسنيين الشيطانية الخادعة Summula Breuis contra haereses et sectam diabolicae fraudis Saracenorum المنجز في سنة 1143 محتوى رسالة الكندي[1]. في حين أحرز كتّاب آخرون مزيداً من التقدم في تطوير الأسطورة، وذلك بجعل هذا الناسك راهباً أحبِطت طموحاته في تولي بطريركية الإسكندرية أو أورشليم، فأرشد محمداً كوسيلة للانتقام. وهكذا، وفقاً لقصيدة حياة محمد Vita Machometis للكاتب إمبريكو دي ماينز Embrico de Mainz في بدايات القرن الثاني عشر، فإنّ راهباً منافقاً وماهراً في فنون السحر أراد أن يكون بطريركاً على أورشليم، لكنه في مواجهة رفض الإمبراطور ثيودوسيوس فرّ إلى ليبيا، وهناك التقى الشاب محمداً، ووعده أن يجعله قنصلاً إن اتبع تعليماته. وهناك نسخة شبيهة بتلك نجدها في «أفعال الله عبر الفرنجة Dei gesta per francos»[2] للكاتب غايبرت دي نوجيت Guibert de Nogent مع تمايز بأن الراهب كان يطمح لتولي بطريركية الإسكندرية. من جهته، ففي الكتاب المذكور

(1) Pedro el Venerable, Summula breuis, apud Migne, Patrología Latina, 189, 653C-D.

(2) نص من العصور الوسطى مكتوب بين 1107 و 1108. هذا العمل يسلط الضوء ويشرح ويسرد بعبارات واضحة الحملة الصليبية الأولى المعروفة باسم الحملة الصليبية للفقراء أو (الشعبية) بسبب تأثيرها الهائل في الطبقات الأكثر حرماناً بسبب الإقطاعية التي دخلت حديثاً. ـ مترجم

آنفاً Dialogus aduersus Ludites يشير بيدرو ألفونسو إلى سرجيس، رئيس شمامسة يعقوبي سكن في أنطاكية، وأدين في مجلس فنُفيَ. ويبدو واضحاً أن كل هذه النسخ تتأثر بطريقة ما بذكرى نسطور الغامضة، ممثل مدرسة اللاهوت في أنطاكية والذي ترأس أسقفية القسطنطينية في سنة 428 أثناء حكم ثيودوسيوس الشاب، وأدين في المجلس الثالث لمجمع أفسس سنة 431 وأنهى أيامه معتزلاً في دير بصحراء مصر. وفي الواقع، هناك نص آخر يعود للقرن الثاني عشر، هو كتاب حياة محمد Vida de Mahoma الذي يعزى للأباتي أديلفوس، وفيه يشير بالتحديد إلى معلم محمد ألا وهو المهرطق النسطوري[1].

وفي الوقت نفسه، لم يعد محمد في هذه الشهادات ذلك اليتيم الأميّ كما وصفه تيوفان، بل أصبح شاباً متعلماً للفنون الحرة وكذلك للتنجيم والسحر. وهكذا، إضافة لأعمال أدبية أخرى، مثل قصيدة خواء محمد Otia de Machomete لغوتييه دي كومبين Gauthier de Compiègne حوالي 1150 وفي السيرة للأباتي أديلفوس حوالي 1140 وفي مقدمة ترجمة القرآن لماركوس دي توليدو المنجزة في1210[2].

في القرن الثالث عشر وما بعده، خضعت الأسطورة لتحول

(1) Embrico de Mainz, Vita Mahumeti, ed. Cambier, G., Embricon de Mayence, 51-7, w. 87-226; Guibert de Nogent, Dei gesta per francos, ed. Migne, Patrología Latina 156, 689D-690C; Pedro Alfonso, Dialogus, ed. Mieth, K.P., Pedro Alfonso, 95; Adelphus, Vita Mahumet, ed. Bischoff, B., «Ein leben Mohammeds», 114-5.

(2) Gauthier de Compiègne, Otia de Machomete, w. 161 y ss. ed. Huygens, R.B.C. «Otia de Machomete», 299-301; Adelphus, Vita Mahumet, ed. Bischoff, B., «Ein leben Mohammeds», 116; Marcus Toletanus, ed. D'Alvemy, M. Th., «Marc de Tolède», 260-268.

جديد على يد كتّاب من أمثال جاك دو فيتري Jacques de Vitry (ت. 1244)، جاكوبو دا فاراز Jacopo da Varazze (ت. 1298) وبيدرو باسكوال Pedro Pascual (ت. 1300). التحديث الرئيس الذي قدّمه هؤلاء هو وضع ظروف فشل الإكليريكي الطموح أو الراهب بحيث لم يعد في أي من البطريركيات الشرقية، بل في كنيسته الرومانية ذاتها. على سبيل المثال، يفرق بيدرو باسكوال بصعوبة بين شخصيتين: الناسك المسيحي Bahirsa (كذا) الذي يتنبأ بمستقبل عظيم لمحمد، وشخصية راهب آخر عالم وحكيم، وذي علم في الفنون الحرّة، والذي استقر في روما لأجل طموحات شرفيّة وما أن أُحبط حتى أدار آلة المواجهة والانشقاق ضد الكنيسة الرومانيّة، فعبر البحر متوجهاً نحو الهاجرين، حيث كان سيتواصل مع محمد[1].

فرع آخر للأسطورة الغربية، ذو أصول مستقلة عن سابقه، عرّف محمداً على أنه نيقولاوس الأنطاكي، أحد الشمامسة السبعة في الأزمان الرسولية ومؤسس طائفة النيقولاويين[2]، وذَمّه بالمجون الجنسي المطلق. لسنا متأكدين كيف تم التوصل الى هذه الحكاية، فشهاداتها الأولى، كانت في معظمها إنكارية، وقد ظهرت في نهاية القرن الحادي عشر، في النص المذكور آنفاً لإيميريك الأنغوليمي، واستمرت في القرن الثاني عشر في كتاب تاريخ كومبوستّا[3] Historia

(1) Jacques de Vitry, Historia Hierosolimitana, ed. Bongars, J., 1056; cf. D'Ancona, A., La leggenda di Maometto, 114; Jacopo da Varazze, Legenda Áurea, ed. Maggioni, G.P., lacopo da Varazze, Legenda Áurea, 1261; Pedro Pascual, In sectam Mahometa- nam, 52-6.

(2) تظهر الإشارة إلى نيقولاوس والنيقولاويين في أعمال الرسل 6ّ5، ويوحنا 2ّ6.

(3) Hec stupent atque mirantur Hismaelite et Nicholaum suum, suum scilicet Mafo- met, nil tale posse fatentur (Historia Compostellana II, 50, ed. Falque Rey, E., 308).

Compostellana، وفي كتاب بطرس المكرم[1]، ومنذ بدايات القرن الثاني عشر في مقدمة ترجمة القرآن لماركوس دي توليدو[2]. بل تعتقد دالفيمي D'Alvemy أن ذلك قد انتشر في وقت مبكر هو القرن التاسع، إذ إن باسكاسيو رادبيرتو Pascasio Radberto (بين 790_860) في تعليقه على متّى يبدو أنه يلمّح إليه عندما يقول إن شعب العرب تلقّى رسالة الإنجيل، لكنّه انحرف عن الطريق القويم بعد أن أغواه بعض الرسل الزائفين، إن أمكن القول، تلاميذ نيقولاوس[3].

في رأينا لا ينبغي تفسير هذا النص على أنه صدًى لتقليد سابق، بل بوصفه مجرد مقارنة، معبّراً عنها بشكل واهن جداً، بين طابع هرطوقي وبين حركة دينية، وبشكل خاص فيما يتعلق بالمادة الجنسية. علاوة على ذلك، من المعلوم جيداً بأنه في القرنين الحادي عشر والثاني

(1) Putant enim quidam hunc Nicholaum illum unum ex septem primis diaconibus fuisse, et Nicholaitarum ab eo dictorum sectam, quae etiam in apochalipsi nominatur, hanc modernorum Sarracenorum legem existere. Somniant et alii alios, et sicut lectionis incuriosi et rerum gestarum ignari, sicut et in aliis casibus, falsa quaelibet opinantur
(Petrus Venerabilis, Summula breuis, apud Migne, Patrología Latina 189, 653A.)

(2) Hic fuit Mafometus, id est graciosus, non Nicholaus, falso plures autumant, cum sexcentis annis elapsispost aduentum Ihesu Christi hic uenisset in mundum adpredican- dum arabibus. (Marcus Toletanus, ed. D'Alvemy, M.'* Th., «Marc de Tolède», 265.

(3) Et ne quis mihi obiciat Sarracenos (...) quasi ad eos Euangelium Christi necdum peruenerit peruenit quidem et receperunt Dei notitiam sed male seducti a quibusdam pseudoapostolis ut ita loquar Nicolai discipulis propriam sibi tam ex ueteri testamento
quam ex nouo, condiderunt legem. (Pascasius Radbertus, apud Migne, Patrología Latina 120, 840C-D). انظر أيضاً دراسة:
D'Alvemy, M. Th., «La connaissance de l'Islam au temps de Saint Louis», 237.

عشر تم إحياء الاهتمام بطائفة النيقولاويين القديمة كنتيجة للخلافات المتكررة بسبب الاضطرابات الأخلاقية في الإيكليريوس. وبين مفسّري النصوص المقدسة، كان الشمّاس نيقولاوس الأول النموذج للهراطقة[1]. ومن المرجح، من ثم، أن الوصل بين نيقولاوس ومحمد نشأ في وسط بحثي نسبياً، مؤيد بنص باسكاسيو رادبيرتو المذكور سابقاً وفي ملاحظات مترجمين آخرين لسفر الرؤيا Apocalipsis. وعلى أية حال، فإن المطابقة على هذا النحو بين الشخصيتين نشأت في القرن الحادي عشر وتوجب أن تنتشر في أوساط هي بشكل أساسي شعبية، إذ ليس لكاتب متمكن بالحد الأدنى من تاريخ الكنيسة أن يمنح مصداقية لمفارقات تاريخية بهذا الحجم، مع الاعتراف، كما رأينا عند أمبريكو دي ماينز أو عند أدلفوس، أن هناك جهلاً ملحوظاً حول الحقبة التي مارس فيها محمد نشاطه.

ومع ذلك، فإننا سنجد تمايزات مختلفة متأخرة كانت نتاجاً للتلويث بين فرعي الأسطورة. وهكذا، ففي نص مجهول يرد في المخطوطة 50[2] بمكتبة ندوة بيزا Pisa Biblioteca Cateriniana del Seminario[3]، حيث يقدّم نيقولاوس على أنه مدرّس ماوروس وفي

(1) Así, en Ambrosius Autpertus, quien considera que Nicolás representa desde el punto de vista tipológico a herejes y gentiles por igual: sed si apropprietate adfiguram, ut solet,sermorecurrit,omneshereticinicolaitaeesseprobantur (...) Sedetcunctigentiles, qui Redemptorem nostrum per fidem non receperunt Nicolaitarum, stulti uidelicetpopuli, uocabulo recte censentur (Expositio In Apocalypsin 11,2,6, ed. Weber, R., Corpus Chris- tianorum, Continuatio Medievalis 27).

(2) Pisa, Biblioteca Cateriniana del Seminario Arcivescovile, 50, ff. 81va-85rb A. Mancini Per lo studio della leggenda di Maometto in Occidente «Rendiconti della Accademia dei Lincei» 10 (1935) 325-49. - مجرته

(3) Ed. Mancini, A., «Per lo studio».

الوقت ذاته معلم لمحمد، وهو شماس أحبط في محاولته الوصول إلى البابوية بعد وفاة كليمنت الأول (88ـ97). كما ينسب أيضاً جاكوبو دا أكي Jacopo da Aquí (ت. 1337) في كتابه يافعة العالم Imago mundi إلى نيقولاوس الكاهن تعليم محمد بغرض الانتقام من الإهانة التي تعرض لها في الكنيسة الرومانية[1].

إن النص الذي بين يدينا، بطبيعة الحال، مدين للتقليد القديم الذي يماثل محمداً بالشماس الرسولي نيقولاوس، لكنه من وجهة نظرنا، لا يمثل (أي النص) هذا التقليد تماماً. بعبارة أخرى، لا نرجح أن ملاحظات أيميريكو وبطرس المكرم أو ماركوس دي توليدو كانت موجهة ضد النسخة التي تروي الأحداث في كتاب نيقولاوس، والتي تبدو لنا أنها نتيجة لإعادة صياغة لاحقة والتي جمعت في رواية جديدة ما لا يقل عن ثلاث من النسخ الموجودة سابقاً، وهذا يعني:

أ) تلك التي حددت محمداً بأنه الشماس الرسولي نيكولاوس.

ب) والتي جعلت معلم محمد أحد الأعيان الساميين في الكنيسة الرومانية، وعالماً في جميع أنواع المعرفة.

ج) والتي جعلت من محمد مبشراً قديماً للشعوب الوثنية، وتحديداً في هيسبانيا، كما جاء في محتوى نسخة مخطوطة رودا códice de Roda والتي كرّرها النحويان أيميركو وسيغوينو. في الصفحات التالية سوف نحاول توضيح الخصائص الممايزة لهذه النسخة الجديدة.

(1) Jacopo da Aquí, Chronicon, apud Monumenta Histórica Scriptores III, 1458, Au- gustae Taurinorum, 1848; cf. D'Ancona, A., La leggenda di Maometto, 126-7.

بعيداً عن التقليد المعروف من بيدرو دي كلوني وماركوس دي توليدو، فإن النص الذي لدينا لا يماثل محمداً بالشماس الرسولي نيقولاوس، بل بكاردينال شماس يحمل الاسم نفسه[1]، والذي عينه البابا أغابيتس خلفاً له، وبُعث على الفور في مهمة رعوية إلى هسبانيا وبلاد البربر. إن هذا التقديم للشخصية يخدم الغرض المزدوج المتمثل في تجنب المفارقة التاريخية الكبيرة التي تفترض تموضع محمد في الأزمان الرسولية والربط مع التقليد الذي يجعل من محمد شماساً مرسلاً من أعلى سلطة كنسية لتبشير البلاد الوثنية.

الآن، لا يرد اسم أغابيتس إلا في مخطوطة الفاتيكان. بينما حذف اسم البابا موضوع البحث في موقعين من المخطوطة الباريسية، بيد أنه في أحدهما لا يزال من الممكن تمييز حرف ـgـ الداخلي، والذي من الممكن أن ينتمي أيضاً إلى Pelagius بيلاجيوس الثاني (578ـ590) أو Gregorius غريغوريوس الأول (590ـ 604)، وهما شخصيتان معاصرتان بشكل دقيق لمحمد.

عـلاوة على ذلـك، كان هناك اثنان من الباباوات يحملان اسم أغابيتس. تولى الأول ما بين 535 و 536؛ وخلفه سيلفيريوس الأول (536ـ538)، وتلاه فيجيليوس (538ـ555). من جانبه، تولى أغابيتس الثاني بين 946 و 955، وكان خلفه يوهانس الثاني عشر (955ـ964).

---

(1) La jerarquía cardenalicia distingue, en efecto, entre tres órdenes: los cardenales presbíteros, los cardenales diáconos y los cardenales obispos. El número de cardenales diáconos parece haberse mantenido en siete desde la partición de Roma en siete distritos o diaconías, hecha por Clemente I (88-97), hasta el papado de Gregorio Magno (590-604) que elevó la cifra a dieciocho.

حسنٌ، فعلى الرغم من أن التسلسل الزمني يحمل على الاعتقاد أن أغابيتس الأول هو البابا الذي أشار إليه كتاب نيقولاوس، فالحقيقة أن وقائع يوهانس روفوس Johannes Ruffus المنسوخة في المخطوطة الفاتيكانية تحدد صراحة البابا الذي عُيّن خلفاً وهو نيقولاوس، الذي أصبح فيما بعد محمداً، وتضع أغابيتس الثاني بشكل صحيح بين البابوات مارينوس الثاني (942_6) ويوهانس الثاني عشر (955_964).

Agabitus uixit annis octo et mensibus sex. Iste fuit multum senex et elegit Ni- colaum qui fuit postea Machumetus, sicut consuetum erat quod unus papa elige- bat sibi successorem in fine quando credebat mon (fol. 15v.)

بقي أغابيتس ثماني سنوات وستة أشهر. كان مسناً جداً واختار نيقولاوس الذي صار فيما بعد محمداً، كما جرت العادة أن يختار البابا خليفته عندما يظن أنه يحتضر.

بات من الصعب شرح هذه المفارقة التاريخية الكبيرة، أولاً لعدم اتساقها مع الإشارة الثانية في التسلسل الزمني الذي يضعه النص لتبشير محمد، بعد ثلاث مئة عام بعد الاعتناق الأسطوري لقسطنطين (للمسيحية) بواسطة البابا سيلفستر[1]، أي في سنة 612، والتي تتوافق تماماً مع تاريخ بداية نشاط محمد العلني في سنة 610. ثانياً، لأنه لا يبدو أن هناك أي علاقة بين الصراع على الخلافة الموصوف في

(1) El mismo sincronismo se encuentra en la crónica de Johannes Rufftis: Siluester ui- xit in hoc seculo annis decem et octo, mensibus septem. Iste baptizauit imperatorem Constantinum et in baptismo fuit mundatus a lepra a qua non poterat aliqua medicina curari (...) Et ecclesia Ihesu Christi que per trecentos annos usque ad témpora sancti Siluestri in persecutione fuerat, a tempore suo et baptismale Constantini per alios trecen- tos annos exaltata in prosperitate fuit usque ad témpora Machumecti, quia fere totus mundus baptizatus erat. (ff. lOv.-llr.)

كتاب نيقولاوس مع الباباوين اللذين يحملان اسم أغابيتس، إلا أن اسم منافس نيقولاوس، وهو يوهانس، الذي يتوافق مع اسم خلف أغابيتس الثاني، أي يوهانس الثاني عشر. هذه الشخصية، هو نجل الأمير الروماني ألبيريكو الثاني Alberico II، الذي رشحه والده ليتولى المنصب عندما كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً فقط. وقد تواجه مع أمراء كابوا Capua وبينيفينت Benevento طوال فترة باباويته، وتحالف مع أوتو الأول Otón I، الذي كان توّجه إمبراطوراً، والذي خلعه هو نفسه في وقت لاحق. وفيما يتعلق بأغابيتس الأول فبالتأكيد تسببت خلافته بظهور صراعات، لكن ليس لذلك علاقة بما يرد في كتابنا هذا. فإثر وفاته التي حدثت في القسطنطينية، خلفه سيلفيريو الأول (536_538)، لكن نظراً للمؤامرات التي كان يحيكها منافسه فيجيليو، الذي اتهمه بمحاولة تسليم مدينة روما إلى القوط، خُلع ونفي إلى باتارا دي ليسيا Patara de Licia بواسطة الجنرال بيليساريو Belisario، الذي أطاع أوامر ثيودورا، زوجة الإمبراطور يوستنيانوس. ذهب سيلفيريو الى الإمبراطور ليقدّم إليه شكواه، ونال الأمر بأن يعود لمنصبه، والذي لم يُنفّذ أبداً ومات سيلفيريو في المنفى. وفي الوقت نفسه، تولى فيجيليو الكرسي البابوي بين 538 و 555، لكن لم يعترف به سوى الإيكليريوس والشعب بعد وفاة سيلفيريو[1].

قُدّم يوهانس، منافس نيقولاوس، ككاردينال عجوز ورئيس سان لورينزو دي داماسو، وهي كنيسة رومانية بُنيت بناء على طلب من البابا داماسوس الأول (366_384) حيث يحفظ رفاته. يوهانس ككاردينال كبير السنّ يعتبر أعلى رتبة من نيقولاوس الكاردينال

(1) Véase a este respecto el Liber Pontificalis, éd. Duchesne, L. vol. I, cap. 58-6

الشماس. لكن ليس هذا هو السبب الذي أدّى لاختياره، بل الحقيقة أنه نظراً لتقدمه في السن واعتلال صحته، اعتقد الكرادلة أنه سيموت سريعاً، وسيبقى المنصب شاغراً بسبب غياب نيقولاوس. مع ذلك، فلما أصبح بابا، استعاد يوهانس صحته حتى إنه صار بديناً، وكي يخفف الكرادلة من غضب نيقولاوس وعدوه بأنهم لن يفعلوا شيئاً دون موافقته. نغمة نفاق ناعمة تروي كل هذه القصة.

إذن فنحن نجد أنفسنا أمام تخيل يحاول تحديث التقليد القديم للشماس الرسولي نيقولاوس بطريقة تعسفية. والسبب غامض جداً، ولا يبدو لنا من المؤكد تماماً أن الاسم الأصلي للبابا الذي اختار نيقولاوس هو أغابيتس. في كل الأحوال، تبدو بعض التفاصيل وكأنها تحمل بعض نوايا الهجاء الموجهة ضد سياسة الفاتيكان. النقد، على أي حال، كان ليّناً، حيث إن مسؤولية الصراع القادم تقع على عاتق المزاج الغروري والانتقامي لنيقولاوس. ويبدو لنا من المرجح أن مثل هذا النهج، الذي لا تخفى فيه أسماء المؤسسات الرئيسة المعنية (بازيليك سان لورنزو، مؤسسة الكردلة) يمكنه أن يخفي تلميحات لحالات وأناس محددين، فيما لو كانوا معاصرين لحقبة تأليف كتاب نيقولاوس، لكن اليوم من الصعب تخمين ذلك.

عقيدة نيقولاوس

خلافاً لما يذهب إليه قسم كبير من الجدليين المسيحيين، لا يظهر نيقولاوس في النص كإيكليريكي مطرود من الكنيسة لدفاعه عن عقيدة هرطوقية. إن فكرة إفساد الدين المسيحي ليست سبباً، بل نتيجة، لفشل تطلعاتهم. ويسمح هذا النهج لمحرر الكتاب أن يفسر

بحرّية أكبر أصول ومعنى التعاليم المحمدية، دون ربطها بالهرطقات المعروفة، ومن ثمّ دون التعمّق أو المضي بأدنى صرامة بمسائل ذات طابع عقائدي.

إن إنشاء طائفة مخالفة للمسيحية يمر عبر إعداد مسبق لكتاب مقدس.ويتعلق الأمر بمخطوطة فاخرة، حروفها المذهّبة تُذكّر بنقوش المساجد. والعقائد والوصفات الشرائعية والممارسات الطقوسية قُدّمت بطريقة عشوائية، وكانت الإغفالات والالتباسات جمّة. إذ لم يُقل شيء، على سبيل المثال، عن رفض عقيدة الثالوث والطبيعة الحسيّة للجنة والصفة البطلانية للمعمودية وتعاليم الجهاد، وهي حجج شائعة في الجدل المعادي للإسلام. بينما في المقابل، تتعرض أمور واستعمالات تافهة لتعليقات واسعة، كتحريم البصق في المساجد أو عادة استبدال النبيذ بالمشروبات المنكّهة أو إقامة المقابر في أمكنة فيها ماء.

وُصفت تعاليم أخرى بشكل غير دقيق أو أنها فُسّرت بطريقة خاطئة. فوفقاً للكتاب، تتألف الزكاة من دفعات متسلسلة تسلّم إلى القائمين على المسجد في تواريخ محددة[1]. عيد الأضحى يتوافق مع اكتمال البدر في شهر آذار[2]. يسري تحريم الخمر خلال النهار فقط، إذ من المسموح تناولها ليلاً لجلب النعاس. التعليق حول الدور الإسكاتولوجي ليسوع كان رداً بشكل نسبي على موته في نهاية

(1) La expresión quasi bis deo debitum podría constituir una mala interpretación del Corán 57,11: «A quien haga a Dios un préstamo generoso, Él le devolverá el doble y le recompensará generosamente» (cf. 30,39. 73,20).

(2) Semejantes confusiones aparecen en otros autores occidentales. Véase Daniel, N., Islam and the West, 245, n. 62.

الزمان، بعد مُلك استمر لأربعين عاماً، لكن فكرة أنه تولى دور قاضي الأموات غريبة على العقيدة الإسلامية[1]، كذلك أيضاً الآمال بأن تعود الأرواح، بعد الممات، إلى الجنة الأصل.

في كل الأحوال، تبدو غريبة تلك النغمة الموضوعية، الخالية من المحاكمة النقدية، عندما يتم هذا الوصف. لكن ما يثير الانتباه أكثر هو حقيقة أن كثيراً من هذه التعاليم والطقوس موصوفة ومتاحة بتعبيرات كتابية (إنجيلية) أُخرجت عن سياقها وفُسّرت خطأً[2]. وهكذا، فقد جعل لتعدد الزوجات عقوبة بناء على نص لأشعيا المتعلق بالعقاب الذي ستناله بنات صهيون لمجونهنّ (أشعيا 4،1). خاصية اللاضرورة في الاعتراف بالخطايا تأتي مؤيدة بحقيقة أن يسوع نصح بعض مرضى الصرع أن يقفوا بين يدي الكهنة ليشفوا (لوقا 17، 12)، ويصحح الكتاب النص الإنجيلي مؤكداً أن يسوع توجه في هذه المناسبة نحو الخطأة ومرضى الصرع، وأن شفاء هؤلاء كان مرده أنهم أظهروا أنفسهم، وليس لاعترافهم أمام الكهنة.

على الرغم من كل هذه المبررات يقوم المحرر في بعض الأحيان بالتقليل من الاستخفاف، والواقع أنه يحافظ على تماسك معين أيديولوجي وروائي. وفي نهاية المطاف، اعتبر الإسلام مجرد اشتقاق من المسيحية، ولما جعل من محمد كاردينالاً رومانياً فقد كان

(1) dem. 347-8.

(2) En el aparato crítico recojo todas las citas que he podido hallar procedentes del Genesis, los Psalmos, los libros proféticos o los propios Evangelios. Por lo demás, es no- table la afirmación de que Mahoma tradujo el Psalterio al árabe. No me parece probable que el redactor supiese de la existencia de una traducción árabe del Psalterio, hecha en realidad en el siglo ix por el mozárabe Hafs b. Albar al-Qûtî.

من المنطقي إذن أن يلجأ في تبشيره إلى النصوص المقدسة التي كان يعرفها جيداً.

وفيما يتعلق بالمؤسسات ذات الطابع القانوني، اقتصر كتاب نيقولاوس على الوصف النمطي للعقوبات، لكنه يدع مجالاً لرؤية نوع من روح إنسانية، إذ يحرّم صراحةً التشويه وفقء العيون. ويعدّ إيجابياً تكليف كل مسلم أن يتعلم القراءة كي يتمكن بشخصه من الوصول إلى تعاليم الشريعة ويفهمها جيداً.

تبشير نيقولاوس

لمّا وُضعت تلك الأحكام، دعا نيقولاوس إلى مجلس في المغرب، يجتمع فيه جميع الأساقفة والكهنة الذين كانوا في إمرته عندما كان وريثاً باباوياً. ولفتهم هناك إلى الوحي الذي اختبره في طريق عودته إلى روما، ومن خلاله أنزلت عليه من السماء الشريعة الجديدة بشكل محسوس (مادي). وتظهر هذه الفكرة الأخيرة في نصوص أخرى من نصوص القرون الوسطى مثل كتاب الصعود المحمدي Liber Scalae Mahumetis، وأعمال وليام الطرابلسي[1] وبيدرو باسكوال[2]. الأكثر تأصلًا كان التعارض المؤسَّس بين التوراة والقرآن عبر الرمزية الاستنادية الكتابية لكل منهما. فبينما حَجَر الكتاب العبري بمشاركة الشريعة الموسوية ومُثُل العِند اليهودي، فإن جلد الكبش الذي يكتب عليه نيقولاوس عقيدته يشير إلى العلاقة مع

(1) كاتب لاتيني، ولد في طرابلس الشام حوالي 1220، صار أسقفاً دومينكانياً، وله عدة أعمال: "De statu sarracenorum et de Mahomete, pseudo propheta eorum, et eorum lege et fide" وغيرها، توفي في سنة 1273. ـ مترجم

(2) Véase a este respecto Daniel, N., Islam and the West, 58-9.

إيمان إبراهيم، فضلاً عن قدر كبير من المرونة في النظام الأخلاقي.

من جهة أخـرى، يغلب على النص محاكاة لأسلوب دعوة شاوول لاعتناق الدين في أعمال الرسل (9،1 حتى 16)، وتتخلله مسببات وتعابير مأخوذة من مواضع كتابية أخرى. هذه الميزة تتناغم مع طريقة استخدام اقتباسات من الكتاب المقدس لتوضيح التعاليم التي تتعارض مع الإيمان المسيحي التي علّق عليها آنفاً. ويتابع بهذه الطريقة تطويره للخاصية التقليدية لمحمد كدجّال أو منافق، لكن دونما إعلان واضح على الإطلاق، بل عبر هذا العرض الذي يبدو موضوعياً لعقائده ولعملية الوحي.

الأمر ذاتـه يمكن تطبيقه على الأخبار التي تلي، على الرغم من وجـود بعض الغموض. ومَثل منافقين آخرين في الماضي، أمر نيقولاوس أن تعرض ممتلكات الكنيسة للبيع وأن يخصص ريعها للحصول على رضا الشعب. مع ذلك، ففي وصف سلوكه يمكن ملاحظة تـدرّج معين ابتداءً من الترغيب التبشيري البسيط (جعل الجنود نبلاء، ودعـوة المواطنين للطعام) مروراً بشكل من أشكال ممارسة أعمال الخير والزهد الذي يتجلّى بحق في القداسة (يعطي كل ما لديه للفقراء، يصلي ويصوم بانتظام، إلخ) حتى إنه يشفي المرضى، اعتماداً على الإيمان الراسخ في شخصيته ما يُذكّر بممارسات المسيح أكثر من تلك التي أحدثتها قوى الشفاء عند العديد من القديسين كما في التقليد الغربي hagiographer السردي لسيَر القديسين. بالمقابل، لم يذكر أياً من المعجزات الكاذبة التي ينسبها التقليد الجدلي لمحمد.

إنّ وصف المؤسسات الكنسية والسياسية التي أنشأها مثير للفضول. الطبقة الكهنوتية عموماً (الكهنة، الأحبار)، التي أوكل إليها إدارة وحفظ المساجد فقط، أطلق عليها اسم Caxisi؛ بالمقابل، دُعي الكهنة والمشرعون في مكة باسم charissi؛ ومن غير الواضح ما إذا كانت هذه مجرد تغيرات نصية، أو على العكس، أسماء ومفاهيم مختلفة. ربما أنّ caxisi تتوافق مع القضاة، وCharissi مع القرشيين، المسؤولين عن الحفاظ على الكعبة. وعلى رأس كل المساجد نجد الخليفة في بغداد (califfus) الذي هو نظير البابا الروماني، وأصحاب محمد archadi هم نظراء للكرادلة. ومن المشكوك فيه إن كان هذا المصطلح يشير إلى الصحابة (أصحاب النبي) أو إلى القضاة cadíes[1]. بل الأكثر إرباكاً هو بيان المؤسسات السياسية. كمدخل لذلك، يقال إن محمداً قد أنشأ في المغرب هذا شخصية سيادية (imperator) من المسلمين، ودعاه miramulus حيث من الممكن أن تشير إلى أمير المؤمنين الذي تُوّج على الجزيرة العربية، وبلاد البربر وعلى غيرها من الأماكن اثنين وثلاثين ملكاً. وأخيراً، عيّن في المناطق الشرقية أمراء أقوياء دعاهم السلاطين (Soldani)؛ ويبدو واضحاً أن المحرر خلط مفاهيم مختلفة بشكل قليل التناسق.

ينعكس هذا النقص في الصرامة ذاته عند ذِكر أن ينقولاوس أسس عاصمته في بغداد، حيث توفي يوم جمعة[2]. عند هذه النقطة

---

(1) Los autores cristianos medievales hacen a menudo referencia a los cadíes (cadini) como el equivalente de los obispos católicos. Véase Daniel, N., Islam and the West, 251, n. 76.

(2) La tradición musulmana y los autores cristianos mejor informados, como el pseu- do al-Kindí, afirman que la muerte de Mahoma tuvo lugar en lunes. Véase Tartar, G., Dialogue islamo-chrétien, 166.

ارتكب المحرر خطأ مزدوجاً بإرجاع تأسيس بغداد عاصمة الخلافة العباسية إلى زمن محمد، وكذلك اعتبار عيد الأضحى تقديساً لذكرى النبي. من ناحية أخرى، يقول إنه في هذه المدينة تقام على رفاته عبادة أخرى تدنو من عبادة الله، لكنه في وقت لاحق يعلن أن قبره موجود في مكة. ويتشارك في هذه الفكرة الأخيرة العديد من الكتّاب في العصور الوسطى، الذين يعتبرون الحج إلى مكة هو فعل عبادة لرفات محمد[1].

في بغداد، يضيف الكتاب، دُفنت أيضاً زوجات محمد الثلاث إضافة لأبنائه الذكور، حيث يقوم الناس هناك بتقديم احترامهم لهم كل يوم. وبهذا الصدد، من المناسب الملاحظة أن الكتاب المسيحيين غالباً ما يستخدمون حقيقة تعدد زوجات النبي كحجة تشويهية بأنه كان لديه عدد هائل من الزوجات، ما بين اثنتي عشرة وثماني عشرة زوجة حسب النسخ المختلفة. أما كتاب نيقولاس فكما هو ظاهر كان أقل عدوانية، إذ إن زوجات النبي فيه لا يتعدين الأربع كما هو مثبت في القرآن الكريم (السورة الرابعة، الآية3).

موت نيقولاوس

تعددت الأساطير التي تناولت وفاة محمد. وما نقله كتاب نيقولاوس له ما يوازيه بشكل قريب جداً في واحدة من الروايتين اللتين يقدّمهما حوله بيدرو باسكوال[2]. يقع محمد في هوى فتاة يهودية اعتاد زيارتها خلسة. وهي، وفقاً لعائلتها، أردته وتخلصت من جثته برميها لقطيع من الخنازير، لكنها قبل ذلك قطعت إحدى قدميه وحنطتها ووضعتها في تابوت. وعندما سأل أصحاب محمد عن مكان

(1) Véase sobre esto Daniel, N., Islam and the West, 245-6.
(2) Pedro Pascual, In sectam Mahometanam, 104-5.

وجـوده، أخبرتهم أنهما بينما كانا يضطجعان معاً، أخذته الملائكة بذراعيه لتودي به إلى السماء. فأمسكت هي بقدمه اليسرى وكافحت كذلك طوال الليل، حتى مطلع الفجر، فانتهوا من حمل الجسد وتركوا قدمه بين يديها. في موضع آخر، لدى بيدرو باسكوال ذاته نسخة مختلفة، وتتوافق أكثر مع التقاليد الإسلامية. أن محمداً مات مسموماً بفعل السم المخبأ في ضلع أعطته له امرأة يهودية ليأكله، رغبة منها لتتأكد من صحة نبوته[1].

ليس واضحاً أصول هذه الأسطورة أو كيف تشكلت[2]. مصدر العشيقة القاتلة يجب أن يُردّ إلى قصة اليهودية المسمّمة. وفي الوقت نفسه، قد يكون موضوع الصعود هو نتيجة لاختلاط أسطورة المعراج والتقاليد الإسلامية المتعلقة برد الفعل الفوري على وفاة النبي بين أصحابه. وهكذا، يقال إن عمر، الخليفة الثاني، قال إن محمداً لم يمت بل صعد إلى السماء مثل موسى[3]. على كل حال، من الشائع في الأدب الجدلي في العصور الوسطى تكذيب رؤية محمد بأنه سيحيا ويصعد إلى السماء بعد ثلاثة أيام من وفاته، وهو ما منع أتباعه من دفن جثته[4]. تبدو تفاصيل الحفاظ على قدمه كأثر منه أكثر غموضاً،

(1) ídem, 43. Cf. Ibn Hisám, Síra 764-5; Guillaume, A., The Ufe, 516. Asimismo, el pseudo al-Kindï, tr. Tartar, G., Dialogue islamo-chrétien, 162-3. Todos los testigos ára- bes recuerdan el nombre de la mujer, Zaynab bint al Hárit.

(2) Algimos curiosos testimomios de su fortuna posterior pueden verse en los estudios de De la Granja, F., «Milagros españoles», 342-6, y Bunes Ibarra, M. A., La imagen de los musulmanes, 212-3.

(3) Véase Ibn Hisâm, Sira 1012; Guillaume, A., The life, 682-3.

(4) Se hacen eco de esto, entre otros, el Liber apologeticus martyrum de Eulogio de Córdoba (éd. Gil Fernández, J. Corpus Scriptorum Muzarabicorum, 485), el Diálogo de Pedro Alfonso (éd. Mieth, K.P., Pedro Alfonso, 102-3), la Risàla del pseudo al-Kindï (tr. Tartar, G., Dialogue Islamo-Chrétien, 166), y el Chronicon Mundi de Lucas de Tuy (éd. Mariana, apud Schott, A., Hispania Illustrata IV, 54).

لكنها تظهر بشكل شبه شائع في النصوص اللاتينية. ووفقاً لغيبرت دي نوغيت Guibert de Noget، عندما مات محمد إثر تعرضه لنوبة صرع، التهم قطيع من الخنازير جسده، ولم يبق سوى القدم[1]. كذلك أيضاً فإن الفرنسيسكاني ماجيستر تيثماروس Magister Tethmarus أعلن أيضاً أنّ قبر محمد لا يحتوي إلا على قدمه اليمنى فقد أكلت الخنازير بقية جسده[2]. علاوة على ذلك، فإن كلاً من الكاتب البيساني (من Piza الإيطالية) المجهول الذي حرر مانشيني Mancini نصه، وكذلك النسخة الأرمنية للأسطورة التي نشرتها ماكلر[3] F. Macler يتفقان على هذه النقطة من رواية بيدرو باسكوال، لكن النص الأرمني يضيف أمراً هاماً: قدم محمد الأثر تُدعى جِنّ Djan (باللغة الفارسية «النفس»، «الحياة») ما ينطبق أيضاً على العظام التي كتب عليها Biphra (أي بحيرا) شرائعه الكاذبة وأمست عبادة في مكة. هل إنّ أصل أسطورة قدم محمد هو ذكرى لوثيقة دينية مكتوبة على العظام وصارت عبادةً في مكة؟ نترك ذلك للخبراء لتقييم هذه الفرضية[4].

(1) Guibert de Nogent: Dei gesta perfrancos, apud Migne Patrología Latina 156,692B

(2) Tumba ista Mammet non pendet in aere sicut multi asserunt, immo super terram est et non habetur ibiplus de corpore suo nisi dexter pes quia relinquum corpus eius totum a porcis deuoratum est. Magister Thetmarus, Iter ad Terram Sanctam, ed. Studium biblicum franciscanum, 288

(3) No he podido consultar este trabajo. Mis informaciones dependen en este punto del detallado resumen de De la Granja, F., «Milagros españoles», 345.

(4) El pseudo al-Kindī (tr. Tartar, op. cit. 97) recuerda que en La Meca los peregrinos rinden culto a ciertos uestigia del profeta. Ahora bien, ¿se trata de sus huellas o de reliquias físicas? Por su parte, Guibert de Nogent declara expresamente que los pies del Pro- feta son objeto de culto: Hunc coelitus assiimptum astruunt, et solos talos relictos adsuo- rum fidelium monumentum, quos etiam infinita veneratione revisunt (apud Migne, Patrología Latina 156, 693A).

على أي حال، من المهم أن نلاحظ أن كتاب نيقولاوس يعالج هذه المسألة بروائيةٍ عوضاً عن الإهانة العلنية. يموت محمد بسبب الخيانة على يد زوج غيور، كما عالجت الأمـر إحـدى روايـات بوكاتشيو Boccaccio، لكن ليس نتيجة لمرض عضال أو على أيدي اليهود. كذلك تم حذف تفاصيل التهام الخنازير للجثمان بعناية.

تنويه خـاص استحقه الـزوجـان القتلة. الـزوج إيطالي اسمه مـرزوق Marzucus الذي يلقب عادة بالأسد شعار مدينة فلورنسا (Marzocco)، لكن أيضاً يستخدم في بعض الأحيان كاسم علم في النصوص الإيطالية من القرن الثالث عشر[1]. من جانبها، يظهر اسم كاروفا تلميذة محمد في أجزاء مختلفة من النص على النحو: Charuffa، Charufa، Garufa وCaruffa. ويبدو أن هذه الاختلافات مردّها النسخ الرديء للكلمة surafà (شريفة sarîfa)، وهو اللقب الـذي يطلق على الأسـر المسؤولة عن السيطرة على مكة والذين يقال إنهم ينتسبون لأحفاد النبي، كما قالوا. وفي الواقع، يذكر النص صراحةً، أن أحفاد Charufa قد عُهد إليهم رعاية مكة.

الإيمان بأن قبر محمد كان في مكة وهو معلّق في الهواء بفضل المغناطيس يتكرر عند كثير من كتّاب العصور الوسطى[2] على رأسهم إمبريكو ماينز (المرجع المشار إليه، ص. 1133-1146). وقد تتبع إيكارت أصول هذه الأسطورة في التقاليد اليونانية الرومانية القديمة

---

(1) Véase, por ejemplo, Migne, Patrología Latina, 217, 210A.

(2) Entreotrostestimonios,citaréaGauthierdeCompiègne,otiaw.1061-1074,y Magister Tethmarus, Iter ad Terram, p. 288. Para Cambier y Lepage, Embrico de Mainz es el inventor de esta especie, aunque sería más correcto decir que es el primer testigo co- nocido de la misma. Véase Cambier, G., Embricon de Mayence, 34, y Lepage, Y.G., Ale- xandre Du Pont, 47.

المتعلقة بالقبور أو الأوثان المعلقة بفضل خصائص المغناطيس[1]. من جانبها، تشير دالفيمي إلى أن أساطير مماثلة تظهر في التراثين الشعبيين العربي واليهودي، على سبيل المثال، قبور يوسف وهارون ودانيال. كما تقترح دالفيمي نفسها، أن تطبيقها على قبر محمد في مكة يمكن أن يفسر كيفية إعادة صياغة الأساطير القديمة حول معجزة الحجر الأسود والحجر الثاني الذي يرزح في الزاوية اليمنية للحرم[2].

تقدّم الإسلام

يخلص الكتاب إلى مفارقتين تاريخيتين بارزتين. فإثر وفاة نيقولاوس، انتخب أصحابه ابن عم كاروفا خليفة له وكان اسمه أبوزاكانوس Buzacannus، الذي يُنسب إليه عمل عسكري حدث في زمن الخليفة سليمان بن عبد الملك والإمبراطور البيزنطي ليو الثالث، وهو فشل حصار القسطنطينية الذي ضربه الأسطول العربي بين آب 717 وآب 718[3]. وهوية هذه الشخصية ليست واضحة. وربما هي خلط بين شخصية أبي بكر، الذي خلف محمداً مباشرة، وبين علي بن أبي طالب، ابن عم النبي ورابع الخلفاء.

---

(1) Según Plinio el Viejo (Naturalis Historia 34,42) y Ausonio (Mosella w. 311 ss.) el rey de Egipto Tolomeo II encargó al arquitecto Timochares la construcción de un tem- plo con techo imantado para que la estatua de su esposa flotase suspendida en el aire. Ru- fino de Aquilea (Historia Ecclesiastica 11,23) aplica esta tradición a la estatua de Osiris emplazada en el templo de Serapis de Alejandría. Casiodoro (Variae 1,45) a una imagen de Cupido en el templo de Diana. Similares noticias en San Agustín (De ciuitate Dei 21,6) e Isidoro de Sevilla (Etymologiae 16,4,2).

(2) D'Alverny, M. Th., «Marc de Tolède», 121-22. Véase asimismo: Encyclopédie de r Islam V, 1156-9, art. «Maghnatīs», y De la Granja, F., «Milagros españoles», 337-346.

(3) Al margen del anacronismo, la narración del episodio se corresponde bastante bien con la verdad histórica. Véase Ostrogorsky, G., Historia del Estado bizantino, 166.

وكان هذا الخليفة ذاته قد أرسل ماكسيميتوس Maximitus، الذي سبق أن دُعي أمير المؤمنين miramulus، لإخضاع هيسبانيا وفرنسا على رأس جيش ضخم، وقد رافقه النساء والأطفال. ويبدو واضحاً أنه يشير إلى حاكم إفريقية موسى بن نصير، والمروّج للغزو العربي لهيسبانيا.

لحلّ المفارقات التاريخية، لم تهدف تانك الملاحظتين فقط لإنشاء خلاصة هيكلية عن التقدم السياسي للإمبراطورية الإسلامية، أو مباشرة محاكمته جزئياً باعتباره توفيقياً. على خلفية التوسع العسكري للإسلام، لم يتوانَ المسيحيون والمسلمون عن تدمير بعضهما بعضاً كما لو أنهم ليسوا بشراً، على الرغم من أن كلّاً من المجموعتين، وكذلك اليهود، يتشاركون الإيمان بإله واحد والاعتقاد بالخلاص.

تاريخ وتأصيل

بغض النظر عن أن العمل قد وصل عبر مخطوطات من القرن الرابع عشر، إلا أننا نعتدّ بدليل آخر لأجل تأريخ النص. ابتداءً، فالحالة المتقدمة لتطور أسطورة محمد، تتوضح في الحرص على تجنّب الوقوع في المفارقة التاريخية المتمثلة في مماثلة محمد بالشماس الرسولي نيقولاوس، وتشير إلى وجود تاريخ لاحق لكتابات بطرس المكرم (1143) حول الإسلام، حيث استنكر فيها الأباتي كلوني هذا السخف. من جهة ثانية، فإن النسخة التي تتناول حادثة موت محمد متقاربة جداً، كما رأينا، مع ما نقل بيدرو باسكوال (ت. 1300)، لكنها تقدّم الزوج الغيور بشكل أكثر روائيةً. هذا يشير إلى أن نصنا يمكن أن يكون لاحقاً لنص بيدرو باسكوال، وللمصادر التي تعامل معها.

دليل آخر مهم، لكن من الصعب تقييمه، يوفّره الرباط بين كتاب نيقولاوس وكتاب يوهانس روفيس التاريخ القديم والحديث للأباطرة والباباوات الرومان؛ هذا الرباط الذي لم يقتصر على النصوص الروائية لاعتناق قسطنطين (المسيحية) وتعيين البابا أغابيتس لنيقولاوس، الذي أشرنا إليه سابقاً، بل إنهما يتناوبان على الاستخدام المشترك لصِيَغ كما يلي:

uiam uniuerse carnis ingressus

حيث دخل في طريق البشرية المشترك (أي مات)

ـ كتاب نيقولاوس السطر 193 مشيراً لمحمد، روفيس Ruffiis fol. 8r.–v مشيراً لأبناء فيديريك الثاني، f. 17v. مشيراً إلى الباباوات إينوسينسيوس الرابع وأليكسندر الرابع.

omnia que habuit dedit pauperibus

أعطى كل ما يملك للفقراء

ـ كتاب نيقولاوس السطر 143 مشيراً لمحمد، روفيس fol. 13 r. مشيراً للبابا إيوجين الأول Eugenio I

coronauit... triginta et duos reges

توّج... اثنين وثلاثين ملكاً

ـ كتاب نيقولاوس الأسطر 173 ـ 175 مشيراً لمحمد

multos reges coronauit

توّج ملوكاً كثيرين

ـ روفيس , fol. 3v مشيراً للإمبراطور أوريليوس أليكسندر

deus constituit Abraham patrem multarum gencium

إن الله قد جعل من إبراهيم أباً لكثير من الشعوب.

- كتاب نيقولاوس الأسطر 173 - 175

Abraham quem Deus patrem multarum gentium stabiHuit

جُعل إبراهيم من الله أباً للعديد من الأمم.

- روفيس fol. Ir

تكمن المشكلة في تحديد اتجاه التبعية في كلا النصّين. فإن كان كتاب نيقولاوس قد اتبع يوهانس روفيس، كان علينا أن نؤرخ نصنا لتاريخ لاحق لسنة 1261-2،ربما للربع الأخير من القرن الثالث عشر. الفرضية الأقل اتساقاً تلك القائلة إن يوهانس روفيس ضمّ هذه الأخبار إلى كتابه الوقائعي اقتباساً من كتاب نيقولاوس. وعلى الرغم من أن هذا الافتراض قد يمنح تفسيراً للمفارقة التاريخية الكبيرة التي تفترض تماثل محمد المزعوم بالبابا أغابيتس الثاني، مع الأخذ بالاعتبار أن كتاب نيقولاوس قد ذكر البابا أغابيتس الثاني دون تفاصيل، وأن وقائع يوهانس روفيس تغفل باباوية أغابيتس الأول. في هذه الحالة، سيكون كتاب نيقولاوس هو السابق، لكنه لن يتخطى السنوات 1261 - 2، والاحتمال الثالث، وهو ليس ذا نفع، الافتراض أن يوهانس روفيس ذاته هو مؤلف كتاب نيقولاوس مما قد يفسر كل هذه التطابقات، وكذلك حقيقة أن هذا العمل قد نسخ بعد كتاب التاريخ القديم والحديث للأباطرة والباباوات الرومان. في المحصلة، سواء أكان روفيس هو مؤلف كتاب نيقولاوس أم لا، فكل المؤشرات تدل على أن تاريخه يعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر، والأكثر ترجيحاً أن يكون في الربع الأخير منه.

فيما يتعلق بمرجعية النص، فمن الممكن التأكيد بثقة تامة أنها إيطالية. وهذا ما يؤكده استخدام اسم مرزوكوس Marzucus المشار إليه، والدلالة إلى كنيسة سان لورينزو في داماسو. إضافة لدليل أقل ثبوتية هو استخدام الفعل incautare بمعنى «ينتزع» (السطر 151) وهو اصطلاح لاتيني من العصور الوسطى يستخدم للتعبير عن مصادرة وبيع البضائع بالمزاد العلني. حسناً، اللغة الإيطالية حافظت عليه كما هو، كما المصطلحين «far incanti» و «vender all' incauto». علاوة على ذلك، إذا ما أخذنا بالاعتبار احتمال النيّة الاستهزائية في الرواية حول خلافة البابا أغابيتس، فمن الجدير بالتفكّر أن الأمر كان نتاج كنيسة سان لورينزو ذاتها، إلا أن هذا الظّن ليس مؤكداً.

التقييم النهائي

وأخيراً، فنحن عازمون على استخلاص بعض الاستنتاجات من الملاحظات الخاصة التي انتقيناها على مدى الدراسة. يبدو جلياً في المرتبة الأولى أن مؤلف كتاب نيقولاوس لديه أفكار غامضة جداً وغير دقيقة حول العقيدة والطقوس الإسلامية. ومن غير المحتمل أنه علمها عن طريق خبرته الذاتية أو ثقافته. لا بل كان عليه أن يكون مشككاً بالتقاليد التأريخية والجدلية ذات الصيغة الأكثر شعبية، وربما أيضاً بالمعلومات الشفوية التي زوده بها المسافرون والمبشرون.

تبدو نهاية العمل بأنها مجرد تسلية وممارسة حرة للتخيل أكثر من كونها جهداً جدليّاً. حيث لا نرى دلالات واضحة لانتقاد البابوية أو الكنيسة الكاثوليكية، مع أنه يمكن أن يكون هناك بعض النوايا الساخرة المحجوبة جداً وذات الطابع المحلي، وربما موجهة ضد شخصية مرتبطة بكنيسة سان لورينزو في داماسو. بمطلق الأحوال، فالمؤلف يختار الأخبار ويقدم التفسيرات كما يحلو له، في محاولة للتشديد على القرابة بين الإسلام والمسيحية، ويدع جانباً بعناية الجوانب الأكثر جدلية في السيرة والعقيدة المحمدية. صحيح أن شكل تصرف نيقولاوس - محمد يمكن أن يندرج في إطار نوع من النفاق، إلّا أن شخصيته وأفعاله لم تتلقَّ نعوتاً قبيحة، إضافة لتقديمه يقوم بأفعال ذات قدسية. وحتى تمثله لأعمال القداسة، على غرار

العديد من الباباوات الذين استعرضهم يوهانس روفيس. وفي حين تلقّى خلفاؤه تعاملاً سيئاً، وهم الذين تقع عليهم شبهة اغتنائهم عبر تنظيم عبادة شخصية النبي الذي قتلوه هم ذاتهم، وشرعوا باسمه في التوسع العسكري للإسلام. على أي حال، فإن الفقرة الأخيرة، كانت تصالحية بشكل علني، وتبدو وكأنها إرادة في الإفهام أن المسيحيين والمسلمين يمكنهم الوصول إلى فهم بعضهم بعضاً دون صعوبة، لأن العقائد المحمدية مستوحاة مباشرة من المسيحية، وأن محمداً ذاته كان في الأصل كاردينالاً وعمّد قرى بأكملها. بهذه الطريقة، تتناقض المواجهة الممتدة لقرون في مجتمع وآخر مع حقيقة أنهما يشتركان في الإيمان نفسه بإله خالق واحد، والرجاء بالخلاص ذاته.

المصادر الأولية

- ADELPHUS, Vita Mahumet, ed. Bischoff, B., «Ein Leben Mohammeds (Adelphus?) (Zwolftes Jahrhundert)», apud Bischoff, B., Anécdota nouissima. Texte des vierten bis sechzenten Jahrhundert. Stuttgart, 1984, 106-122.
- AIMERICUS DE ANGOULÊME, Arts lectoria, ed. Reijnders, H. F., Vivarium 9 (1971), 119-137; 10(1972)41-101 y 124-176.
- AL-KINDÏ, Risàla, ed. del texto árabe: Tien. A., Risálat 'Abd Allah Ibn Ismà'ïl al-Hôshimï ilà 'Abd al'Masïh Ibn Ishâq al-Kindîwa-Risâlat al-Kindîilà al-Hâshimî (The Apology of El-Kindi: A work of the Ninth Century written in Defence of Christianity by an Arab. London, Turkish Mission Aid Society, 1880, reimpr. El Cairo, 1885, 1912. Tra- ducción latina de Pedro de Toledo, ed. Muñoz Sendino, J., «Al Kindi, Apologia del Cristianismo», Miscelánea Comillas XI y XII (1949), 337-460. Traducción francesa de la versión árabe, Tartar, G., Dialogue islamo-chrétien sous le calife Al-Ma 'mûn (813-834). Les Epîtres dAl-Hashimî et d Al-Kindî. Paris, Nouvelles éditions latines, 1985. Traducción italiana de la versión árabe, Bottini, L,, Al-Kindî: Apologia del cris- tianesimo. Milán, Jaca Book, 1998.
- AMBROSIUS AUTPERTUS, Expositio in Apocalypsin, ed. Weber, R., Corpus Christiano- rum, Continuatio Medievalis XXVII. Tumhout, Brepols, 1975.
- Apocalipsis de Sergio-Bahîrâ, ed. Gottheil, R. (1898-1903), «A Christian Bahira Le- gend» Zeitschrift fur Assyriologie

XIII (1898), 119-210; XIV (1899), 203-268; XV (1900), 56-102; XVII (1903), 125-166.

- Corpus Scriptorum Muzarabicorum, ed. Gil Fernández, J., Madrid, CSIC, 1973.
- EMBRICO DE MAINZ, Vita Mahumetis, ed. Cambier, G., Embricon de Mayence.
- La Vie du Mahomet. Bruselas, Latomus, 1962. GAUTHIER DE COMPIÊGNE, Otia de Machomete, ed. Huygens, R.B.C.,
- «Otia de Machomete, Gedicht von Walter von Compiêgne», Sacris Erudiri 8 (1956), 286-328.
-
- GUIBERT DE NOGENT, Gesta Dei per Francos, apud Migne, Patrología Latina 156,679-836.
- Historia Compostellana, ed. Falque Rey, E., Corpus Christianorum. Continuatio Medie-valis LXX. Tumhout, Brepols, 1988.
- IBN HiaÀM, Sîrat Rasül Allah. Cito por la traducción de Guillaume, A., The Life of Muhammad. Oxford University Press, 1955.
- JACQUES DE VITRY, Historia orientalis, apud Bongars, J., Gesta Dei per francos siue orientalium expeditionum et regni Francorum Hierosolymitani historia. Hanovre, 1611.
- JACOPO DA AQUÍ, Chronicon, apud Monumenta Histórica Scriptores III, Augustae Tauri- norum, 1848.
- JACOPO DA VARAZZE, Legenda Áurea, ed. Maggioni, G.P., lacopo da Varazze, Legenda áurea, Florencia, SISMEL, 1998.
- JOHANNES RUFFUS, Liber de istoriis, ed. Sommerlechner, A., «Eine Stadtromische Kai- ser-Papst-Gechichte zu Ehren von Konig Manfred: Der Liber de Istoriis des frater Johannes Ruffiis», Romische Historische Mitteilungen 42 (2000), 245-306.
- Liber denudationis siue Contrarietas alfolica, ed. Burman,

Th, E., Religious Polemic and the intellectual History of the Mozarabs, c. 1050-1200. Leiden, E. J. Brill, 1994.

- Liberpontificalis, ed. Duchesne, L., Liber Pontificalis, Paris, Editions de Boccard, 1955. LUCAS DETUY, Chronicon Mundi, ed. Mariana, apud Schott, A., Hispania illustrata, IV, Frankñirt, 1608.
- MAGISTER THETMARUS, Iter ad Terram Sanctam (lili), apudItineraria Hierosolymitana Crucesignatorum (saec. XII-XIII), vol. IIL Studium biblicum franciscanum, 1983.
- PEDRO ALFONSO, Dialogus aduersus lúdeos, ed. Mieth, K. P .,
- PEDRO Alfonso. Diálogo contra los judíos, Huesca, 1996.
- PEDRO PASCUAL, In sectam Mahometanam, apud Sancti Petri Paschasii martyris Giennensis episcopi... opera. Madrid, 1676.
- SIGUINO, Ars lectoría. Eds. BCneepkens-C.H.-Reijnders, H.F. Leiden, Brill, 1979.
- VICENTE DE BEAUVAIS, Vicenta Bellovacensis Speculum quadruplex: naturale, doctrinale, morale, historiale. Douai, 1624.

الدراسات

- BIGNAMI-ODIER, J.-LEVI DELLA VIDA, G., «Une version latine de 1' Apocal3^se syro-ara- be de Serge-Bahira», Mélanges d'archéologie et d'histoire de l'Ecole française de Rome 62 (1950), 125-148.
- BUNES IBARRA, M. A., La imagen de los musulmanes y del Norte de Africa en la España de los siglos XVI y XVII. Los caracteres de una hostilidad. Madiid, CSIC, 1989.
- D'ALVERNY, M. TH., «Deux traductions latines du Coran au Moyen Âge», Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge 16 (1948), 69-131.

- — «Pierre le Vénérable et la légende de Mahomet», A Cluny, Congrès scientifique. Fêtes et cérémonies liturgiques en l'honneur des saints Abbés Odon et Odillon, 9-11 juillet 1949. Dijon, Société des Amis de Cluny avec le CNRS, 1950.
- — «Marc de Tolède, traducteur dTbn Tûmart», Al-Andalus 16 (1951) 99-140 y 259-307.
- — «La connaissance de l'Islam en Occident du IX^ au milieu du XIP siècle», Settimane di studio del Centro Italiano di studi sull 'alto medioevo, XII, Spoletto, 1965, 577-602.
- — «La connaissance de l'Islam au temps de Saint Louis», Septième centenaire de la mort de saint Louis. Actes des colloques de Reyaumont et de Paris, Paris, 1976, 235-246.
- — «Marc de Tolède», Estudios sobre Alfonso VIy la reconquista de Toledo. Actas del II Congreso Internacional de estudios mozárabes. Toledo, 20-26 de mayo de 1985.
- Toledo, Instituto de estudios visigótico-mozárabes, 1989, 25-59.
- D'ANCONA, A.. La leggenda diMaometto in Occidente, reedición a cargo de A. Borruso, Roma, Salerno Editrice, 1994. Esta obra apareció por vez primera en forma de articulo y con este mismo titulo en el Giornale Storico della Letteratura Italiana, 13 (1889),
- 199-281. DANIEL, N., Islam and the West. The Making of an Image. Edinburgo, 1960. Cito por la 2.^ edición, Oxford, 1993.
- DE LA GRANJA, F ., «Milagros españoles en una obra polémica musulmana. El Kitàb maqàmi" al-sulbân de al-Jazrayî», Al-Andalus 33 (1968), 311-365.
- DÍAZ Y DÍAZ, M. C , «Los textos antimahometanos más antiguos en códices españoles».Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Age 37 (1970), 149-168.

- ECKHARDT, A., «Le cercueil flottant de Mahomet», Mélanges de philologie romanique et de littérature offerts à Ernest Hoepffner, Paris, 1949, 77-88.
- GRIFFITH, S. H., «Muhammad and the Monk Bahïrâ. Reflections on a Syriac and Arabie Text from Early Abbasid Times», Oriens Christianus 79 (1995), 146-174.
- KHOURY, A.-TH., Les théologiens byzantins et l'Islam. Textes et auteurs (VIIF-XIIF s.),Lovaina-Paris, Éditions Nauwelaerts, 1969.
- LEPAGE, Y. G., Alexandre Du Pont, Le Roman de Mahon, Lovaina-Paris, Peeters, 1996.
- MACLER, P ., «Un document arménien sur l'assasinat d Mahomet par une juive», Mélanges Hartwig Derenbourg, Paris, 1909, 287-295.
- MANCINI, A., «Per lo studio della leggenda di Maometto in occidente», Rendiconti della Academia dei Lincei, vol. X, ser. VI (1935), 325-349.
- OSTROGORSKY, G., Historia del estado bizantino, Madrid, Akal, 1984. WOLF, K. B., «Christian Views of Islam in Early Medieval Spain», en Tolan, J. V. (éd.), Christian Perceptions ofIslam. A Book ofEssays, Nueva York, Garland Press, 1996, 85-108.



الفهرس

صورة محمد

في بعض نصوص الأدب اللاتيني
من القرون الوسطى

من خلال جهد دؤوب، عملنا هشام فيّاض أولاً وأنا ثانياً على اختيار مجموعة نصوص من الأدب اللاتيني من العصور الوسطى تتعلّق بالإسلام ونبيّه عموماً، بمساعدة باحثات أرجنتينيات، فترجمها هشام فيّاض إلى العربية عن اللاتينية والإسبانية، ثم قمت بمراجعتها وتدقيقها والتعليق على بعضها ومن ثم كتابة النص الحالي كمقدمة لها. فما هي أهمية تلك النصوص بالنسبة لنا كباحثين وقرّاء على أضعف تقدير؟.

نبيل فيّاض




ISBN 978-1-7732218-8-5